الموعظـــة التربويـــة

من

الخطـب المنبريـــة

تأليف

د. عدنان حسن باحارث

عنوان المؤلف:

د.عدنان حسن باحارث

مكة المكرمة – المملكة العربية السعودية

ص ب ٦٥٢٥

البريد الإلكتروني

Adnan3456@hotmail .com

الموقع على الإنترنت

www.bahareth.org

الموعظة التربوية من الخطب المنبرية

مقدمـــة:

إنَّ الحمدَ لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد فإنَّ الشخصية الإنسانية متشعبة الجوانب، تحتاج في بنائها إلى التربية الشاملة، التي تراعي جميع جوانبها، بحيث تعطي كل جانب حقه من الرعاية والتهذيب، فينمو الإنسان في ظلها نمواً شاملاً متوازناً.

والشخصية الإنسانية تتكون من جوانب متعددة: إيمانية، وروحية، وأخلاقية، وعقلية، ونفسية، وجسمية، وعاطفية...، كل جانب منها يحتاج إلى التربية التي تنميه، وتوجهه الوجهة التي يحقق من خلالها مقصد وجوده، والغاية من تكليفه، فكل نشاط الإنسان -أياً كان- يدخل في مفهوم العبادة المأجور عليها، مادام يمارسها موافقاً لمقاصد الشريعة، متناغماً معها في أهدافها وغاياتها.

ولما كانت التربية الشاملة لجوانب الشخصية الإنسانية لا تتحقق في الإنسان بمجرد المعرفة بها، فإنَّها تحتاج إلى اتخاذ الأساليب التربوية الكفيلة بترسيخ المفاهيم من جهة، وبالتدريب والتعويد عليها من جهة أخرى حتى تصبح جزءاً من كيان الإنسان، لا تنفك عنه، ومن هنا جاءت أساليب التربية الإسلامية بأنواعها المختلفة لترسيخ المفاهيم، والتربية عليها.

وقد استخدم القرآن الكريم والسنة المطهرة جمعاً من الأساليب التربوية التي تتناسب مع اختلاف طبائع الناس، وتنوع مشاربهم، بحيث تدخل على الإنسان للتأثير فيه من الزاوية التي تناسبه، فأسلوب التربية بالقدوة – مثلاً – المبني على طبيعة المحاكاة والتقليد عند الإنسان: استخدمه القرآن والسنة كأوسع ما يكون في إبراز شخصيات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، باعتبارهم القدوة للعالمين، ومن بعدهم من الصديقين والصالحين والشهداء.

كما استخدم القرآن والسنة أسلوب التربية بالقصة، لما للقصص من الوقع الخاص في النفس الإنسانية، ولما تحمله – عادة – من المعاني والمفاهيم المحركة للقلوب، والمقدَّمة بصورة غير مباشرة من خلال وقائع وأحداث القصة، وتكفي الدلالة على أهمية هذا الأسلوب التربوي وجود هذا الحشد الهائل من القصص في القرآن الكريم بصورة خاصة.

وقد استخدم منهج التربية الإسلامية أسلوب التربية بضرب المثال؛ فقد سجل القرآن والسنة جمعاً كبيراً من الأمثلة، التي تهدف إلى تقريب الفكرة إلى الإنسان، وإقناعه بها من خلال تبسيط المفاهيم بصورة سهلة، يسهل على الإنسان إدراكها، ومن ثَمَّ الاقتناع بها.

ومن الأساليب التي استخدمها منهج التربية الإسلامية أسلوب التربية بالموعظة التي تحمل النصح والتذكير بالخير والحق، على الوجه الذي يرق له القلب، ومن ثَمَّ يبعث على العمل الصالح، والمُراجع للقرآن الكريم يجد منهج الوعظ واضحاً في إرشاداته وتوجيهاته، وكذلك الناظر في السنة النبوية، يجد أن الرسول صلى الله عليه وسلم استخدم هذا الأسلوب في تربية أصحابه

وتوجيههم رضي الله عنهم، فكم من مرة علا عليه الصلاة والسلم المنبر، فحذَّر وأنذر، وبيَّن وفسر، حتى أبكى من حوله، ورقَّق قلوبهم، وألهب مشاعرهم.

وقد ارتبط منهج الوعظ بحياة المسلمين العبادية، فقد دخلت الموعظة في صلب العبادة، فهذه صلاة الجمعة لا تصح إلا بموعظة – ولو يسيرة – تحمل التذكير والتنبيه، وقد ألزمت الشريعة كل مسلم عاقل بالغ قادر مقيم أن يتعرض لهذا الأسلوب التربوي مرة في الأسبوع، وألزمته أن ينتفع به، وأن يصرف الشواغل عن نفسه، ويُجمع قواه العقلية، ويتوجه بكليته نحو الخطبة، وحذَّرت من التلهي بأي صارف عن الاستماع للخطيب.

وعلى الرغم من أهمية أسلوب الوعظ، فإن الاقتصار عليه دون باقي أساليب التربية الإسلامية: خطأ في التربية، كما أن الإكثار من استخدامه بصورة مستمرة: يُدخل على الإنسان الملل، ويقلُّ تأثيره في النفس؛ ولهذا كان نهج النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الاعتدال في استخدامه دون إفراط، أو تفريط.

ومما يُلاحظ على أسلوب الوعظ: سهولة استخدامه، فهو لايحتاج لأكثر من العبارات والكلمات، ونبرات الصوت، وهذه العناصر قد يُجيدها كثير من الناس، ممن قد لا يكون صالحاً في نفسه، إلا أنه مؤثر بوعظه، فما أن يمضي زمن يسير حتى ينكشف للناس حاله، وتظهر حقيقة أمره، وعندها يكون وعظه بارداً وإن كان في ظاهره ساخناً، وتكون عباراته فارغة، حتى وإن كانت في ظاهرها ممتلئة.

لقد ألزم الإسلام المربين، ممن يتصدُّون للوعظ والتذكير والإصلاح أن يقيِّدوا القول بالعمل، وأن يربطوا بين الكلام والفعل، فإن تناقض الأقوال مع الأعمال له أثر سلبي على التربية، وما زهد كثير من الشباب في الدين إلا حين

غلب على ظنِّهم أن هؤلاء الوعَّاظ أبعد الناس عن الالتزام الفعلي بما يقولون، وما ينصحون الناس به في مواعظهم ونصائحهم.

وبين يدي القارئ الكريم قريباً من خمسين خطبة من خطب الجمعة التي أُلقيت – في فترات متباعدة – في جامع الأميرة الجوهرة بنت سعود الكبير بحي العزيزية في مكة المكرمة، خلال الفترة الزمنية من عام ١٤١١هـ حتى عام ١٤٢١هـ، شملت العديد من الموضوعات الإيمانية، والثقافية، والفكرية، والتاريخية التي تهم المسلم المعاصر.

وقد تم أخذ الأحاديث والآثار من مصادرها المعتبرة دون الاعتماد على الذاكرة، فليس بينها – إن شاء الله تعالى – حديث موضوع.

أرجو من الله تعالى أن يكون فيها النفع والفائدة، وأن يجعلها عملاً صالحاً، خالصاً لوجهه الكريم، وأن يجنبنا الزلل والشطط، إنه سميع مجيب.

هذا والله تعالى وليُّ التوفيق والهادي إلى سواء السبيل

كتبه

إمام وخطيب جامع الأميرة الجوهرة

عضو هيئة التدريس بقسم التربية وعلم النفس

بكلية المعلمين- جامعة أم القرى في مكة المكرمة

د. عدنان حسن باحارث

مكة المكرمة

المملكة العربية السعودية

ص ب ٦٥٢٥

البريد الإلكتروني

Adnan٣٤٥٦@hotmail .com

الموقع على الإنترنت

www.bahareth.org

أولاً: التربـــــية الإيمانـــــية.

ثانياً: التربــــية الروحــــــية.

ثالثاً: التربــــية التعبديـــــــة.

رابعاً: التربـــــية الأخلاقيـــــة.

خامساً: التربـــــية الاجتماعــــية.

سادساً: التربـــــية العقلــــــية.

سابعاً: التربــــية الجهاديـــــة.

ثامناً: التربية الاقتصادية والسياسية.

تاسعاً: السيرة النبويـة والتراجـــــم.

عاشراً: العلـــــم والعلمــــــاء.

أولاً : التربيـــة الإيمـــانـــية :

١- التوحـــيـد حـق الله تعـــــــالى.

٢- معرفة مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٣- القـــضـاء والـقـدر.

٤- مفهـــوم العـــبـادة الشامل.

٥- مـــقـــام التـــقـوى.

٦- أهمـــية التقوى لمفاســـد آخر الزمان.

٧- لحظـة المـوت بين الخوف والرجاء.

٨- المنافقون وخطرهم على الإسلام والمسلمين.

١ – التوحيد حق الله تعالى

الخطبة الأولى:

الحمدُ لله الملكِ الجبار، الواحد القهَّار، القادر الوهاب، العزيز الغفَّار. الواحدُ في رُبوبيَّته، والواحد في أُلوهيته، والواحدُ في أسمائه وصفاته. الأول الذي ليس قَبلَهُ شيء، والآخِرُ الذي ليس بعده شيء، والظاهر الذي ليس فوقَهُ شيء، والباطن الذي ليس دونه شيء. الواحد الذي لا شريك له، والفرد الذي لا نِدَّ له. لا شيء مثلُهُ، ولا شيء يُعجزه، قديمٌ بلا ابتداء، ودائم بلا انتهاء، لا يفنى ولا يبيد، ولا يكون في كونه إلا ما يريد، لا تبلُغُهُ الأوهام، ولا تُدركه الأفهام، ولا يُشبِهُ الأنام، حيٌ لا يموت، وقَيُّومٌ لا ينام. صاحبُ الكمال والعظمة والجلال. لا تُدركه الأبصار، ولا تُحيط بعلمه العقولُ والأفهام. له الأسماءُ الحسنى، والصفاتُ العُلا، مستوٍ على عرشه فوق سماواتِهِ، قاهرٌ فوقَ عبادِهِ، حجابُهُ النور، وعلمُهُ تفيضُ عنه البُحور. خالقُ الخلقِ بلا حاجة، ورازقُهم بلا مؤُنة، يُميتُ بلا مخافة، ويبعثُ بلا مشقة. الكلُّ تحتَ سلطان مشيئتِهِ، يتقلبون في قضائِهِ بين فضله وعدله. غلبت مشيئته المشيئات، وقهرَ قضاؤُهُ الحيلَ الذكيات. لا مُعقِّبَ لحكمِهِ، ولا راد لقَدَرِهِ، ولا غالبَ لأمره. يرفَعُ من يشاءُ، ويضع من يشاء. يحكمُ بالعدل، ويأمرُ بالحق، تقدَّس عن كلِ سوء، وتنزَّه عن كلِ عيب. السعيدُ من سَعِدَ بقضائِهِ، والشقيُّ من شقي بقضائه، لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون. يُحب المؤمنين الطائعين، ويبغض الكافرين والفاسقين، خلق الجنة للمؤمنين من أهل طاعته، خلق النار للفاسقين من أهل معصيته. لا يطاع

إلا بقضائه وفضله، ولا يعصى إلا بمشيئته وعلمه . كتب الذل والصغار على الكافرين، وكتب العز والفلاح للمؤمنين . فلا إله إلا هو، الملك الحق المبين.

أما بعدُ ... فإنَّ أعظمَ ما يدخره المؤمن، وأجلَّ ما يكنزه، وأبلغ ما يحرص عليه: توحيد الله تعالى، وإفراده جلَّ وعلا بالعبادة، فهي قضية الكون الكبرى، ومحور الحياة الدنيا، من أجلها بعث الله تعالى الرسل، وأنزل لبيانها الكتب: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ** ﴾. ﴿ **إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللهَّ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ** ﴾.

أيها الإخوة : إنَّ دينَ الإسلام يقوم على أصلين اثنين، الأول: أن يُعبد الله تعالى وحده ولا يُشْرَك به شيء، والثاني: أن يُعبدَ جلَّ شأنه، بما شرعه على لسان وفعل نبيه صلى الله عليه وسلم، وهذا مُقتضى قول المؤمن: لا إله إلا الله، محمد رسول الله. فالإله هو الذي تألَهُهُ القلوب، فتعبده، وتستعين به، وتستغيث به، وتحبه، وترجوه، وتعظمه، وتقدسه، وتنذل له. فمن توجه بشيء من هذه المظاهر العبادية لغير الله تعالى: فقد أشرك بالله آلهةً أُخرى. ولهذا فإنَّ مقام التوحيد لا يقبلُ التجزئة، ولا المشاركة، فإن الله تعالى أغنى الشركاء عن الشرك، فمن أشرك معه غيره: تركه وشركه. فالألوهية في التصور الإسلامي: واحدة لا تتعدد، هي ألوهية الله تعالى، والعبودية تتمثل في كل ما سوى الله تعالى، فأي خلط بينهما فثمة الشرك الذي لا يغفره الله تعالى، كما قال في كتابه العزيز: ﴿ **إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللّهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ** ﴾، وقوله أيضاً: ﴿ **وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيدًا** ﴾، وقوله أيضاً: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء وَمَن يُشْرِكْ**

بِاللَّـهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾. ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم: « من مات وهو يدعو لله نداً دخل النار »، ويقول أيضاً: « من مات لا يشركُ بالله شيئاً دخل الجنة، ومن مات يشرك بالله شيئاً دخل النار »، ولما سُئل عليه الصلاة والسلام عن أعظم الذنوب قال: «أن تجعل لله نداً وهو خلقك».

أيها الأخوة: فكما أنَّ التوحيدَ يفسُدُ بالشرك، ولا ينفع معه عمل أياً كان؛ فإن التوحيد الخالص لا يبقى معه ذنب، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: « إنَّ الله حرَّم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله» ، ويقول أيضاً : « من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنَّ محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمتُهُ ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الجنة حق، والنار حق: أدخله الله الجنة على ما كان عليه من العمل »، ويقول أيضاً: « أتاني جبريل عليه السلام فبشرني أَنَّهُ من ماتَ من أُمَّتِكَ لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، قلت: وإن زنى وإن سرق، قال وإن زنى وإن سرق ».

إنَّ التوحيدَ الذي تحصلُ به المغفرةُ: هو التوحيدُ الذي خَلُصَ من الظلم المتضمن للتطفيف في حق الله تعالى، وعدم الوفاء له بكمال العبودية، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ **الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ** ﴾، فأهل التوحيد ضمن موعود الله تعالى لهم بالرحمة والمغفرة، كما قال جل وعلا في الحديث القدسي: « يا ابن آدم لو أتيتني بقُراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقُرابها مغفرة ». يأتي الرجل يوم القيامة وقد مُلئت صحائفه بالذنوب والخطايا: يمحوها الله تعالى جميعاً بالتوحيد الخالص.

أيها الإخـوة: لو كانت السـماواتُ والأرضُ حلقـةً واحـدةً لقـصمتهم لا إله إلا الله، ولطاشت بهم لعظمتها. فكلمةُ التوحيد أعظـمُ كلمـةٍ في الوجـود، وأعظم نعمة أنعم الله تعالى بها على عباده، فلك أن تتخيل أهل الـشرك والـضلال يتخبطون في دروب الغيِّ والخطيئة، فهذا الذي يعبـد الحجـر، وهـذا الـذي يعبـد الشجر، وهذا الذي يعبد الكوكب، وهذا الذي يعبد الحيوان. حتى إنـك لا تكـاد تجد شيئاً في الطبيعة من الحيوانات أو الحشرات إلا كانت في يوم مـن الأيـام عنـد بعض الأمم الضالة مكان عبادة وتقديس. فأيُّ نعمـة يمكـن أن يتخيلهـا المـؤمن الذي عرَّفه الله الحق بواسع فضله ومنَّته. يقول سفيان ابن عيينة: «ما أنعم الله على العباد نعمة أفضل من أن عـرَّفهم أنـه لا إلـه إلا الله». إن الـذي لا يعـرف مـرارة الضلال، وذلَّ الشرك: لا يعرف قيمة التوحيد وصفاء العقيدة. فالإنسان بطبيعتـه مفطور على العبادة، لابد أن يعبد شيئاً ما، فإما أن يعبد الإله الحق، فيسْعَدَ بعبادته، وإما أن يعبد آلهة أخرى، فيشقى بعبادته. ومن زعم أنه لا يعبد شيئاً: فقد كـذب، فإن الفاجر يتخذ هواه إلهاً من دون الله وهو لا يعلم.

أيها المسلمون: فكما أن لهذه الكلمة فضلها وعظمتهـا: فـإن لهـا التزاماتهـا وشروطها، فليس كُلُّ من قال لا إله إلا الله: نال موعودها، فإن المنافقين يجهـرون بها، ويعلنونها ومع ذلك لا تخدمهم. قيل لوهب بـن مُنبِّـه: «ألـيس لا إلـه إلا الله مفتاح الجنة؟ قال: بلى ، ولكن ما من مفتاح إلا وله أسنان، فإن جئت بمفتـاح لـه أسنان فُتح لك، وإلا لم يُفتح لك». فكما أن المؤمن ينعم بكلمة التوحيد، فإنه يغرم تكاليفها، والقاعدة تقول: الغُنْمُ بالغُرم، والنعمة بقـدر النقمـة. فعظـيم فـضلها: بقدر عظيم تكاليفها.

إنَّ من أعظمِ مستلزمات التوحيد: إفرادَ الله تعالى بالعبادة في كل صورها: الظاهرة والباطنة، في غير ريبة أو شك، مع كمال اليقين والتصديق، وكمال الحبِّ والذُّل؛ بحيث يوحِّدُ المؤمن مصادر تلقِّيه، فيحصرها جميعاً في الوحي المبارك عن الله تعالى، فلا يلتفت إلى غيره، ولا يرجو سواه. وهذا مقتضى معنى قوله تعالى في سورة الفاتحة: ﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾، يعني إيَّاكَ أريدُ بما تريد. فالإله لا يكون إلهاً على الصحيح، حتى تسكن إليه النفوس، وتتوجَّهَ إليه القلوبُ، وتخضعَ له الرؤوس، وتنْذل بين يديه الأنوف. فلا يكون الركوع إلا له، ولا يكون السجود إلا له، فالحلال ما أحلَّ، والحرام ما حرَّم، والدين ما شرع. فمن رام غير ذلك فقد نازع الله سلطانه، وشادَّ الله في ألوهيته.

أيها الإخوة الكرام: هذا موضع الابتلاء بالتوحيد، الذي خصَّ الله تعالى به الثقلين: الإنس والجن، كما قال تعالى: ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ**﴾. فكل الخلائق سواهما مربوبة لله تعالى، موحِّدة له، تسعى إليه مُنْساقة بدافع غريزتها، لا خيار لها. أمَّا الإنسانُ والجانُ فقد خصَّهما الله بحكمته بالإرادة والعقل، وحباهما بالرسل والكتب، فمن أطاع ووحَّد نال موعد الله بالفضل والرحمة، ومن عصى وأشرك نال وعيد الله بالغضب والنقمة.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ **ذَلِكَ هُدَى اللَّـهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ**﴾ .

أقول هذا القول وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله نحمد ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له في ملكِهِ وحكمهِ، وأشهد أن محمداً رسول الله ، لا منازع له في هديه ونهجه.

أيها المسلمون : وكما أنَّ الدخولَ في هذا الدين سهلٌ ميسَّرٌ: فإن الخروج منه أيضاً سهلٌ ميسَّرٌ ؛ فإن طاعة الطائعين لا تزيد في ملك الله شيئاً، كما أنَّ معصيةَ العاصين، لا تُنقص من ملكه شيئاً. فلا التوحيد ينفع الله تعالى، ولا الشرك يضرُّهُ، إلا أنه يرضى لعباده التوحيد والطاعة، ويثيبهم عليهما، ويكره لهم الشرك والمعصية ويُعاقبهم عليهما.

أيها الإخوة: إنَّ كلمةَ التوحيدِ لا تزال تنفع صاحبها مالم يأتِ بناقض ينقُضها، وفي الحديث قال عليه الصلاة والسلام: « لا تزال المغفرة على العبد ما لم يقع الحجاب، قيل يا نبيَّ الله: ما الحجاب؟ قال: الإشراك بالله ».

إنَّ من أعظم مظاهر الشرك: اغتصابَ حقِّ التشريع من الله تعالى، بحيث ينصبُ الطاغوت نفسه إلهاً: يشرِّعُ للناس مالم يأذن به الله. فمن أطاعه راضياً مختاراً: فقد اتخذه إلهاً من دون الله تعالى، وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم. ﴿ **اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ** ﴾ يحرمون ما أحل الله، ويحلُّون ما حرَّم، بغير إذن من الله. ثم هم بعد ذلك يطعنون في أحكام الإسلام، ويوالون أعداء القرآن، ويستهزؤون بالدين وينسبون إليه كلَّ نقيصةٍ وعيبٍ. ثم يريد أحدهم بعد ذلك أن يفرض نفسه على الله، فيتنادى بالإسلام، ويدَّعي الإيمان،

وهو لا يعدو أن يكون ذخيرة من وقود النار .

وأما نواقض التوحيد عند كثير من عـوام المـسلمين، فغالبهـا ينحـصر في توجُّههم ببعض العبادات لغير الله تعالى: ظناً منهم أنَّ ذلكَ يجلـبُ إلـيهِمُ الخـيرَ، ويدفع عنهم الشر، حين استثقلوا الخدمـة في طاعـة الله تعـالى، فـصعُبت علـيهم التكاليف الشرعية، والالتزامات الخلقية: فعمِدوا إلى الكُّهانِ والسحرةِ، والقبـورِ والأضرحةِ: يرجون عندهم النصرة، وتفريج الكروب، ودفع الهموم، ومعرفة مـا اسْتُتِرَ من الغيب المكفون. والله عز وجل يقول: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَـادِي عَنِّـي فَـإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسـْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾، ويقول: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْـتَجِبْ لَكُـمْ إِنَّ الَّـذِينَ يَـسْتَكْبِرُونَ عَـنْ عِبَـادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾، ويقــول أيضاً: ﴿ قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًـا وَلاَ ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاء اللَّـهُ﴾ ، وقــال في موضـع آخر: ﴿ وَلاَ تَدْعُ مِن دُونِ اللَّـهِ مَا لاَ يَنفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّالِمِينَ * وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّـهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَآدَّ لِفَضْلِهِ يُصَيبُ بِهِ مَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الـرَّحِيم ﴾. ويقـول أيـضاً: ﴿ أَمَّـن يُجِيـبُ المـُضْطَرَّ إِذَا دَعَـاهُ وَيَكْـشِفُ الـسُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاء الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللهِّ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ * أَمَّـن يَهْـدِيكُمْ فِي ظُلُـمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّـهِ تَعَـالَى اللَّـهُ عَـمَّا يُشْرِكُون﴾. والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: « من أتى كاهناً فصدَّقه بما قال : فقد كفرَ بما أُنزلَ على محمد صلى الله عليه وسلم »، ويقـول أيـضاً: « لعـنَ اللهُ مـن ذبحَ لغير الله »، ويقول: « لعـنَ اللهُ اليهـودَ والنـصـــارى اتخـذوا قبـور أنبيـائهم

مساجــد»، ويقول: « الدعاءُ مُخُّ العبـادة » وفي روايـة: « الـدعاءُ هـو العبـادة »، ويقـــــول: « ليس شيءٌ أكرمَ على الله من الدعاء »، ويقول: « ما مـن داعٍ يـدعو، إلا كان بين إحدى ثلاث خلال: إما أن يُستجاب له عاجلاً، وإمـا أن يُـدَّخرُ لـه، وإما أن يكفَّرَ عنه » . فاتقوا الله عباد الله، واعرفـوا لله حقـه، وحـرِّروا توحيـدكم تفلحوا، وتنعموا.

ألا وصلوا على البشير النذير الذي علمكم الخير ودلكم عليه : اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعـلى آل إبـراهيم، وبـارك عـلى محمد وعلى آل محمد، كما باركتَ على إبراهيمَ وعـلى آل إبـراهيم في العـالمين إنَّـكَ حميد مجيد. اللهم ارضَ عن الصحابة والقرابة والتابعين ومن تـبعهم بإحـسان إلى يوم الدين وعنا معهم برحمتك يا أرحم الراحمين، اللهم أعزَّ الإسـلام والمـسلمينَ، وأذلَّ الشرك والمشركين، واجعلنا يا ربنا ويا مولانا من أهل التوحيـد، فإنـا نعـوذ بك أن نشرك بك شيئاً ونحن نعلمُ، ونستغفرك لما لا نعلم. اللهم آمنا في أوطاننـا، ووفق أئمتنا وولاة أمورنا، واجعل ولايتنـا فـيمن خافـك واتقـاك واتبـع هـداك يا رب العالمين. ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

عباد الله إنَّ اللهَ يأمرُ بالعـدلِ والإحـسان وإيتـاء ذي القربـى وينهـى عـن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون.

٢- معرفة مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم

الخطبة الأولى :

الحمدُ لله الذي بعث في الأُميينَ رسولاً منهم، يتلو عليهم آياته ويـزكيهم، ويعلمُهُم الكتاب والحكمة، وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين. أتمَّ ببعثته النعمة على المؤمنين، وأقام برسالته الحجَّةَ على الكافرين. خلَقَـهُ فأحـسن خِلْقتـه، وأدَّبـه فأحسن أدبه، حتـى كـان عليـه الـصلاة والـسلام أكمـل الخلـق روحـاً وعقـلاً، وأقومهم بدناً ورسْماً، وأعلاهم قدْراً وذكراً، وأرفعهـم فـضلاً ونـبلاً، وأشرفهـم مجداً وعزاً، وأحسنهم خلْقاً وخُلُقـاً، وأصـدقهم قـولاً وفعـلاً، وأصـفاهم طويـة وقلباً، وأطهرهم نيَّةً وقصداً، وأهداهم طريقاً وهدياً، وأرشدهم سـلوكاً ونهجـاً، وأسدَّهم مسلكاً ورأياً، وأنبلهم غاية ومقصداً.

اصطفاه اللهُ تعالى نبيـاً ورسـولاً وآدم في طينتـه، فطهَّـر نـسبه مـن سـفاح الجاهلية، فاصطفى كِنَانَة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كِنَانة، واصـطفى بني هاشم من قريش، ثم اصطفاه من بني هاشم. فاختاره ربه عز وجل مـن خـير بطون العرب، من أعرقها في النسب، وأشرفها في الحسب، وأفصحها في اللـسان، وأوضحها في البيان. فهو خيارٌ من خيار.

خرج إلى الدنيا يتيماً فآواه ربُّه إلى كنفه، وهـداه مـن حـيرة تعبُّـده إلى نـور نبوته، وأغناه بفضله عمن سواه، فلم يُحوجه إلى غير جوده. أنزل عليه خير كتبـه، وأعظم شرائعه، فختم به النبوات، وأبطل به الشرائع السابقات. ففتح الله به أعيناً عمياً، وأسمع به آذاناً صماً، وهدى به قلوباً غلفاً.

أَيَّده بالمعجزات، والآيات الباهرات، والعلامات البينات، حتى شق له القمر، وفجَّر له الماء، وكثَّر له الطعام. فآمن به من آمن ممن أراد الله هدايته فبصَّره بنور نبوته، وجلالة منزلته. وكفر به من كفر ممن أراد الله غوايته فأعماه عن أنوار نبوته، وعظيم منزلته. فأعز الله به المؤمنين، وأذل به الكافرين.

أَيَّده اللهُ تعالى بالصحابة الصالحين، من الأنصار والمهاجرين، فعرفوا قدره، وعظموا أمره، فكانوا أعظم الخلق محبة له، وأكثر الناس طاعة له. حتى إن أحدهم لا يجد لنفسه حقاً مع حقه، ولا قولاً مع قوله، ولا رأياً مع رأيه. فهو المقدم والمبجل والمعظم في كل حال، فصلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد فاتقوا الله عباد الله، واعلموا وتيقَّنوا أن خير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وخير الطرق طريقه الأقوم، ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ** ﴾، ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ** ﴾.

أيها الإخوة الكرام: إنَّ شخصيةَ الرسولِ محمد صلى الله عليه وسلم هي الحقيقةُ الكبرى للإنسانية المستخلفة في الأرض، تستمد الأجيال في كل عصر من هديه نُوراً يُضيءُ لها آفاق الحياة. فمازالت سيرتُهُ العطرةُ معيناً لا ينضب، ونهراً لا ينقطع. تحملُ في طياتها للبشرية في كل حين بصائر للعقول، وسكناً للنفوس، وبهجة للأرواح. فما زال العلماء في كل عصر، يغترفون من سيرته، وأخباره ومواقفه: ما يجدد الدين، ويقوي الإيمان، ويبطل الشك. فهو عليه الصلاة والسلام الكمال البشري المطلق، في أسمى وأكمل وأبهى صوره. فإذا جئت إلى وصف خلْقه: عجز عن ذلك الواصفون، وتلعثم عن ذلك الفصحاء المتكلمون،

فلم تُسعفهم الكلمات، ولم تغنِ عنهم المعاني والعبارات، حتى قال قائلهم في وصفه: «لو رأيته: رأيت الشمس طالعة»، وقال آخر: «لقد رأيته، فلم أر شيئاً أجمل منه».

وأما إن جئت تسأل عن شمائله وخُلُقه، وسمْته وطبعه: فمن ذا الذي يُحصي ذلك، أو يُحيطُ به غير من خلَقَه سبحانه وتعالى؛ فقد بلغ النهاية في كل ذلك، وحاز الكمال من كل جانب، ونال المجد من كل باب: حتى بلغ القمة وحده. وكأنما الخُلُق ثوبٌ فُصِّل له، فلا يصلح لغيره.

وأما إن جئت تسأل عن حكمته، وكمال بصيرته، وقوة حنكته في شؤون الدنيا والدين: وجدته السيد الذي لا يُبارى، والإمام الذي لا يُجارى: أسر القلوب بحكمته، وأخضع الناس لدعوته، حتى عجب من ذلك أعداؤه. فأقام الدين، وأرسى العدل، وأوضح النهج حتى ما طائر يطير في السماء إلا وعلَّم أمته خبراً عنه.

أيها الإخوة الكرام: إنَّ هذه الشخصيةَ النبويةَ العظيمةَ هلك فيها صنفان من الناس: أحدُهُما كافرٌ معاند، أعمى الله بصيرته، فأعرض عن الهدى، ورغب عن التقى فلم يختلف في كفرهم اثنان. وأما الصنف الآخر: فقومٌ أَسَرَتْهُم شخصية رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ما عادوا يُميِّزون بين ما يجب لله تعالى من الاعتقاد والعبادة، وما يليق برسول الله صلى الله عليه وسلم من التوقير والإجلال. فخلطوا في الحقوق بين الخالق والمخلوق، حتى نعتوا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم بشيءٍ من صفات الربوبية، وصرفوا له شيئاً من مظاهر العبودية. في صورٍ مختلفةٍ من مظاهرِ الغلوِّ التي لا يرضاها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم

لنفسِهِ، ولا يرضاها له ربُّهُ. فهو عليه الصلاة والسلام لا يعدو أن يكون عبداً من عبيد الله تعالى، إلا أَنَّهُ مع ذلك أفضلُ العبيدِ وأعظَمُهُم قدراً عند الله تعالى. كما أنه لا يعدو أن يكون بشراً من البشر إلا أنه مع ذلك أكمل البشر وأجلُّهم عند ربه عز وجل؛ قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾، ﴿قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاء اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَاْ إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾، ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إَلاَّ بَشَرًا رَّسُولاً﴾، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا﴾، ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى﴾، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إِنَّما أنا بشرٌ مِثْلُكُم، أذكرُ كما تذكرون وأنسى كما تنسون »، وقال أيضاً: « لا تطروني كما أطرتِ النصارى ابنَ مريمَ، وإنما أنا عبده، فقولوا عبد الله ورسوله »، ولما قال له رجل: « ما شاء اللهُ وشئت، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: أجعلتني والله عدْلاً، بل ما شاء الله وحده». ولما جاءه رجل فقال: « يا محمد، يا سيِّدَنا، وابن سيِّدِنا، وخيرَنا، وابنَ خيرنا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: عليكم بقولِكُم، ولا يستهوينَّكُمُ الشيطانُ، أنا محمد بن عبد الله، عبدُ الله ورسوله، والله ما أُحِبُّ أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلنيَ اللهُ عز وجل »، وهكذا الرسول صلى الله عليه وسلم يضع الحد الفاصل في قوله البليغ المحكم بين الحق والباطل، بين الجفاء والغلو، وبين الإفراط والتفريط.

أقول هذا القول وأستغفر الله تعالى لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمدُ لله ربِّ العالمينَ ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيِّدِ الأولينَ والآخِرينَ ، ورسولِ ربِّ العالمين، وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهديه ، وسلك سبيله إلى يوم الدين ... أما بعد:

فإنَّ محبَّةَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم من ضروريات الإيمان، ومن مستلزمات العقيدة، كما قال عليه الصلاة والسلام: « فوالذي نفسي بيده لا يؤمنُ أَحَدُكُم حتى أكونَ أحبَّ إليه من والده وولده والناس أجمعين ».

وأقلُّ درجاتِ هذه المحبة: تلك المحبة التي تقتضي القبولَ منه باعتباره رسولاً من عند الله تعالى، والتسليم له، وعدم الإعراض عنه، مع الالتزام بالواجبات، وترك المحرمات.

وأما أعلى درجات المحبَّةِ فالشوقُ الشديدُ إلى لقائِهِ، والتطلع إلى رؤيته، مع كمالِ التأسي به في أخلاقهِ وشمائِلِهِ، وحسن سمته، وأسلوب حياته، ونصرة دينه، ونشر سنته، والإكثار من الصلاةِ والسلامِ عليه دون ملل، مع التلذذ بذكر أخباره وأحواله في كل حين.

أيها الإخوة الكرام: إنَّ من أعظمِ حقوقِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم على أمته بعد الإيمان به وتصديقه: طاعته فيما أمر، واتباعه فيما رسم، فلا يصح التذرع بالمحبة القلبية دون اتباع؛ فإن الله تعالى يقول: ﴿ **فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا** ﴾، ويقول : ﴿ **وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ**

لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾، ويقول أيضاً: ﴿ **مـن يُطِـعِ الرَّسُـولَ فَقَـدْ أَطَـاعَ اللَّـهَ**﴾ . ويقول: ﴿ **وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا**﴾ .

فكيفَ يسوغُ لمن يدَّعي الإيمان بالله، ويُعلن محبة رسول الله صلى الله عليـه وسلم أنْ لا يكونُ له في باب المتابعة شيءٌ، بل ربما كان له في باب المخالفة لما جـاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم النصيب الأكبر، والحظ الأوفر، والنبي صلى الله عليه وسـلم يقـول: «كل أمتي يدخلـون الجنَّـةَ إلا من أبي، قالـوا: ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى ».

فاتقوا الله عباد الله واعرفوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم حقَّه، وتعرَّفوا على سنته، واتبعوه تهتدوا ، وتفلحوا.

واعلموا أنَّ الله أَمَرَكُم بالصلاة والسلام عليه فقال : ﴿ **إِنَّ اللَّـهَ وَمَلائِكَتَـهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾. اللهم صلِّ عـلى سيدنا محمد وعلى آلـه وصـحبه أجمعـين، وارض اللهـم عـن الـصحابة والقرابـة والتابعين ومن تـبعهم بإحـسان إلى يـوم الـدين وعنـا معهـم برحمتـك يـا أرحـم الراحمين. اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الـشرك والمـشركين ودمـر أعـداء الدين، واجعل هذا البلد آمناً وسائر بلاد المسلمين.

اللهم آمنا في أوطاننا وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا واجعل اللهم ولايتنا في من خافك واتقاك واتبع هداك طالباً رضاك يا رب العالمين. اللهم أصلح أحـوال المسلمين وفرج عنهم، وانصر المجاهدين، وفكَّ أسر المأسـورين، واقـضِ الـدين عن المدينين بفضلك يا أرحم الراحمين.

ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

٣- القضـــــاء والقـــــدر

الخطبة الأولى:

الحمدُ لله الملـكِ الجبـارِ، العزيـزِ القهـارِ، مكـوِّرِ الليـلِ والنهـارِ، ومقـدِّرِ الأقدار، يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريـد، يُعطـي ويمنـع، ويَـصلُ ويقطـع، ويُعـز ويُذل، ويحيي ويميت، لا مُعقب لحكمه، وهو سريع الحساب.

أحمده على ما قدر وقضى، من خير أو شر، فله الحمدُ على ذلك كلِّـهِ، حمـداً كثيراً، يليق بجلاله وكماله، سبحانه وتعالى عما يفتري المفترون، ويتوهم المتوهمون، له الحجة الدامغة، والحكمة البالغة، ما قضى قضاءً إلا بحكمة، عَلِمها من عَلِمها، وجَهلها من جهلها. لا حُكم إلا حكمُهُ، ولا أمرَ إلا أمرُهُ، إليه يُرجع الأمـرُ كُلُّـهُ، سرُّه وجهره، الأرض والسماوات في قبضته، والقلوب بين أصبعين مـن أصـابعه، يقلبها كيف يشاء، لا إله إلا هو، الواحد الأحد. ﴿ **وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ**﴾ ، يعلم دبيب النملة السوداء، على الصخرة الصماء، في الليلة الظلماء. يعلم ما ينزل بكم، وما يحلُ بدياركم، وما أنـتم قادمون عليه من أمر الدين والدنيا. يقول الله عز وجل مبيناً كمال علمه وإحاطتـه بخلقه: ﴿ **أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّـهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاء وَالأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَـابٍ إِنَّ ذَلِـكَ عَلَى اللَّـهِ يَسِيرٌ**﴾. ويقول عليه الصلاة والسلام: «إنَّ الله قدَّر مقادير الخلائق قبـل خلق السماوات والأرض، بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على المـاء»، أي أنَّ مـا يجري في هذا الكون، من الخير أو الشر، من الموت أو الحياة، من الحرب أو السلم،

كل ذلك قد فُرغ منه، ودُوِّن في اللوح المحفوظ قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، ولا قدرة لأحدٍ أن يبدِّل، أو يغير أمر الله. ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن،﴿ **وَمَا تَشَاؤُونَ إِلاَّ أَن يَشَاء اللَّـهُ إِنَّ اللَّـهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا**﴾.

فأين الصابرونُ على البلوى، المحتسبونَ أجورَهُم على الله عز وجل، الذين يتوكلون على الله، ويعلمون أن ما أصابهم لم يكن ليخطئهم، وما أخطأهم لم يكن ليصيبهم. أين نحنُ من نصيحةِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم لابن عباس رضي الله عنهما: « احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تُجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أنَّ الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله تعالى لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء، لم يضروك إلا بشيءٍ قد كتبه الله تعالى عليك، رُفعت الأقلام، وجفت الصحف » ، وفي رواية أخرى قال: « واعلم أنَّ النصر مع الصبر، وأنَّ الفرج مع الكرب، وأنَّ مع العسر يسراً».

قيل إنَّ الله عز وجل أوحى إلى داود عليه السلام: « يا داود، ما من عبدٍ يعتصم بي، دون خلقي، فتكيده السماوات والأرض، إلا جعلت له مخرجاً ». فأيُّما أحدٍ من الناس، أو أمةٍ من الأمم، اعتصموا بالله عز وجل، واتخذوا أسباب النصر، واستقاموا على منهجه، وتوكلوا عليه، إلا جاءهم النصر، والفرج، والفتح من حيث لا يعلمون،﴿ **إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ * يَوْمَ لا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّار** ﴾ ، ﴿ **الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللَّـهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ * فَانقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّـهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ**

سُوءٌ وَاتَّبَعُواْ رِضْوَانَ اللّـَهِ وَاللّـَهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾، ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللّـَهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللّـَهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللّـَهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ .

أيها الإخوة الكرام: إنَّ الآيات والأحاديث في هذا الباب كثيرة، وإنما المقصود هو أن لا يخالج صدورنا شك، في أنَّ الله هو المتصرف في عباده، وأنه لا قدرة لأحد، كائناً من كان، أن يَرُدَّ قضاءً أراده الله عز وجل، أو أن يُحدث أمراً لم يرده الله، أو أن يُعزَّ من أذلـه الله، أو أن يُذلَّ من أعزه الله. **﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْـمُلْكِ تُؤْتِي الْـمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْـمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء بِيَدِكَ الْـخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ، ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللّـَهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلاَ مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ﴾ ،﴿إِن يَنصُرْكُمُ اللّـَهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ وَعَلَى اللّـَهِ فَلْيَتَوَكِّلِ الْـمُؤْمِنُونَ﴾**.

يقول أمير المؤمنين، علي بن أبي طالب رضي الله عنه: « يا أيها الناس توكلوا على الله، واتقوه، فإنَّهُ يكفي ممن سواه »، وصدق أمير المؤمنين ؛ فإن الله يكفي ممن سواه، يقول الله عز وجل: **﴿أَلَيْسَ اللّـَهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ وَمَن يُضْلِلِ اللّـَهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ * وَمَن يَهْدِ اللّـَهُ فَمَا لَهُ مِن مُّضِلٍّ أَلَيْسَ اللّـَهُ بِعَزِيزٍ ذِي انتِقَامٍ﴾**، بلى إنَّ الله عزيزٌ لا يذلُ من استجار به، ولا يَضيعُ من لاذَ به، كما أنه عزوجل ينتقم لأوليائه من الظالمين المعاندين، الذين يسعون في الأرض فساداً، فيُهلك الظالمين وينجّي المؤمنين الصادقين.

اللهم أنت الأول، فليس قبلك شيء، وأنت الآخِرُ، فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر، فليس فوقك شيء، وأنت الباطن، فليس دونك شيء، نعوذ بعزتك وقدرتك: أن نُغتال أو نُهلك، أو نُشرَّد، أو نفجَّر، أو أن تُستباح أعراضنا،

وأموالنا، اللهم احفظنا بالإسلام قائمين، وبالإسلام قاعدين، وبالإسلام نائمين، ولا تُشمت بنا الأعداء، ولا الحاسدين، برحمتك يا أرحم الراحمين، اللهم لا تكلنا إلى أنفسنا ، ولا إلى أحد من خلقك طرفة عين ولا أقل من ذلك يارب العالمين.

أقول هذا القول، وأستغفر الله العظيم، من كل ذنب وخطيئةٍ وأتوب إليه، فتوبوا إليه، واستغفروه يغفر لكم، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمدُ لله وكفى، والصلاة والسلام على النبي الكريم المجتبى، وعلى آله وصحبه الأخيار الأطهار، أئمة الهدى، ومشاعل النور، وعلى من سار على منهجهم، واتبع طريقهم إلى يوم الدين، أما بعد:

فاتقوا الله عبادَ الله، وارجوا اليوم الآخر، ولا تعثوا في الأرض مفسدين . واعلموا أن الله لا تخفى عليه خافية، والسرُ عنده علانية، ﴿ **يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ** ﴾.

واعلموا أنَّ شأنَ الله عظيمٌ، لا تدركُهُ العقولُ، ولا تبلغه الأفهام، يقول الله عز وجل: ﴿ **وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ** ﴾ ، ويقول أيضاً: ﴿ **يَوْمَ نَطْوِي السَّماء كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَما بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ** ﴾. روى ابن عمر رضي الله عنهما: أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

« يأخذ الجبار سماواته وأرضيه بيده، ثم يقول: أنا الجبارُ، أنا الملكُ، أينَ الجبَّارون، أينَ المتكبرون ».

اللهُ أكبرُ، ما أعظمَ الله، ما أحلَمَ الله على الظالمين، ما أصبر الله على الطغاة والجبارين، الذين ينازعونه سلطانه في الأرض، وينصبون أنفسهم آلهة من دون الله، يُحلونَ ما حرَّمَ اللهُ، ويحرمون ما أحل الله، ويسفكون الدم الحرام، ويسعون في الأرض الفساد، أين هؤلاء الطغاة يوم القيامة، عندما يحشرهم الله على هيئة الذر، يطؤهم الناس بأقدامهم في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة.

أيها الإخوة الكرام: إن الله يمهل الظالم، فإذا أخذه، لم يفلته، ﴿ **وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ**﴾ . إنَّ الله يعلم ظلم الظالمين، ويعلم مكر الماكرين، ولكنه سبحانه وتعالى، لا يُعجِّل بالعقوبة، حتى تقوم الحجة، فيتوب العاصي، ويستغفر المذنب، يقول الله عز وجل: ﴿ **وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاء أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ**﴾، إن الذي يحدد موعد هلاك الظالمين هو الله عز وجل فلا يستأخرون عن موعدهم ساعة ولا يستقدمون، فإذا أخذهم – سبحانه وتعالى – كان أخذُهُ أليماً شديداً.

أيها المؤمنون : يا من آمنتم بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمدٍ صلى الله عليه وسلم رسولاً، تحققوا، وأيقنوا دون أدنى شك، بأن هذه المشكلات، وهذه الفتن العمياء، التي تعيشها الأمة في هذه الفترة العصيبة من تاريخها، إنما حلُّها بيد الله عز وجل، وليس حلُّها بيد أحدٍ من الناس، فالكل فقراء إلى الله،

والله هو الغني الحميد، الذي يقول في كتابه العزيز: ﴿ **إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُون * فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾، فاسألوه وحده، واستغيثوا به، وادعوه دعاء الغريق المشرف على الموت، دعاء المضطر، دعاء الخاشع المتذلل. واعلموا أنَّ من أهم شروط استجابة الدعاء: أكل الحلال، وردَّ المظالم إلى أهلها، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجماع ذلك: الاستقامةُ على منهجِ الله عز وجل. كما لابد من التوبة النصوح، الصادقة، التي نستمطر بها مَدَدَ الله، ونصره الذي لا يتخلف أبداً عن عباده المؤمنين: ﴿ **إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ**﴾ .

اللهم لك أسلمنا، وبك آمنا، وعليك توكلنا، وإليك أنبنا، وإليك المصير، اللهم نسألك بأنك الله الذي لا إله إلا أنت، الحنانُ المنانُ، بديعُ السماواتِ والأرضِ، تفعلُ ما تشاء، وتحكم ما تريد، أمرك بين الكاف والنون، نسألك بفقرنا إليك، وغناك عنا، أن تخرجنا والمسلمين من هذه الفتن العمياء مخرج صدق، وأن تحفظنا جميعاً من شرورها، وأن تقمع أهل الفسق والفساد، الذين يجلبون الدمار على العباد. اللهم إنا نعلم أنَّ ما أصابنا هو من عند أنفسنا، اللهم فأصلح فساد قلوبنا، وأصلح ما فسد من أحوالنا، وهب لنا ساعة توبة، تمحُو بها السيئات، وتقيل بها العثرات، إنك سميع الدعاء. اللهم أصلح وُلاة أمور المسلمين عامة، وولاتنا خاصة، واجعل اللهم ولايتنا في من خافك واتقاك، واتبع هداك طالباً رضاك يا رب العالمين. اللهم من أرادنا وأراد المسلمين، وأراد هذه البلاد بسوء،

فاشغله بنفسه، وردَّ كيده في نحره، وشتت شـمله، وفـرِّق جمعـه، واجعلـه عـبرةً لغيره.

اللهم وأبرم لهذه الأمة أمر رشدٍ، يُعَزُّ فيه أهل الطاعات، ويُـذلُّ فيـه أهـل المعاصـي والمنكـرات، ويُؤمَرُ فـيه بالمعروف ويُنهى فيـه عن المنكـر يا سميع الدعاء.

اللهم احفظ أولادَنَا وبناتِنَا من كلِّ سوءٍ، اللهم اجعلهم قرَّة عينٍ، وأنبتهم نباتاً حسناً، اللهم احفظ نساءنا، وأسبغ علـيهن جلبـاب الحيـاء، واحفظهـنَّ مـن دعاة الضلالة والفساد.

اللهم صلِّ وسلم وبارك على نبينا وسيدنا محمد، خـير البريـة، وعـلى آلـه وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

عباد الله إن الله يأمر بالعدل والإحسان، وإيتـاء ذي القربـى، وينهـى عـن الفحشاء والمنكر والبغي، يعظكم لعلكم تذكرون.

٤- مفهـــوم العبـــادة الشامـــل

الخطبة الأولى:

الحمدُ لله الـذي أعـزَّ المـؤمنينَ بطاعتِـهِ، وأذلَّ المخـالفينَ بمعـصيتِهِ، رفـع العابدين الطائعين، ووضع العاصين المنحرفين، أمر بالعبادة على منهجـه، ورتـب على ذلك الثواب، ونهى عن الاستكبار عن عبادته، وتوعَّد عـلى ذلـك بالعقـاب. أحمده وحده لا شريك له، بيَّن منهج العبادة، وحذَّر من طريق الغواية، فالحق فـيما شرع، والباطل فيما نهى، أكمل الطريقـة للعابـدين، ووضَّـح المسلك للـسائرين، فسبحانه ما أرحمه، وألطفه بعباده.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحـده لا شريـك لـه المستحق وحـده للعبـادة، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إمام العابدين، ورسول رب العالمين، بعثه بالهـدى ودين الحق ليظهره على الـدين كلـه ولـو كـره المـشركون، فبلـغ الرسـالة، وأدَّى الأمانة، وأقام الدين كما أرادَ ربُّ العالمين، فصلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم على الهدى والنور إلى يوم الدين.

أما بعد.. فاتقوا الله عباد الله، واعلموا أنَّـكم إنـَّما خُلقـتم للعبـادة، لـيس لكم في هذه الحياة مهمةٌ سوى العبادة: قال الله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُـدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ .

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّـهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ﴾ .

﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ .

﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ** ﴾ .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «حق الله على العباد: أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً ».

أيها الإخوة: إنَّ المقصودَ من العبوديةِ: كمالُ الذُّلِ والخضوعِ والطاعةِ لربِ العالمينَ، بحيث يشعر العابد بالفقر أمام من يملك الغنى، ويشعر بالحاجة أمام من يملك الضر والنفع، ويشعر بالضعف أمام من يملك القوة والجبروت، ويشعر بالجهل أمام من أحاط بكل شيء علماً. فبقدر ما يعرف العبد من عجز نفسه، ويعرف من كمال ربه : يزداد ذُلاً، وخضوعاً، وطاعة لله رب العالمين، فتسكن لذلك نفسه، ويطمئن إلى ذلك قلبه، حتى تصبحَ أوامرُ الله تعالى أحبَّ الأعمال لديه، وتصبح النواهي أبغض الأعمال لديه، حتى يبلغ العبد بطاعته وذلِّه لله درجة الولاية، فلا يكاد يصدر عنه إلا ما يُرضي الله تعالى، من الأقوال والأعمال الظاهرة والخفية.

أيها المسلمون: إنَّ الطبيعةَ الفطريةَ التي جُبل عليها الإنسان: لا تسمح له بأن يحيا في الحياة بغير عبادة، فإما أن يعبد الإله الحق المستحق للعبادة وحده، وإما أن يعبد آلهة أخرى كما قال الله تعالى:

﴿ **اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ** ﴾.

﴿ **أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ * وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ** ﴾ .

﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّـهُ عَلَى عِلْمٍ ﴾.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « تعس عبد الخميصة، تعس عبد الخميلة، إن أُعطي رضي، وإن لم يُعط لم يرض ».

فالإنسان: عبدٌ، فإما أن يكون عبداً لله تعالى، متحرراً من العبودية لغيره، معتزاً بانتمائه إلى الله تعالى، وإما أن يكون عبداً للشيطان، أو السلطان، أو الهوى، أو المال ونحوها من المعبودات الباطلة. فمن ظنَّ من العبيد: أنَّ له أن يخرج عن عبوديته لله تعالى، فليخرج عن ملك الله تعالى، وليتوسَّد أرضاً غير أرض الله، وليستظلَّ بسماء غير سماء الله، وليأكل من غير رزق الله. فإن عجز عن ذلك – وهو لا شك عاجز – فلا يستكبر عن عبادة الله، وليدخل مع المؤمنين، فإنَّ الأمر لله تعالى وحده، والخلق لله وحده، وليعلم أنَّ العبوديةَ نظامُ كونيٌ عام، شامل لكل الموجودات: العاقل والأعجمي، العظيم والحقير، الصغير والكبير كما قال الله تعالى: ﴿**إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا**﴾ ، ﴿ **تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَـكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ**﴾. فالرافض للعبودية: خارج عن نظام الكون، مخالف لطبيعة الحياة، وحقيقة الوجود.

أيها الإخوة: إذا كانَ هذا مقامَ العبادةِ في الإسلام، وأنَّها مهمةُ المكلفين التي لا تنقطع عنهم إلا بالموت كما قال الله تعالى: ﴿ **وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ**﴾ ، فما هي حقيقة العبادة، وما هي صورتها المثلى في منهج الإسلام؟ . إنَّ العبادة في التصور الإسلامي تشمل كلَّ ما يُحبُّهُ الله تعالى ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، سواء كان ذلك من الشعائر التعبدية كالصلاة،

والصيام، والحج ونحوها، أو من أعـمال القلـوب كالـصبر، والحلـم، والتوكـل، والإخـلاص ونحوهـا، أو كـان ذلـك مـن أعـمال الحيـاة الـدنيا كالتجـارات، والصناعات، والمعاملات ونحوها بحيث لا ينفك عن مفهوم العبـادة أيُّ جزئيـة قولية أو فعلية أو قلبية، أو حتى خاطرة فكرية عـابرة. كـل ذلـك يـدخل ضـمن مفهوم العبادة في التصور الإسلامي، كما قال الله تعالى: ﴿ **قُلْ إِنَّ صَـلاَتِي وَنُـسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّـهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾ ، وقال رسول الله صـلى الله عليـه وسـلم: « وفي بُضْع أحدكم صدقة، قالوا يا رسول الله أيأتي أحَدُنا شهوتَهُ ويكونُ له فيهـا أجـر؟ قال: أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزرٌ ؟ فكذلك إذا وضـعها في الحـلال كان له أجر »، وقال أيضاً: « إنَّ نفقتك على عيالك صدقة»، وقال: « مـا أطعمـت نفسك فهو لك صدقة » ، وقال: « ما من مسلم يغرس غرساً إلا كان ما أُكل منـه له صدقة، وما سُرق منه له صدقة، وما أَكَلَ السبع منه فهو له صدقة، ولا ينقُـصُهُ أحدٌ إلا كان له صدقة »، وفي روايـــة: « فلا يأكلُ منه إنـسانٌ ولا دابـةٌ ولا طـائرٌ إلا كان له صدقة إلى يوم القيامة »، وقال أيـضاً: « التـاجرُ الـصدوقُ الأمـينُ مـع النبيين والصديقين والشهداء»، وقال أيضاً: «من عاد مريضاً ناداه مناد من السماء: طبت وطاب ممشاك، وتبوأت من الجنة منزلاً »، وقال عليه الصلاة والسلام أيضاً: «عُرضت عليَّ أعمال أمتي حَسَنُها وسيِّئُها، فوجدت في محاسن أعمالها: الأذى يُماط عن الطريق».

أيها الإخوة: ماذا بقي خارج نطاق العبادة ؟ فإذا كانت الشعائر التعبديـة، والصلات الاجتماعية، والمعاملات الدنيوية كـل ذلـك يـدخل ضـمن التكـاليف العبادية التي يُحبها الله تعالى ويرضاها، ويُثيب عليها: دلَّ ذلك عـلى أن العبـادة في

التصور الإسـلامي منهج المسلم في الحياة كلِّها، مادام موافقاً لشريعة الله تعالى. فكل أعمال المؤمن عبادة، لا يُستثنى من ذلك شيء. فعبادة القلب: الإخلاص، والمحبة، والتوكل ونحوها، وعبادة العقل التفكر والتدبر وحسن النظر، وعبادة الجسد المحافظة عليه، والقيام بالعبادات الجسدية سواء كانت شعائر تعبدية كالصلاة، والصيام، والحج، أو كانت صناعات أو تجارات، أو خدمات. فالمؤمن الحق هو الذي يُضْفي على أعماله كلِّها طابع الإيمان حتى تتحول عاداته إلى عبادات، وملذاته إلى قربات. حتى إنَّهُ ليحتسبُ الأجرَ في النومِ والأكلِ كما يحتسبُهُ في الصلاةِ والزكاةِ والصيامِ .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الألْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّـهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ** ﴾ .

أقول هذا القول وأستغفر الله تعالى لي ولكم.

الخطبة الثانية :

الحمدُ لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، أحمده وأستعينه وأستهديه، وأعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلله فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، خيرُ العابدينَ، وإمامُ الطائعينَ، عبدَ ربَّهُ بالشعائر التعبدية، فقامَ حتى تفطرت قدماه، وصام حتى قيل لا يُفطر، وحجَّ كأكمل ما يكون. وعبد ربه

بالجهاد في سبيله حتى كان أقربَ إلى الموتِ من أيِّ أحد. وعبد ربه بدعوةِ النـاسِ إلى الخير، وتعليمهم الدين، وعبدَ ربه بالمعاملات فكان خير بـائع، وخـير مـشترٍ، وخير دائن، وخير مدين، وعبدَ ربه بحسن الصحبة فكان خير الناس لأصـحابه، وألطف الناس بأهله. فصلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه إلى يوم القيامة.

أيها المسلمون: إنَّ هذا التصور لنهج العبـادة في الإسـلام لم يعـد في حـسِّ المسلمين واضحاً كما هو عند الـسلف الـصالح، فقـد انحـسر مفهـوم العبـادة في حدود الشعائر التعبدية كالصلاة والصيام ونحوهما، فلا يجد أحدهم غـضاضة في أن يكون مصلياً صائماً حاجاً في الوقت الذي يأكل فيه الربا، ويغش في المعاملات، ظاناً أنه في المعاملات الدنيوية خارج نطاق العبادة. حتـى إن الأمـة لتُنحَّـى عنهـا الشريعة بكاملها فلا تبـالي مـادام أنهـا تـصلي وتـصوم، وكـأن الـصلاة والـصيام ونحوها من الشعائر التعبدية تُغني عن باقي شرائع الله تعالى التي تُنظم حياة الأمة في كل جزئياتها وكلياتها.

إنَّ مفهومَ العبادة في التصور الإسلامي لا يقبلُ التجزئـة، فإمـا أن تكـون العبادة لله تعالى وحده لا شريك له في كل شؤون الحياة، وإمـا أن تكـون للأنـداد والأرباب يتجاذبون العباد في دروب الغواية والضلال.

أيها الإخوة: إنَّ قبولَ المؤمنِ ضمن زُمرة عباد الرحمن الطـائعين يفتقـر إلى شرطين، أحدهما: الإخلاص لله تعالى، فلا يرجو المؤمن بعمله إلا وجه الله تعـالى، والدار الآخرة، كما قال الله تعالى: ﴿ **فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا**﴾ ، وقوله أيضاً: ﴿ **فَاعْبُدِ اللَّـهَ مُخْلِصًا لَّـهُ الـدِّينَ * أَلا لِلَّـهِ الدِّينُ الْخَـالِصُ**﴾، وقوله تعالى: ﴿ **وَمَا أُمِـرُوا إِلاَّ لِيَعْبُـدُوا اللَّـهَ مُخْلِصِينَ لَـهُ**

الدِّينَ﴾ . وفي الحديث القدسـي قال الله تعالى: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك معيَ فيه غيري تركتُهُ وشركه».

وأما الشرط الثاني لصحة العبادة: فالمتابعة لمن خوَّله الله تعالى لهداية الناس، وإرشادهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذي يقول: «من عمل عملاً ليس عليه أمرُنا فهو رد»، ويقول: «خذوا عني مناسِكَكُم »، ويقول: «صلوا كما رأيتموني أصلي»، ويقول أيضاً: « فعليكم بسنتي، وسنةَ الخلفاءِ الراشدينَ المهديين، عَضُّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة».

أيها المسلمون: إنَّهُ لا ينبغي أن يظنَّ ظانٌّ: أن العبادة في التصور الإسلامي جاءت للعنت والمشقة، وتكليف الناس فوق طاقتهم، فإن الرسول صلى الله عليه وسلم إنما بُعث بالحنيفية السمحة، والشريعة بُنيت على رفع الحرج، ودفع المشقة، كما قال الله تعالى: ﴿ **مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾**، وقوله تعالى: ﴿ **يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾**. فهذا أيها المسلمون منهج العبادة في الإسلام: شمول وكمال، ورحمة ويسر، فسيروا إلى الله على منهجه، وتحققوا بالعبادة في كل شؤون حياتكم حتى لا يفقد أحدُكم ثواب لحظة قضاها في هذه الحياة بغير ثواب عند الله تعالى.

ألا وصلوا على البشير النذير، الذي علمكم الخير ودلكم عليه: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾**، اللهم صلِّ وسلم على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين،

وارض اللهم عن الصحابة والقرابة والتابعين ومن تـبعهم إلى يـوم الـدين، وعنـا معهم برحمتك يا أرحم الراحمين. اللهم أعـزَّ الإسـلام والمسلمين، وأذل الـشرك والمشركين ودمر أعداء الدين، واجعل هذا البلد آمناً مطمئناً وسائر بلاد المسلمين، اللهم آمنا في أوطاننا وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا واجعـل اللهـم ولايتنـا في مـن خافك واتقاك واتبع هداك طالباً رضاك يـا رب العـالمين. اللهـم أصـلح أحـوال المسلمين، واكشف عنهم كل شدة وكربة، وأبدلها رخاء ونعمة.

عباد الله إنَّ اللهَ يأمرُ بالعـدلِ والإحـسانِ وإيتـاءِ ذي القربـى وينهـى عـن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون.

٥- مقــــام التــقـــــــوى

الخطبة الأولى:

الحمد لله وليِّ المتقين، وخالق الخلق أجمعين. أحمدُهُ وحده لا شريك له في أُلوهيته، ولا ند له في ربوبيته، يُحب المتقين الأبرار، ويبغض الفاجرين الأشرار. رفع منازل الأتقياء الأخيار، ووضع مراتب الفاسقين الأشرار. قضى في كتابه لأهل التقوى بالفلاح، فجعلهم في الدنيا أكرم الناس، فلا يفضلهم أحد إلا بزيادة التقوى، وجعل لهم بالتقوى من كل ضيق مخرجاً، ومن كل هم فرجاً، حتى مكَّن لهم في الأرض، وفتح لهم من كنوزها، وآتاهم العلم والحكمة، حتى أصبحوا أعز الخلائق أنفُساً، وأنورهم قلوباً، وأطيبهم عيشاً. يستأنسون إذا استوحش الناس، ويأمنون إذا خاف الناس. يزهدون فيما يطمع فيه الطامعون، ويطمعون فيما يزهد فيه الزاهدون. طمعُهم فيما يُقرِّب من الله تعالى، وزهدهم فيما يباعد عنه سبحانه. لا يأنسون لما يُطرب الناس، فقلوبهم مملوءةٌ بحب الله تعالى. أنْسهم بذكره، فعنده يبثُّون همومهم، وعلى بابه يضعون رحالهم، وعند أعتابه يطلبون حوائجهم. فهو جلَّ جلاله مقصودَهم الأوحد،إليه يرفعون أيديَهم، فهو ملاذُهم عند الكروب، وسندهم عند الخطوب. قد نفضوا أيديَهم من الخلق، فلم يعد في قلوبهم تعلق بغير الله تعالى، صدورهم عامرة بحبه، وألسنتهم تلهج بذكره. قد تركوا محبوباتهم لمحبوبات الله تعالى، وهجروا شهواتهم لمراد الله تعالى، يتلمسون بالتقوى تفريج الكروب، والنجاة من المصائب والخطوب. فبالتقوى تُفتح الأبواب المغلقة، وبها تُقضى الحاجات المعطلة، فكم من فقير أغناه الله بالتقوى، وكم من ذليل أعزه الله

بالتقوى، وكم من خائف أمنَّه الله بالتقوى، قال الله تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّـهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ** ﴾، وقال: ﴿ **وَيُنَجِّي اللَّـهُ الَّذِينَ اتَّقَوا بِمَفَازَتِهِمْ لا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴾، وقال أيضاً: ﴿ **أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللَّـهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ** ﴾ ، وقال أيضاً: ﴿ **إِنَّ الْـمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ** ﴾.

أيها المسلمون: إن خير ما يتواصى به الصالحون: تقوى الله عز وجل، فهي الزاد للمعاد كما قال الله تعالى: ﴿ **وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى** ﴾ . فاتقوا الله عباد الله، وارجو الله تعالى واليوم الآخر، وبادروا آجالكم بالأعمال الصالحة، وابتاعوا ما يبقى لكم في الآخرة بما يزول عنكم في هذه الحياة الدنيا، واستعدوا للموت فقد أظلَّتكم أسبابه، وأعدوا للآخرة فقد جاءتكم أشراطُها. واعلموا أن الدنيا ليست لكم بدار، وإنما الدار الجنة أو النار. فكم درج على هذه الأرض من الخلائق، وكم سلك سُبُلَها من البشر، وكم وطئ أوديتها من الناس، ثم مضوا جميعاً إلى دُورهم عند الله تعالى ، فلم يبقَ منهم إلا الآثار ، فها هي دورُهم شيَّدُوها وبنوْها، فلم يعمروها إلا قليلاً، حتى خرمتهم المنية، فأفلستهم بعد غنى، وأذلتهم بعد عز، وحطَّتهم بعد رفعة. فتقطعت عنهم الأسباب، وعجز عن نفعهم الأصحاب، ويئس منهم الأحباب. فلم يعد لأحدهم إلا زاد التقوى يرد به فواجع الغيب، ويخفِّف به من هول المطلع. فأعدوا أيها المسلمون لمقام بين يدي الله تعالى، قد عَنَت فيه الوجوه للحي القيوم، وخشعت فيه الأصوات، وذلَّ فيه الجبارون، وتضعضع فيه المتكبرون، واستسلم فيه الأولون والآخرون، وقد جمعهم الواحد القهار في مقام واحد ليس لأحد فيه علم، جمعهم بعد طول البلى في القبور، جمعهم للفصل والقضاء، في يوم آلى الله فيه على نفسه أن لا يترك أحداً من المكلفين

إلا سأله عن عمله في سره وعلانيته، فانظروا عباد الله بأي بدن تقفون، وبأي قول تُجيبون. فأعدوا للسؤال جواباً، وللجواب صواباً، قال الله تعالى: ﴿ **وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْاْ مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُواْ خَيْرًا لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ * جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآؤُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُواْ الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾.

أيها الإخوة الكرام: إنَّ التقوى التي وعد الله تعالى أهلها بالفوز والفلاح ليست دعوى يدَّعيها المرء، أو أمنية يرجوها، وإنما هي حقيقة قلبية، وترجمة سلوكية، فهي مشاعر من الخشية يجدها المؤمن في نفسه، تدفعه إلى مرضاة الله تعالى. فظاهرها المحافظة على حدود الله تعالى، وباطنها: صدق النية والإخلاص. فالتقي قائم بأوامر الله تعالى، متجنب لمناهيه ومحرماته، يصون نفسه عما تجب به العقوبة: بفعل المأمور، وترك المحظور. فهو عامل بطاعة الله تعالى على نور من الله، يرجو ثوابه، ويخاف عقابه.

فالتقي أيها الأخوة مُلْجمٌ بلجام الشرع، مربوطٌ بحبل التوحيد، هواه فيما أحب الله تعالى وشرع، وبُغْضه فيما نهى الله عنه وزجر. إذا أصابته السراء شكر، وإذا أصابته الضراء صبر، قلبه عامر بالرضى، ولسانه يفيض بالثناء. لا يفرح من الدنيا إلا بالطاعة، ولا يحزن إلا على المعصية. شره بعيد، وخيره قريب. قد أمِنَهُ الناس على أنفسهم وأعراضهم وأموالهم، فلا يصلهم منه إلا الطيب، ولا يسمعون منه إلا الحسن.

أيهـا المـسلمون: اعلمـوا أنَّ أدنـى مراتـبِ التقـوى: القيـامُ بـالفروض والواجبات، واجتناب المناهي والمحرمات، مع إيمان صادق، وعقيـدة صـحيحة. وأما أعلى مراتبها: فاجتناب المكروهات، والحذر من المُشتبهات، وتوقِّي كثير مـن فضول المباحات. فإن العبد لا يبلغ مبلغ الأتقياء الأبرار حتى يدعَ ما لا بـأس بـه حذراً مما به البأس. والله عزَّ وجلَّ أَمَرَ عباده المؤمنين بأن يتقوه حق التقوى، وهذه المرتبة العظيمة لا ينالها العبد إلا أن يداوم على طاعـة الله تعـالى فـلا يعـصيه، وأن يذكره في كل أحواله فلا ينساه، وأن يشكره على كل نعمة فلا يكفره، وأن يـرضى بقضائه فلا يسْخطه.

أيها الإخوة المؤمنون : إنَّ ميادينَ التقوى ليست مقصورة عـلى العبـادات، وشيء من المعاملات، وأنواع من السلوكيات؛ بل هـي في الحقيقـة شـعورٌ شـاملٌ ينتظم كلَّ مرافق الحياة الدنيا، ويدخل في كلِّ ميادينها ونـشاطاتها. بحيـث يجـدها المؤمن في كل باب من أبـواب الحيـاة، وفي كلِّ جزئيـــة من جزئياتها، حتى إنَّـهُ لا تواجهه قضيةٌ من قضايا الحيـاة، أو عبـادة مـن العبـادات، حتـى خـاطرة مـن الخواطر: إلا ويجد موقعاً للتقوى، يشعر به في قرارة نفسه. فينفع الله بهـذا الـوازع النفسي السعداء من عباده، فيوفقهم إلى مسلك التقوى، فلا يخطو أحـدهم بقدمـه إلا فيما يُرضي الله تعالى، ولا يبطش بيده إلا في سبيل الله، ولا ينظر بعينيه إلا إلى ما أباح الله، ولا يسمع بأذنيه إلا ما يجوز من الحق والخير. فما يزال أحدهم يجاهـد في هذه الدروب، ويتصبَّر في هـذه المـسالك، حتـى يكتـب الله لـه رضـوانه إلى يـوم القيامة.

وأما التُعساءُ الذينَ لا ينتفعونَ بوازع التقوى في نفوسهم، فلا يجـدون لهـا

موقعاً في حياتهم، فلا يبالي أحدهم في عباداتـــه: صحيحـــــة كانـت أو باطلـة، ولا يكترث لمعاملاته: مشروعة كانت أو محرمة، إنما همُّـه الـدنيا، يفـرح بعَمارهـا، ويحزن لخرابها. فهذا الصنف من الناس لا يبالي الله تعالى به في أي وادٍ هلك، أو في أي دربٍ ضل.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ **وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْـهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا** ﴾ .

أقول ما سمعتم وأستغفر الله تعالى لي ولكم فاسـتغفروه إنـه هـو الغفـور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمدُ لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، أحمده وأسـتعينه وأسـتغفره، وأعـوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومـن يـضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

أما بعد: فاتقوا الله عبـاد ا لله، واعلمـوا أنَّ مقـام التقـوى شـامل لجميـع المؤمنين، لا يخصُّ فئةً دونَ فئةٍ، فكل فـرد مكلّـف في المجتمـع عليـه أن يتقـي الله تعالى قدر استطاعته، فإن الله تعالى لا يكلف عباده فوق طاقاتهم. فليست التقـوى خاصة بالأنبياء، أو العلماء، أو الدعاة، أو بمـن يُـسمَّون بالمتـدينين، أو المطاوعـة. وإنما التقوى دينٌ يشمل جميع المكلفين، كلاً بحسبه، لا يُستثنى منهم أحـد. سـواء

كان غنياً أو فقيراً، متعلماً أو أمياً، عالماً أو متعلماً، رئيساً أو مرؤوساً. فالكل مطالبٌ بالتقوى، بقدر ما آتاه الله من المعرفة بحدوده، وبقدر ما أقام عليه من حجَّتِهِ في القرآن أو السنة. فليست التقوى مقصورة على أناس دون أناس. فكم من غني فتح الله تعالى عليه كنوز الأرض، وآتاه من الأموال والجاه، ومع ذلك فاق كثيراً من الفقراء في التقوى. وكم من أمِّي لا يعرف القراءة ولا الكتابة، ومع ذلك يحمل في نفسه من آثار التقوى أضعاف ما يحمله كثير من المتعلمين والمثقفين. وكم من مسؤول رفيع المستوى، نال أعلى المناصب، ومع ذلك تعصمه التقوى من المظالم، وتضييع الحقوق. في الوقت الذي تجد فيه بعض صغار الموظفين لا يبالي أحدهم بواجباته، ولا يكترث لحقوق الناس. بل ربما وجدت الفقير من الناس يحمل في نفسه من معاني البطش والكبر والغرور، ما قد يفوق كثيراً من ظلمة الأغنياء. وربما وجدت في بعض الجهلة من الأميين من الزهو والاستعلاء والفخر ما يفوق المفتون بالعلم ممن حاز أعلى الشهادات، وحصل على كثير من المعارف.

ومن هنا أيها الأخوة ندرك أنَّ التقوى ليست خاصةً بأناس دون آخرين، إنما هي حقيقة مستقرة في قلب المؤمن الصالح، تعكس آثارها الخُلُقية في سلوكه، سواء كان ذلك في عباداته، أو معاملاته، بحيث تشمل التقوى كلَّ تفصيلات حياته، المعلنة منها والخفية، الظاهرة منها والباطنة، فلا يعرف لأعماله إلا قالب التقوى يصبُّها فيه، ويزنها به.

اللهم املأ قلوبنا من خشيتك، واستر عيوبنا برحمتك، واجعل التقوى سبيلنا إلى جنتك.

أكثروا من الصلاة والسلام على أتقى البرية أجمعين، فقد أمركم الله تعالى بذلك: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾.

اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد. اللهم ارض عن الصحابة والقرابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وارض عنا معهم برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين وأذل الشرك والمشركين ودمر أعداء الدين واجعل هذا البلد آمناً مطمئناً وسائر بلاد المسلمين.

اللهم آمنا في أوطاننا وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا واجعل اللهم ولايتنا فيمن خافك واتقاك واتبع هداك طالباً رضاك يا رب العالمين.

اللهم آت نفوسنا تقواها وزكِّها أنت خير من زكاها أنت وليُّها ومولاها.

اللهم أصلح أحوال المسلمين في كل مكان، واكشف عنهم كلَّ شدة وكربة، وابدلها رخاء ونعمة برحمتك يا أرحم الراحمين.

عباد الله إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون.

٦- أهمية التقوى لمفاسد آخر الزمان

الخطبة الأولى:

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، خير نبي أرسله بالهدى والنور، فبلغ الرسالة وأدَّى الأمانة ونصح الأمة، حتى تركها على المحجَّةِ البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك ضال. أما بعد فإن خير الكلام كلام الله تعالى، وخير الهدي، هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكلَّ محدثة بدعة، وكلَّ بدعة ضلالة، وكلَّ ضلالة في النار.

أيها المسلمون: أوصيكم وإيَّاي بتقوى الله تعالى، فهي رأس الأمر، وأساسه وبناؤه، بها يُستجلبُ الخير، وبها يُدفع الشر. من حاز التقوى فقد حاز الخير كلَّه، ومن فقدها فقد خسر الخير كلَّه.

قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾، وقال أيضاً: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ**﴾، وقال أيضاً: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**﴾. ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم في شأن التقوى ناصحاً أصحابه: « أُوصيك بتقوى الله، فإنه رأس كلِّ شيء »، ويقول: « اتقوا النار ولو بشق تمرة»، ويقول أيضاً: «اتق اللهَ حيثما كنت، وأتبعِ السيئةَ الحسنةَ تمحها، وخالقِ الناس بخلق حسن »، ويقول أيضاً

عليه الصلاة والسلام: «إن الله يحب العبد التقيَّ الغنيَّ الخفي». ويقول أيضاً: « لا يبلغ العبدُ أن يكون من المتقين حتى يدعَ ما لا بأس به حذراً مما به البأس ». وفي هذا المعنى يقول أبو الدرداء رضي الله تعالى عنه: « تمامُ التقوى أن يتقيَ اللهَ العبدُ حتى يتقيَهُ من مثقال ذرة، وحتى يتركَ بعضَ ما يرى أنه حلالٌ خشية أن يكون حراماً »، ويقول عمر بن عبد العزيز رحمه الله: « التقي ملجمٌ لا يفعل كلَّ ما يُريد».

أيها الإخوة: إن مقام التقوى، مقام مطلوب من كل مسلم، لا يختص بأناس دون آخرين، كما أنه مسلكٌ عامٌ لا يخصُ جانباً دون آخر، كما أنه صفةٌ للمسلم في كل جيل، لا يختص بزمانٍ دون آخر. ولئن كان الجيلُ الأولُ في قرون الإسلام المفضلة قد تمثَّل مقام التقوى كأحسن ما يكون؛ فإن الأجيال المتأخرة من المسلمين أحوجُ ما تكونُ إلى هذا المقام، وأفقرُ ما تكونُ إليه؛ وذلك لأن معانيَ التقوى ومقاماتها في قلب المؤمن وسلوكه: تضيع حقيقتها في زمن الغربة، ويضعفُ أثرها في آخر الزمان، حتى غدتِ التقوى في هذا الزمان مسْلكاً مهجوراً، وعملاً منبوذاً، لا يتعامل بها إلا نوادرُ الناس، ولا يحرص عليها إلا أفرادٌ من المجتمع، حتى قال القائل: ليس هذا زمنُ التقوى، وقال آخرُ : ليس هذا زمنُ الورع، وكأن فرضَ التقوى ليس لازماً لأهل هذا العصر، وإنما يكفيهم من الإسلام اسمه، ويُغنيهم من الإيمان رسمه.

أيها الإخوة المسلمون : إنَّ ما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبدُّل أحوال الناس في آخر الزمان، وظهور الفتن، والأمور العظيمة، التي تنتزع الإيمان من أصوله، وتقتلع الأخلاق من جذورها، وتجعلُ الحليمَ حيرانَ،

والشجاع خوَّاراً، هذه الأخبارُ التي أشار إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديثه عن أشراط الساعة الصغرى: قد وقع غالبها في حياة المسلمين اليوم بصورة خاصة، وفي حياة الشعوب الأخرى بصورة عامة، فهذا الإيمانُ، ركنُ الدين، وأساسهُ الأول: قد دخله الخور، وطال عليه الأمد، حتى قست القلوب، وقلَّ الخشوع، وظهرتِ الردةُ، والاستهزاءُ بالدين، وانتشرتِ البدعُ والخرافات، وعُظِّمت القبور والمزارات، وتحاكم الناس إلى غير الشريعة، واستسلموا لحكم الطاغوت، ولم يعُد الحبُّ لله أو البغضُ فيه، وإنما هو الهوى يُشرِّق بالناس ويُغرِّب بهم. وهذا الجانب الأخلاقيِ، الذي جاء الإسلام ليُتمِّمَهُ في هذه الأمة: قد دخله التغيير والتبديل، حتى فشا الخداع والكذب، والغش والاحتكار، وشُرب الخمر، وعُزِفَ بالآلات، وانتشر الزنا، وتيسَّرتْ سُبُلُهُ، وقلَّ الحلال، وتعسَّرت طُرُقُهُ. وظهر الشذوذ، حتى اكتفى الرجال بالرجال، والنساء بالنساء.

وهذا الجانب الاجتماعي، الذي جعله الإسلام كالبنيان يشدُّ بعضه بعضاً، قد دخله الخور، فظهر العقوق، وتقطعت الأرحام، وساء الجوار، وتجرَّأ الصغار، وذلَّ الكبار، وتهاجر الناسُ لأتفه الأسباب، وتشاكوْا في أقلِّ الملمات، وفشت أمراض القلوب من الغل والحسد والبغضاء، وعمَّت أمراض الألسنة من الغيبة والنميمة والزور. وأمَّا الجانب الاقتصادي الذي تقوم عليه مصالح الناس ومعاشُهم، فقد دخله الخلل حين اختلط مفهوم التنمية بالربا، حتى عمَّ الدنيا بمفاسده، فدخل مع الناس في أرزاقهم، فذهبت البركة، وحلَّت النقمة، وظهر الشح والبخل، وتقاربت الأسواق حتى قلَّت أرباحها، وانقطع من السماء قطْرُها، ومُنع من الأرض نبْتها، فظهرت المجاعات، وقلَّت البركات، حتى ما يجد بعضهم

الماء الذي يشربونه، أو الطعام الذي يأكلونه. وبخل الأغنياء بأموالهم فلا يبـذلون فرضاً ولا نفلاً، وعَجَزَ كثير من الشباب عن العمل، فلا يجدون وظيفة ولا مهنة.

وأما الجانب الصحّي الذي جاء الإسلام للحفاظ عليه، حتى جعل حفظ النفس مقـصداً مـن مقاصـده، فهـذه الأمـراض بأنواعهـا: النفـسية، والعقليـة، والجسمية. أخذت تفتك بكثير من الناس، حتى ما تكاد تجد أسرةً إلا وقد دخلهـا شيء من هذه الأمراض الغريبة، التي لم تكن معروفة في السابق، فمنهم من تأخذه في عقله فتصرعه كالمجنون، ومنهم من تأخذه في نفسه فتراه كالمعتوه، ومـنهم مـن تأخذه في بدنه، فلا تدعه حتى يموت.

وأما الجانب السياسي، الـذي جـاء الإسـلامُ بإحكامِـهِ، وضـبطِ أركانِـهِ، ضمن منظومتـه الـشرعية، المتـضمنة لوحـدة الـصف، واجـتماع الـشمل، وقـوة الشوكة، وحماية الثغور، ونشر الـدين والعـدل. فـإذا بهـذا الجانـب ينـتقضُ عـلى المسلمينَ من أساسِهِ، فتتغير معالمه، وتتبدل مقاصده، حتى تكون السياسة ما شرَّع الكفار، والعدل ما نصَّت عليه الأمم المتحدة، والحق ما اتفقت عليه الشعوب، في ظل سيطرة الأقوياء، فيفرضون على الـضعفاء قـوانينهم، ويُلزمـون المستـضعفين قراراتهم، حتى لم يعد للشعوب الإسلامية خـصوصيتها الاعتقاديـة والأخلاقيـة والاجتماعية، إلى أن وصل بهـم الحـالُ أن يفرِضُـوا مـن خـلال مـؤتمرات الأسرةِ والمـرأةِ عـلى شـعوب العـالم نظامـاً جديـداً للحيـاة الاجتماعيـة يوافـق أمـراض المجتمعات الغربية وفسادها، ويهدم نظام الأسرة ووحدتها، ضمن قـوانين وبنـودٍ يخجل العاقل من ذكرها. ومن المعلوم أنَّ قانونَ الأحوالِ الشخـصيةِ الإسـلامي هو آخر معقلٍ للإسلام في ديار المسلمين، بعد أن لم يعد للشريعة مكانٌ تُمارسُ فيه

إلا فيما يتعلق بأحوال الناس الشخصية، وهاهو النظام العالمي الجديد يضرب بمعوله الهدَّام آخر صرحٍ لهذا الدين، وآخر معقلٍ من معاقله.

أيها الإخوة الكرام: إنَّ هذا الفساد العام، الذي تحياهُ أمة الإسلام، وتعاني مرارته وآلامه، وتقاسي جحيمه وأحزانه، أليس كلُّ هذا مردُّهُ إلى ضعف التقوى، واضمحلال حقيقتها، وذهاب أثرها، فكيف يقول القائل لسنا في زمن التقوى، بل نحن اليوم أشدُّ ما نكون حاجة إلى التقوى، نستجلب بها مدد الله تعالى، ونستمطر بها نعمته، وندفع بها نقمته. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ **ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا* وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا**﴾. بارك الله لي ولكم في القرآن الكريم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمدُ لله مُعيد النعم، ومُبيدِ النقم، يُعزُّ من يشاءُ بطاعته، ويُذل من يشاء بمعصيته. أنزل كتابه بالحق، وأرسل رسوله بالهدى، فالحق فيما أنزل، والهُدى في منْ أرسل، فمن رام الخير في غير كتاب الله هلك، ومن طلب الهدى في غير سنة نبيه صلى الله عليه وسلم ضلَّ. فاتقوا الله عباد الله، واعلموا أنكم في آخر الزمان، خُلقْتُم في أعقاب الدهر، قد فاتتكم أشراط الساعة الصغرى، فعمَّت ديارَكم، وإنما تنتظرون العلامات الكبرى، والطامات العظمى، التي لا ينجو منها

إلا معصوم، ولا يسلم منها إلا محظوظ، وليس وراء ذلك إلا الساعة، والساعة أدهى وأمر، فإنها لا تقوم إلا على شرار الناس، فكونوا من خيارهم تنجوْا وتَسْلموا.

أيها الإخوة المسلمون: إذا كان هذا واقعَ الأمم اليوم، من حيث استحكامُ الضلالُ، وانتشارُ الغفلة، وعمومُ الفساد، فإن الله تعالى لم يكن ليترك أمة الإسلام لتضلَّ في هذه السُّبل المتفرقة، والطرق المتعرِّجة، فقد جعل لها المخرج في هدي كتابه، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وفي هذا يقول سبحانه وتعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إَن تَتَّقُواْ اللَّـهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللّـهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ**﴾ ، ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم: « أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإن عبداً حبشياً، فإنَّـهُ من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسَّكوا بها، وعَضُّوا عليها بالنواجذ، وإيَّاكُم ومُحدثاتِ الأمور، فإنَّ كلَّ مُحدثة بدعة، وكلَّ بدعة ضلالة ».

أيها الإخوة: هذا هو الزاد، زاد التقوى، المتضمن للاستمساك بالكتاب والسنة، فهو عُدةُ الطريق في الحياة الدنيا، به يميِّز المسلم بين الخير والشر، وبه يتحقق النصر، وبه تحصل النجاة، فهو وعْدُ الله الذي لايتخلَّف، وسنته الماضية في خلقه، ﴿ **إِنَّ اللَّـهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّـهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلاَ مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ**﴾.

٧- لحظة الموت بين الخوف والرجاء

الخطبة الأولى:

الحمدُ لله الماضي أمرُهُ، النافذِ حكمُهُ، الباسطِ سلطانُهُ، قضى بالفناء على الخلائق أجمعين، واختص بالبقاء دون العالمين. ليس من حيٍّ إلا والموت أمامَهُ، فمُسْتريحٌ أومُسْتَرَاحٌ منه. فالحمدُ لله بالموت رحمةً للمؤمنين، ونجاة للخائفين، وفوزاً للصالحين. والحمد لله بالموت قصَمَ به رقاب الجبابرة، وكسر به ظهور الأكاسرة، وقصَّر به آمال القياصرة الذين لم تزل قلوبهم عن ذكر الموت نافرة، حتى جاءهم الوعد الحق فأرْدَاهم في الحافرة، فنُقلوا من القصور إلى القبور، ومن أنوار المهود إلى ظلمة اللحود، ومن المضجع الوثير إلى المصرع الوبيل، ومن ملاعبة الجواري والغِلمان، إلى مُقاساة الهوام والديدان، ومن التَّنَعُّم بالطعام والشراب إلى التمرغ في الوحل والتراب، ومن أنس العشرة بالأحباب والأصحاب، إلى وحشة الوحدة بالرزايا والصعاب. فسبحان من انفرد بالقهر والاستيلاء، واستأثر بالملك والبقاء، وأذلَّ أصناف الخلق بما كتب عليهم من الفناء.

أما بعد فاتقوا الله عباد الله وأعدُّوا ليوم المصرع، أعدِّوا ليوم تخرُّ فيه القوى، وتخور فيه العزائم، وتنقطع فيه الأسباب، أعدوا ليوم يعجز فيه الطبيب، ويحار فيه الحبيب، فلا الدواء ينفع، ولا الدعاء يُسمع. أعدوا ليوم يطيش فيه العقل، وينعقد فيه اللسان، ويضطرب فيه الجنان، وتُشلُّ معه الأبدان، فلا منجى من الله إلا إليه.

أيها الإخوة: إنَّ الموت خطرٌ عظيم، وهولٌ جسيم، وفتنة كبرى، حار في حقيقته العقلاء، وعَجَزَ عن كنهه الفطناء، لا يعرف حقيقته إلا من ذاقه، ومن ذاقه لا يعود إلى الدنيا أبداً. ولو قُدِّر أن يعود إليها: فأخبر بما رأى، وحدَّث بما عاين: لأفسد على أهل الدنيا معايشهم، وعطل عليهم مكاسبهم، فلا ينتفعوا بعيش، ولا يهنأوا بنوم. وهذا من فضل الله تعالى وحكمته أن جعل الموت سراً من أسراره، فلا يعرف حقيقته ووقته إلا الله، فيتحقق من ذلك مصلحة الدنيا وعمارتها من جهة، ويتحقق من جهة أخرى امتحان العباد وابتلاؤهم بالإيمان والعمل الصالح، كما قال المولى عز وجل: ﴿ **تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ** ﴾ .

أيها المسلمون : لقد قصَّ الله تعالى علينا في كتابه خبرَ الموت، وبيَّن لنا مُباغتتَه للعبد، ووضَّح لنا موقف الإنسان من حضوره. وفي هذه الآيات العبرة كلُّ العبرة ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ **كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَما الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ** ﴾. ويقول أيضاً: ﴿ **وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلآئِكَةُ بَاسِطُواْ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُواْ أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ** ﴾. ويقول أيضاً: ﴿ **حَتَّى إِذَا جَاء أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ** ﴾ وقال أيضاً: ﴿ **فَلَوْلا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ * وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ * وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لاَّ تُبْصِرُونَ ***

﴿فَلَوْلا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ * تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾.

إن هذه الساعات العصيبة، والمواقف الشديدة لهول المطلع: حيَّرت العقلاء، حتى ما عاد للبيب موضعُ فرحٍ إلا وخالطه الحزن، ولا مقامُ بهجةٍ إلا وكدَّره هم، حتى أصبح ذكرُ الموت يهدم كلَّ لذة، ويكدِّر كلَّ صفوة، وينغِّص كل بهجة. فكم من فرحة قطعها الموت، وكم من لذة منعها الموت، وكم من عظيم حقَّره الموت، حتى ما عاد في الدنيا شيءٌ من مباهجها إلا أفسده ذكرُ الموت، وإنما يتنعَّمُ المتنعمون، ويتفكَّه المتفكِّهون، ويبتهج المبتهجون حين ينسَون ذكر الموت، فلا يكون حياً في قلوبهم، ولا مُسْتحضراً في عقولهم، ولا مذْكوراً في مجالسهم، وعندها فقط يتنعَّمون ويأنسون.

أيها الإخوة: إنَّ نزولَ الموتِ بالعبدِ شديدٌ، وألمٌ عظيمٌ فهذا سيِّدُ الخلقِ، وحبيبُ الحق يقول لما نزل به كربُ الموت: « لا إله إلا الله إن للموت لسكرات ». ولئن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أَمِنَ من هول المطلع، وما بعد الموت، إذ لا كرب عليه بعد ذلك اليوم: فأنَّى لغيره أن يأمن. فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما طُعن وأيقن بالموت، وكان رأسُهُ في حجْر ولده، قال له: « ضع خدي على الأرض، فقال ولده عبد الله وما كان عليك أن كان في حجري أو على الأرض ؟ فقال: ضعه على الأرض لا أم لك. فوضعه، فأخذ يقول: ويلي وويلَ أمي إن لم يرحمني ربي ». ولما دخل عليه الناس يبشِّرونه بالجنة قال: « والله لو كان ليَ الدنيا وما فيها لافتديت به من هول ما أمامي قبل أن علم ما الخبر »، وقال مرة: « والله لو أنَّ لي ما طلعت عليه الشمسُ أو غربت لافتديت به من هول المطلع ». ولما حضرت الوفاة معاذ بن جبل رضي الله عنه اشتدَّ عليه

الكـرب، فكان كلَّما أفاق قال: « أُخنقني خنقك فوعزَّتِكَ إنك تعلـم أني أحبـك، ثم قال: أعوذ بالله من ليلة صباحها إلى النار ». ولما حضرت الوفاة أبا هريرة رضي الله عنه بكى، فقيل ما يبكيك: فقال: «ما أبكي على دنياكم هذه، ولكـن عـلى بعـد سفري، وقلَّة زادي، فإني أمسيت في صعود، ومهبطه على جنة أو نـار، فـلا أدري إلى أيهما يُؤخذ بي ». ولما حضرت الوفاة الحسن بن علي رضي الله عنهما أخذ يبكي، ويشتدُّ بكاؤه، فقيل وما يبكيك وأنت سيد شباب الجنة، فقال: «إني أقدُم على أمـرٍ عظيمٍ وهولٍ لم أقدُم على مثلِهِ قط». ولما دخل بعض الناس عـلى معاويـة رضي الله عنه وهو يجود بنفسه في سياق الموت ويبكي، قيل : ما يُبكيـك يـا أمـير المـؤمنين، فقال: « ما أبكي على الموت أن حلَّ بي، ولا على دنيا أُخلِّفها، ولكـن همـا قبـضتان قبضةٌ في الجنة، وقبضة في النار، فلا أدري في أيِّ القبضتين أنا ». وهذه أم المـؤمنين عائشة رضي الله عنها لما حضـرت ساعةُ موتها قالـت: « ودِدْتُ أني كنـت نـسياً منسياً »، وقالت مرة: « ياليتني كنت حيضةً ملقاة »، وقالت مرة: « يـاليتني كنـت ورقةً من هذه الشجرة ». وهـذا التـابعي الجليـل الأسـودُ بـن يزيـد النخعـي لمـا حضرته الوفاة جَزِعَ وبكى، فقيل : لِمَ هذا، فقال: « مالي لا أجـزعُ، والله لـو أُتيـتُ بالمغفرة من الله لأهمني الحياءُ منه مما قد صنعت ، إن الرجل ليكونُ بينه وبين آخـرَ الذنب الصغير فيعفو عنه فلا يزال مستحيياً منه ». ولما دخل بعضهم على محمد بن واسع فقالوا : كيف تجـدك ؟ قال: « هو ذا أخوكـم، هو ذا يُذهـب بـه إلى النـار أو يعفوَ الله عنه »، فلما أثنوا عليه ليخففوا عنه قال لهم: « وما يُغني عني مـا يقـول الناسُ إذا أُخذ بيديَّ ورجليَّ فألقيـت في النـار » . ولمـا حـضرت الوفـاة إبـراهيم النخعي أخذ يبكي ويجزعُ، فقيل: ما يُبكيك يا أبـا عمـران، قـال: « انتظـر ملـك

الموت، لا أدري بالجنة يبشرني أم بالنار ». وهذا ربعي بن حِراش رحمه الله أخذ عهداً على نفسه أن لا يضحك أبداً حتى يرى مقعده من الجنة أو النار، ولما مات لم يزل مبْتسماً والناس يُغسِّلُونه حتى دُفن رحمه الله.

أيها الإخوة : لقد شغل هولُ المطلعِ هؤلاءِ الصالحين، حتى ما عاد أحدهم يُعوِّلُ على عمله مهما كان صالحاً، حتى إن بعضهم ليظنُّ أن النار ما خُلقت إلا له، من شدة خوفه وخشيته من سوء الخاتمة. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ **أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللَّهِ لاَخَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَياةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾.

أقول ما سمعتم وأستغفر الله تعالى لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية :

الحمدُ لله المتفرد بالعزة والكبرياء، المختص بالكمال والجلال، أحمده وأستعينه وأستغفره، وأعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، وأسأله الهدى للطريق القويم، والتوفيق للصراط المستقيم.

أما بعد فيا أيها الإخوة: لئن كان خوف الصالحين من سلف هذه الأمة قد بلغَ هذا المبلغ العظيم فإن رجاءَهم في الله تعالى، وأمَلَهُم فيه أعظم من ذلك وأجل، وظنُّهم بالله حَسَن، إذ لا يصح من المؤمن أن يموت وهو يُسيء الظن بالله،

وفي الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يموتنَّ أحدُكم إلا وهو يُحسن الظن بالله تعالى»، يعني يعتقد رحمته ويرجوها، فإن القنوط لا يكون إلا من الكفار. فهذا عمرو بن العاص رضي الله عنه رغم جزعه الشديد عند الموت قال في آخر كلامه: « اللهم أمرتنا بأشياء فتركناها، ونهيتنا عن أشياء فانتهكناها، ولكن أشهد أنه لا إله إلا الله»، فمازال يكررها ويقبض يده عليها حتى مات رضي الله عنه. وهذا حكيم بن حزام رضي الله عنه لما حضرته الوفاة قال: « لا إله إلا الله، قد كنت أخشاك، وأنا اليوم أرجوك ». وهذا محمد بن واسع رغم شدة خوفه من الموت قال في آخر كلامه: « مرحباً بملائكة ربي، ولا حول ولا قوة إلا بالله ». وكذلك محمد بن المنكدر الذي كان لا يعرف من الدنيا إلا البكاء من شدة خشيته من الله تعالى، فلما حضره الموت كان في شدة الخوف من سوء الخاتمة، فمازال يتجلَّى ويصفو حتى أشرق وجهُهُ برحمة الله، وأخذ يقول لبعض من حضره: « لو ترى ما أنا فيه لقرَّت عينُك »، يعني مما يشاهد من رحمة الله تعالى.

أيها الإخوة المؤمنون: إن مما يهوِّن على المؤمن كرب الموت وسكراته: ما يأتيه عند النزع من البشرى برضوان الله ورحمته، فيُخفِّفُ ذلك عليه ما هو فيه من شدة وكرب، وفي الحديث عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه، قلت: إنا لنكره الموت، قال: ليس ذلك، ولكنَّ المؤمن: إذا حضره الموتُ بُشِّر برضوان الله وكرامته، فليس شيءٌ أحب إليه مما أمامه، فأحب لقاء الله، فأحب الله لقاءه، وإن الكافر إذا حُضر بُشِّر بعذاب الله وعقوبته، فليس شيءٌ أكره إليه مما أمامه: كره لقاء الله، وكره الله لقاءه ».

أيها الناس : هذه هي الحقيقةُ الكبرى، وهذه هي نهاية المطاف، فأين المهربُ وأين النجاة. اللهم لا منجى ولا ملجأ منك إلا إليك، اللهم هوِّن علينا سكرات الموت، وخفف عنا شدته، وبشرنا عنده برحمتك ورضوانك، فأنت أرحم الراحمين، وأجودُ الأجودين، وأنت المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله.

٨- المنافقون وخطرهم على الإسلام والمسلمين

الخطبة الأولى:

﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا * الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾، الحمدُ لله الذي زكَّى بالقرآن القلوب، وأنار به العقول، وأضاء به الدروب، وثبَّتَ به المؤمنين، وقمع به الكافرين، وهتك به سترَ المنافقينَ الفاجرين. أحمده وأستعينه وأستغفره وأتوب إليه، وأسأله من فضله العظيم، وكرمه الجزيل، وعفوهِ الواسع، أن يقيلَ العثرات، ويعفوَ عن الزلات، وأن يُفرِّج الكرُبات، وأن يزيل الهموم الكَدَرات.

أحمده على ما وضَّح في كتابه من أمرِ المؤمنين، والكافرين، والمنافقين، فقال سبحانه وتعالى في مطلع سورة البقرة في شأن المؤمنين:

﴿ الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * والَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * أُوْلَـئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ .

وقال سبحانه وتعالى في شأن الكافرين:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ * خَتَمَ اللَّـهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

أما في شأن المنافقين فقال جلَّ وعلا:

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّـهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ* يُخَادِعُونَ اللَّـهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُم وَمَا يَشْعُرُونَ * فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّـهُ مَرَضاً وَلَهُم عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُــوا يَكْذِبُــونَ * وَإِذَا قِيلَ لَـهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ * أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْـمُفْسِـدُونَ وَلَـكِن لاَّ يَشْعُرُونَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُواْ كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُواْ أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاء أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاء وَلَـكِن لاَّ يَعْلَمُونَ * وَإِذَا لَقُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُواْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُونَ * اللَّـهُ يَسْتَهْزِىءُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ * أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوُاْ الضَّلاَلَةَ بِالْـهُدَى فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾ .

أيها الإخوة الكرام: إنَّ الله عز وجل، لم يُنزلْ كتابه العزيز، ليكون تمـائم في صدور المـرضى، ولا تعاويـذ في أعنـاق الـصبيان، ولم يُنزلـهُ لتُـزيَّنَ بـه المجـالسُ والدور، ولم ينزله ليُتْلى في المواسم والحفلات والمآتم. إنـما أنزلـه هـدىً للمتقـين، ورحمة للمؤمنين، يستضيئون به في سيرهم إلى الله عز وجل، يؤمنون بـما جـاء فيـه من أمر الغيب والرسل، ويتوجهون بعباداتهم وشعائرهم إلى الله سبحانه وتعـالى، ولا يبخلون بشيء في سبيل الله، معتقدين بيـوم الحـساب، ولقـاء الله عـز وجـل، فهؤلاء هُمُ المفلحونَ في ميزان الله العدل.

أما الكافرون، فهم على العكس من ذلك، أُغلقت قلوبُهُم عن سماعِ الحق، ورغبت عن اتباع الهدى، فاختاروا طريق الضلالة عـلى طريـق الهـدى، فهـم مـع كفرهم وضلالهم، لا يخادعون الناس، ولا يواربـون، ولا يُكنُّـون، بـل يُظهـرون

صفحتهم للناس، ويُعلنونَ تمرُّدَهُم على منهج الله بكل وضوح، فاختـاروا طريـق الغواية على طريق الحق، فأراحوا أنفسهم من الكذب والخداع، وأراحوا المـؤمنين من عناء البحث والاستقصاء، فهم مستكبرون، ومعانـدون، ومجـاهرون بالعـداء للمؤمنين في غير خداع.

أما الصنفُ الثالثُ، فهم محنةُ المؤمنين، ومصيبةُ المسلمين، مـداخلُ الـشر، ومنافذُ الشك، لا حقاً اتبعوا، ولا باطلاً اجتنبوا، لا هم أعلنوا إيمانـــاً صـحيحاً، ولا هم كفروا كفراً صريحاً. فهم مذبْـذبون بـين الفـريقين، لا إلى هـؤلاءِ، ولا إلى هؤلاء، هذا الصنف من الناس هـمُ المنـافقون، يقـول عليـه الـصلاة والـسلام في وصفِ حالهم: « مثلُ المنافق كمثل الشاة العاثرة (أي الحائرة) بين الغنمـين، تعـيرُ إلى هذه مرة، وإلى هذه مرة».

إنَّ هذه الصورة الشاذة، التـي يـصوِّرها القـرآنُ الكـريم عـن هـذه الفئـة الخسيسة، نجدها نموذجاً مكرراً في جميع الأَجيال البشرية، على مرِّ التاريخ، نجـدُ هذا الصنف من الناس، قـد اسـتحكم الكفـرُ عـلى قلـوبهم، وتغلغـل الـشكُ في صـدورهم، وامتلـك الـوهمُ عقـولهم، لكـنَّهم لا يجـدون في أنفـسهم الـشجاعة الكافية، لمواجهة أهل الحق بكفرهم الصريح، فيعلنوا عن معتقداتهم بكل وضوح وصراحة، لكنهم اختاروا أسلوب المواربة، والمخاتلة، واختاروا طريـق اليرابيـع، فيسلكون بأنفسهم أنفاقاً بين صفوف المسلمين، يُنفِّـذون مـن خلالهـا مخططـاتهم الهدامة، ويبثون مـن خِلالهـا معتقـداتهم الباطلـة، ومـذاهِبَهمُ الخبيثـة، متـسترين بدعوى الإيمان، خداعاً وتضليلاً للمؤمنين، ﴿**اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّـهِ إِنَّهُمْ سَاء مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَـرُوا فَطُبِـعَ عَـلَى قُلُـوبِهِمْ**

فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ * وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾، يظنون أنهم يخدعون المؤمنين، وإنَّما هم في الحقيقة يخدعون أنفسَهُم، فالله عزَّ وجلَّ وليُّ المؤمنين، فاعتبر سبحانه وتعالى خداع المنافقين للمؤمنين: خداعاً له عز وجل، وهذا من عظيم كرمه، ورحمته بالمؤمنين، إذ جعل صفَّهُم صفهُ، وأمرهم أمره، وشأنهم شأنه، يأخذهم سبحانه وتعالى في كنفه، ويجعل عدوَّهم عدوه. فهو سبحانه وتعالى يتولى المعركة بنفسه،فالمؤمنون لا يستطيعون أن يردوا الكيد والمكر بأنفسهم، بل الله عز وجل هو الذي يكيد لهم ويمكر لهم، ﴿ **وَيَمْكرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾**،﴿**إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا * وَأَكِيدُ كَيْدًا * فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُم رُوَيْدًا﴾** .

والعجيبُ في أمرِ المنافقينَ، أنهم – مع شدة فسادهم وضلالهم – يزعمون الإصلاح فيما يقومون به من أعمال الضلال، والكفر، والجرائم، فيصفون قتلهم للشعوب المخالفة لهم: نضالاً، ويصفون نبذهم للشريعة الإسلامية، وإقصاءها عن الحكم: تقدماً، ويصفون الالتزام بالسنة النبوية، والتقيد بالآداب والأخلاق الإسلامية : رجعية، ويصفون دعاة الإسلام من علماء الأمة: بالعملاء، ويسبغون الألقاب الفضفاضة على كل رذيلة وقبيحة يعملونها، وبعد ذلك يزعمون أنهم مصلحون. ﴿ **أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُونَ** ﴾، ﴿ **قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُون﴾**.

وعلَّةُ القومِ، المستحكِمَةُ فيهم، والتي تسوقهم إلى أعمال الضلال والنفاق: مرضٌ في القلوب، استحكم عليهم، لا يستطيعون الخلاص منه. فلا يرون الحق

إلا باطلاً، ولا يرون الميزان إلا مقلوباً، ولا يعرفون من الخير إلا ما أُشربَ من هواهم، ولا يعرفون من الشر إلا ما ضرَّ بمصالحهم، فالحق ما يُحبون، والباطل ما يكرهون، فلا عقل لهم، ولا ميزان، ولا شرع، ولا حق.

إنَّ هذا المرضَ المستَحكِمَ، وهذا الداء المستشري في قلوبهم لا علاج له إلا في جهنم وبئس المصير، حيث النار التي تُزيل الشكوك، وتُذيبُ الرانَ الذي عَلِقَ بالقلوب، حين لا ينفع نفساً إيمانُها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً، ﴿**إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا**﴾، ﴿**إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً**﴾.

وهذا الصنف من الناس، يُعاملون في الحياة الدنيا بما يظهر من أحوالهم، فإن أظهروا الإسلام، عُومِلوا بالأحكامِ الظاهرةِ، وأما إن أظهروا النفاق، ومالوا على سرح الناس، وسفكوا الدماء، كان واجباً على المسلمين قتالهم. فالخوارجُ الذين أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بقتالهم وقال: « فأينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإنَّ في قتلهم أجراً لمن قتلهم يوم القيامة »، وقال أيضاً: « لئن أدركتُهُم لأقتلنَّهُم قتلَ عاد »، وسبب استباحة قتالهم أنهم كانوا يقتلون أهل الإسلام ويتركون أهل الأوثان، لهذا أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بقتالهم، علماً بأنهم كانوا يصلون، ويصومون، وكانوا أهل عبادة وتبتل، حتى قال عنهم عليه الصلاة والسلام: «يحقر أحدُكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، وقراءته مع قراءتهم»، ورغم هذا استبيح قتلُهم، وسفكُ دمائهم، وذلك لأنهم استباحوا قتل مخالفيهم من المسلمين. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: « أجمعَ علماءُ الأمَّةِ، على أنَّ كلَّ طائفةٍ من المسلمين امتنعت عن الالتزام بشريعة من شرائع

الإسلام، كالصلاة، أو الصيام، أو الزكاة، أو الحج، أو امتنعت عن تحريم الـدماء، والخمر، والزنا، وإن كانت مُقرَّةً بحكمها، فإنها تُقاتل على امتناعها، حتى تعود إلى الحق » ، هذا ملخـص كلامـه رحمـه الله، فكيـف بمـن جمـع بـين اسـتباحة دمـاء المسلمين، ونبذ الشريعة الإسلامية جملة وتفصيلاً، ولم يُعرفُ عنهم إقامـة صـلاة، ولا إيتاء زكاة، ولا تعظيمٌ لحرمـات الله، كيـف بمـن عُلـم يقينـاً كفـرُ مـذهبهم، وضلالُ عقيدتهم، إنهم بلا شك أولى بالقتال من الخوارج المـذمومين، وأضرُ عـلى الأمة من اليهود والنصارى، وسائر الكفرة الأصليين.

اللهم نعوذ بك من النفاق والشقاق، وسوء الأخلاق، أقول ما تـسمعون وأستغفر الله لي ولكم، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على إمام المتقـين، ورسـول رب العالمين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد ..

فيقول الله عز وجل في كتابه العزيز: ﴿**الْـمُنَافِقُونَ وَالْـمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْـمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْـمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُواْ اللّـَهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْـمُنَافِقِينَ هُـمُ الْفَاسِقُونَ * وَعَدَ اللّـَهُ الْـمُنَافِقِينَ وَالْـمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللّـَهُ وَلَـهُمْ عَـذَابٌ مُّقِيمٌ**﴾، ويقول أيضاً: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْـحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللّـَهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ * وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْـحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللّـَهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللّـَهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ**

جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾، ويقول الرسول صلي الله عليه وسلم: « يخرج في آخر الزمان، رجالٌ يختِلُون الدنيا بالدين، يلبسون للناس جلود الضأن من اللين، وألسنَتُهم أحلى من السكر، وقلوبهم قلوب الذئاب»، ويقول أيضا: « أخوف ما أخافُ على أمتي كُلُّ منافق عليمُ اللسان » ويقول: « إن شر الناس ذو الوجهين، الذي يأتي هولاء بوجه، وهولاء بوجه » .

أيها المسلمون: إن المؤمنين الذين حباهُمُ الله بهذا القرآن، وجعله فرقاناً يميزون به بين الحق والباطل، واختارهم لحمل رسالته، ونشر هدايته، لم يكونوا ليرتابوا في أمر المنافقين، أو يلتبس عليهم أمرهم، فصفاتهم واضحة، وأفعالهم بيِّنة، وحقيقتهم واضحة في نظر المؤمنين أكثر من وضوح الشمس في وسط النهار، بل النفاقُ في هذا الزمان أوضح بكثير من ذي قبل، يقول حذيفةُ بن اليمان رضي الله تعالى عنهما: « إن النفاق اليوم شرٌ منهم على عهد النبي صلي عليه وسلم، كانوا يومئذ يُسرون، واليوم يجهرون » ،ويقول أيضا: « كان النفاق على عهد النبي صلي الله عليه وسلم، فأما اليوم فإنما هو الكفر بعد الإيمان » ، وصدق رضي الله عنه، فأصبح الكفرُ، في القوانين والدساتير، وفي المنشورات والشعارات، بكل صفاقة وتبجُّح، فأيُ بيان بعد هذا، وأيُ وضوح أكثر من هذا، **﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾** .

ولا يستغربُ المؤمن: تفانيَ المنافقين في سبيل الدفاع عن مبادئهم الهدامة، والموت في سبيلها، فإن المتوقع من المنافقين في سبيل إخفائهم حقيقة أمرهم أكثرُ من ذلك، فقد كانوا يُصلون مع الرسول صلي الله عليه وسلم في مسجده، ويعظون الناس، ويحجون،بل ويشاركون مع الرسول صلي الله عليه وسلم في

المعارك دفاعا عن الإسلام، وهم أكفرُ الناس بالإسلام ، فهؤلاء لا حد لنفاقهم، وقد أشار عليه الصلاة والسلام في الحديث أن المنافق يمكن أن يقاتل في سبيل الله حتى يموت، وهو منافق، فقال عليه الصلاة والسلام: « القتلى ثلاثة، مؤمنٌ جاهد بنفسه وماله في سبيل الله، إذا لقي العدو قاتل حتى قُتل، فذلك الشهيد الممتحن، في خيمة الله تحت عرشه، لا يفضُلُه النبيون، إلا بدرجة النبوة، ومؤمنٌ خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً، جاهد بنفسه وماله في سبيل الله، إذا لقي العدو قاتل حتى قتل، قال النبي صلي الله عليه وسلم: فيه مصمصةٌ محت ذنوبه وخطاياه، إن السيف محّاءٌ للخطايا، وأُدخل الجنة من أي أبواب الجنة شاء، ومنافقٌ جاهد بنفسه وماله، فإذا لقي العدو قاتل حتى قتل، فذاك في النار، إن السيف لا يمحو النفاق »، نعم إن السيف لا يمحو النفاق، فلا هم سَعِدوا في الدنيا، ولا هم نجوْا في الآخرة، ﴿**أُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ**﴾.

فلا غرابة في تناديهم بالجهاد، وتفانيهم في سبيل العروبة، وزعمهم أنهم يحاربون ويجاهدون الصهيونية والقوى الاستعمارية، وهم في حقيقة أمرهم أذنابُ الاستعمار وأدواته، أليسوا هُمُ الذين نفذوا مخططات الاستعمار، فنحَّوا الشريعة الإسلامية عن الحكم والهيمنة، واستبدلوها بالقوانين الوضعية، ونشروا الإباحية، والخمور، والدعارة في بلاد المسلمين، أليسوا هُمُ الذين يعلنون في دساتيرهم أن الإسلام رجعية لا يصلح للحياة المعاصرة، وبعد ذلك يتبجَّحون بأنهم المجاهدون في سبيل الله، المدافعون عن حقوق الأمة.

أيها الاخوة الكرام: إنه لا مجال لتفسير الأحداث والمواقف، والتصريحات المحيرة التي تصدر عن المنافقين، إلا من خلال معرفة أساليب المنافقين، التي

استفاض في بيانها القرآن الكريم والسنة المطهرة، فهي البلسم الشافي، والعلاج الناجع للمشكلات المستعصية.

أيها الناس: إن المؤمن يعيش في هذا الزمان، وسط هذه الأحداث الملاحقة، وفي خضم الحروب الطاحنة، وقد أيس من كل أحد إلا الله، ومن كل شعار إلا الإسلام، ومن كل دستور إلا القرآن، ومن كل طريقة إلا السنة المطهرة. فالبشريةُ في يومها هذا هي أحوج ما تكون إلى البديل الإسلامي، إلى نور الإيمان، إلى إشراقة الروح بمنهج الإسلام، فمن لهذا الدين يعرضه من جديد، غضاً طرياً كما أُنزل، ينفي عنه غلوا الغالين ، وتأويل المبطلين، ويُعيدُ لنا أمجادنا الماضية، يُعيدُ لنا نخوة المعتصم، وشجاعة صلاح الدين، وعزة العز بن عبد الإسلام، وجهاد ابن تيمية، إن الأمل في الله عز وجل، ثم في شباب الإسلام، في شباب الأمة الإسلامية العبَّاد الصالحين، الذين لا يرون للإسلام بديلاً، بعيدين عن التطرف والغلو، قريبين من العدل والإنصاف، الله هو الذي يرعاهم ويحفظهم.

اللهم لا منجى منك إلا إليك، اللهم أنت الغني ونحن الفقراء، وأنت القوي ونحن الضعفاء، وأنت العزيز ونحن الأذلاءُ بين يديك، اللهم نشكو إليك ضعف قوَّتنا، وقلة حيلتنا، وهوانا على الناس، اللهم أنت ربُّ المستضعفين، لا تكلنا لأنفسنا فنهلك، ولا إلى أحد من خلقك فنضيع، اللهم إن حالنا لا يخفى عليك، وأمرنا ظاهرٌ بين يديك، لا مخرج لنا إلا إليك، اللهم نشكو إليك ضعف المؤمنين، وجلد المنافقين، وكثرة الأعداء، وقلة النصير.

اللهم أنزل نصرك على من نصروا دينك، وأيدوا شريعتك، وحموا حماك، وأنزل بأسك وسخطك على المنافقين والكافرين، الذين يصدون عن سبيلك ويبغونها عوجاً، اللهم أنزل عليهم بأسك الذي لا يرد عن القوم المجرمين.

اللهم اهتك ستر المنافقين، وافضح أحوالهم، واكشف عوراتهم، اللهم لا تجعل للكافرين على المؤمنين سبيلاً، ولا تسلِّط علينا بذنوبنا من لا يخافك فينا ولا يرحمنا برحمتك يا أرحم الراحمين، اللهم وفق ولاة أمورنا إلى كل خير، وأيدهم بالحق يا أرحم الراحمين .

اللهم صل وسلم وبارك على خير البرية أجمعين نبينا وسيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وارضَ اللهم عن الصحابة و القرابة، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنا معهم برحمتك يا أرحم الراحمين .

عباد الله إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي، يعظكم لعلكم تذكرون، فاذكرون الله يذكركم واشكروه على نعمه الكثيرة يزدكم، ولذكر الله أكبر ، والله يعلم ما تصنعون .

ثانياً: التربية الروحية:

١- التوبـــــة.

٢- توبة المذنبين ويقظة الغافلين.

٣- ذكر الله بين الغافلين.

٤- الزهد في الدنيا.

٥- الشيب وطول العمر.

٦- الشيطان خطره ومكائده.

١- التوبـــــة

الخطبة الأولى:

الحمد لله غافر الذنب، وقابل التوب، شديد العقاب، أحمده وأستعينه وأستغفره، وأعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، ومن نزغات الشيطان، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وليُّ الصابرين، وأشهد أن محمداً عبدهُ ورسوله إمامُ المتقين، ورسولُ رب العالمين، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، ولو كره المشركون.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ﴾.

﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ .

﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَـئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً* وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ وَلاَ الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَـئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ .

﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ .

أما بعد.. فإنَّ التوبةَ من الـذنوب، والرجـوعَ إلى سـتار العيـوب، وعـلام الغيـوب، هـي مبـدأ طريـق الـسالكين، ورأس مـال الفـائزين، وأمـل المـؤمنين الصادقين. فهذا رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول: « إني لأستغفر الله وأتـوب إليه في اليوم مائة مرة »، وكان الصحابة رضوان الله عليهم يعدون له في المجلـس الواحد: « رب اغفر لي وتب عليَّ، إنك أنت التواب الرحيم» مائة مرة.

أيها الإخوة الكرام: إن التوبة واجبة على كـل أحـد، فالمـذنب تجـب عليـه التوبة والإقلاع عن الذنب، والصالحُ تجب عليه التوبة من التقـصير في جنـب الله عز وجل. فلا أحد يمكنهُ أن يُوفِّيَ الله حقه من العبادة، ولو يخرُّ الإنـسان سـاجداً لله عز وجل منذ أن تلدهُ أمُّه إلى أن يموت: لاحتقر عبادته يوم القيامة. فالملائكـة الذين أطَّت بهم السماء، فما من موضع شبر إلا وملك واضـعٌ جبهتـه لله سـاجداً، يقولون يوم القيامة: « سبحانك ما عبدناك حق عبادتك»، ويقـول عليـه الـصلاة والسلام: « لن يدخل أحد الجنـة بعمـله، قالوا: ولا أنت يـا رسـول الله ؟ قـال : ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته ». وسألتِ السيدة عائشة رضي الله عنها رسـول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله عز وجل: ﴿ **وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَـوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ**﴾، « أهو الذي يزني ويسرق ويـشرب الخمـر؟ قـال: لا يـا بنـت أبي بكـر ، ولكنه الرجل يصوم ويتصدق ويصلي، وهو يخاف أن لا يُتقبل منه ». فكيف بـالله بمن تلبَّس بالذنوب والمعاصي، وغَفَلَ عن الله عز وجل. كيف بمن ترك الـصلاة، ولم يُؤت الزكاة، كيف بمن أطلق لعينيـه العِنَـان تنظـران إلى مـا حـرَّم الله، كيـف بالنساء المتبرجات في الشوارع والأسواق، كيف بمن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

أيها الإخوة: إذا كان الصالحون يخافون من بطش الله ومكره ولا يأمنون، ولا ينعمون بنوم أو طعام، فكيف بنا، ألسنا أولى بالخوف والخشية من أن تُحيط بنا سيئاتنا فنهلك والعياذ بالله. يقول فضالةُ بن عبيد رضي الله عنه : «لأن أكونَ أعلمُ أن الله تقبل مني، مثقال حبةٍ من خردلٍ أحبَّ إليَّ من الدنيا وما فيها، لأن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿ **إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ** ﴾ ».

أيها الإخوة الكرام: إن من أعظم الأمثلة على التوبة النصوح قصة المرأة الغامدية، التي زنت، وجاءت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي حبلى من الزنا وطلبت منه أن يقيم عليها الحد، فيأمرها أن ترجع حتى تضع الحمل، ثم يأمرها أن تُرضع المولود، وما بين حملِها ورَضَاعها للمولود ما يقارب ثلاث سنوات. وهي في كل مرة تأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم تُذَكِّرهُ بنفسها وهي تعلم علم اليقين طبيعة العقاب الذي ينتظرها، ولكنها التوبة النصوح، التي مسَّت أصل قلبها، وامتزجت بروحها، فما استطاعت إلا أن تتطهر، وتقدَمَ على ربها نقية طيبة. فأمر بها رسول الله صلَّى الله عليه وسلم، فشُدَّت عليها ثيابها، ورُجمت بالحجارة حتى الموت، ثم صلَّى عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال له عمر رضي الله عنه: «تصلي عليها يا رسول الله، وقد زنت؟ قال: لقد تابت توبةً لو قسِّمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم، وهل وجدت أفضلَ من أن جادت بنفسها لله عز وجل؟» وهكذا التوبة فلتكن .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « النادمُ ينتظرُ من الله الرحمة، والمعْجَبُ ينتظر المقت، واعلموا عباد الله، أن كلَّ عاملٍ سيقْدَمُ على عمله، ولا يخرج من الدنيا حتى يرى حُسْنَ عمله، وسوءَ عمله،

وإنما الأعمال بخواتيمها، والليل والنهار مطيتان، فأحسنوا السير عليهما إلى الآخرة، واحذروا التسويف، فإن الموت يأتي بغتةً، ولا يغترَّنَّ أحدكم بحلمِ الله عز وجل، فإن الجنة والنار، أقربُ لأحدكم من شراك نعله، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: « **﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾** ».

واحذروا أيها الأخوة من مُحقَّرات الذنوب، وما تعدونه من الصغائر، فإنها المهلكة، يقول عليه الصلاة والسلام: « إياكم ومحقَّرات الذنوب، فإنهن يجتمعن على الرجل يهلكنَهُ »، ويقول أيضاً عليه الصلاة والسلام واعظاً السيدة عائشة رضي الله عنها: « يا عائشة، إياك ومُحقَّرات الأعمال، فإن لها من الله طالباً ».

ويقول الصحابي أبو سعيد الخدري رضي الله عنه واعظاً التابعين: « إنكم تعملون أعمالاً لهي أدقُّ في أعينكم من الشعر، كنا نعدها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الموبقات »، فما تراه يقول إن عاش زماننا، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

أيها الإخوة الكرام: إن خطر المعاصي إذا تراكمت على قلب الإنسان خطرٌ عظيم، فالعاصي إن لم يتدارك نفسه بالتوبة النصوح، فإن قلبه ينطبع، فلا يكاد بعد ذلك يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً، يقول في ذلك عليه الصلاة والسلام: « إن المؤمن إذا أذنب، كانت نكتةٌ سوداءُ في قلبه، فإن تاب ونزعَ واستغفر، صُقِلَ قلبه، فإن زادَ زادت، فذلك الران الذي ذكرَهُ الله في كتابه **﴿كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾** ».

واعلموا يا عباد الله أن باب التوبة مفتوحٌ للمذنبين، يقول عليه الصلاة

والسلام: «إنَّ من قِبلِ المغربِ لباباً مسيرةُ عرضه أربعون عاماً، أو سبعون سنة، فتحهُ الله عز وجل للتوبة، يومَ خلق السماوات والأرض، فلا يُغلقُهُ حتى تطلعَ الشمس منه»، واعلموا أن الله يفرح بتوبة عبده، وأنه لا يعظُمُ عنده ذنبٌ، فرحمتُهُ واسعةٌ، وعفوهُ عظيم، ولكن أين التائبون، أين المنيبون، أين العائدون إلى الله،المعترفون بذنوبهم بين يدي الله، يقول عليه الصلاة والسلام: « والذي نفسي بيده، لو أخطأتم حتى تبلغ خطاياكم ما بين السماءِ والأرض، ثم استغفرتم الله، لغفر لكم، والذي نفسُ محمد بيده، لو لم تخطئوا، لجاءَ الله بقومٍ يخطئون، ثم يستغفرون فيغفرُ لهم ». وقال أيضاً عليه الصلاة والسلام: « إن إبليس قال لربه عز وجل: بعزتك وجلالك لا أبرح أُغوي بني آدم ما دامت الأرواح فيهم ، فقال له ربه عز وجل: فبعزتي وجلالي لا أبرحُ أغفرُ لهم ما استغفروني ».

فبادروا رحمكم الله بالتوبة النصوح، واعلموا أن كل بني آدم خطاءٌ، وخير الخطائين التوابون، وكونوا رحمكم الله من أبناء الآخرة الباقية، ولا تكونوا من أبناء الدنيا الفانية، يقول علي بن أبي طالبٍ رضي الله عنه: « إن الدنيا قد ارتحلت مدبرة، وإن الآخرة قد ارتحلت مقبلة، ولكل منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عملٌ ولا حساب، وغداً حسابٌ ولا عمل ».

أيها الأخوة الكرام هذا أوان التوبة، وأنتم أحوج ما تكونون إلى مدد الله، وإنما ينصر الله أولياءه المتقين، ﴿ **أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللَّـهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ* الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَياةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّـهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** ﴾ .

واعلموا عباد الله أنه لا عقاب إلا بذنب، ولا يرفعُ إلا بتوبة، فتوبوا إلى الله، واستغفروه يغفر لكم، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على النبي المصطفى، والرسول الكريم المجتبى، وعلى آله وأصحابه أجمعين، ما من طريق خير إلا دلنَّا عليه، وما من طريق شرٍ إلا حذَّرنا منه.

أيها الإخوةُ الكرام : لقد وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم، حالَ المؤمنِ مع ذنوبه، وحالَ الفاجرِ مع ذُنوبه، فقال: « إن المؤمن يرى ذنوبَهُ كأنه في أصل جبلٍ، يخافُ أن يقع، وإن الفاجر يرى ذنوبَهُ مثل ذُبابٍ مرَّ على أنفه، فذبَّهُ عنه »، (أي دفعه عنه).

ففي هذا الحديث يبيِّن عليه الصلاة والسلام، كيف أنَّ المؤمن في حالةٍ من الخوفِ والرهبةِ أن يُؤاخذه الله بذنوبه فيهلِك، وكيف أن الفاجر، لا يكترث لذلك ولا يبالي. فلننظر في أحوالنا مع ذنوبنا، هل نحن من الخائفين، أم من الآمنين المطمئنين، الذين يظنون أن الجنة مضمونة لهم.

يقول عليه الصلاة والسلام: « لو يعلم المؤمنُ ما عِنْدَ الله من العقوبة، ما طَمِعَ بجنَّته، ولو يعلمُ الكافرُ، ما عند الله من الرحمة، ما قَنَطَ من جنَّته ».

ويقول عليه الصلاة والسلام مُبيناً عِظمَ غفْلة الناس عن حقائق عالم الغيب، وهول المطلع: « إني أرى ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون، أطَّتِ السَّماءُ، وحُقَّ لها أن تئِطَّ، ما فيها موضعُ أربع أصابعَ إلا وملكٌ واضعٌ جبهته لله

ساجداً، والله لو تعلمونَ ما أعلم، لضحكتم قليلاً، ولبكيتم كثيراً، وما تلذَّذْتُم بالنساء على الفرش، ولخرجتُم إلى الصُّعُدات (أي إلى الطرق) تجأرون إلى الله، لَوَدِدْتُ أني شَجرَةٌ تُعضَدُ » (أي تمنيتُ أني شجرة تُقطع، ولا أعلمُ هذا العلمَ العظيم).

وقد كان عليه الصلاة والسلام يُسمعُ لصدره أزيزٌ كأزيز المرجلِ من البكاء عندما يصلي، من شدة خوفه وخشيته من الله، وهو الذي غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. وكذلك الصحابةُ رضوانُ الله عليهم، فقد كان يُسمعُ بكاءُ عمر بن الخطاب رضي الله عنه من وراء الصفوف، حتى كان يمرُّ بالآية من كتاب الله عز وجل فتخنُقُهُ العَبْرَة فيبكي حتى يسقُط على الأرض، ويعودُهُ الناس . وقد كان في وجهه رضي الله عنه خطَّان أسودان من كثرة البكاء. وكان يقول: « لو نادى منادٍ من السماء، أيها الناس إنكم داخلون الجنة كُلُّكُم أجمعون، إلا رجلاً واحداً، لخفتُ أن أكون هو»، ويقول هذا الكلام رضي الله تعالى عنه رغم أنه مبشَّرٌ بالجنة، فكيف بالله عليكم من لم يُبشَّر بها، بل كيف بمن اقترف المعاصي، والآثام، ثم يتمنى على الله الأماني، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

أيها الإخوةُ الأحباب : استمعوا إلى هذا الحديثِ العظيم الذي يرويه الرسول صلى الله عليه وسلم عن ربه عز وجل قال: « يا عبادي إني حرَّمتُ الظلمَ على نفسي، فجعلتُهُ بينكم محرماً، فلا تظالموا، يا عبادي كُلُّكم ضالٌ إلا من هديته، فاسْتهْدُوني أهدكم، يا عبادي كُلُّكم جائعٌ إلا من أطعمتُهُ، فاسْتطْعمُوني، أُطْعِمكم، يا عبادي كُلُّكم عارٍ إلا من كسَوْتُهُ، فاسْتكْسُوني أكْسُكُم، إنكم تُخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفِرُ الذنوبَ جميعاً، فاستغفروني أغفرْ لكم، يا عبادي إنكم لن تبلُغُوا ضَرِّي فتضرُّوني، ولن تبلغوا نفْعي فتنفعوني، يا عبادي لو أن أوَّلكم

وآخِرَكم، وجِنَّكم، وإنْسَكُم كانوا على أتقى قلب رجل واحدٍ منكم، ما زاد ذلك في مُلكي شيئاً، لو أن أوَّلكم وآخِرَكم، وإنْسَكم وجِنَّكم، كانوا على أفجرِ قلبِ رجلٍ واحدٍ منكم، ما نقص ذلك من مُلكي شيئاً، يا عبادي لو أن أوَّلكم وآخركم، وإنْسَكم وجنَّكم، قاموا في صعيدٍ واحدٍ فَسَألوني، كلُّ واحدٍ منكم مسْألتهُ، فأعطيتهُ، ما نقص ذلك مما عندي؛ إلا كما ينقُصُ المِخْيَطُ إذا أُدخلَ في البحر، يا عبادي إنما هي أعمالُكم أُحْصيها لكم ، وأُوفِّيكم إياها يوم القيامة، فمن وجد خيراً فليحمدِ الله، ومن وجد غير ذلك، فلا يلومنَّ إلا نفسه ».

اللهم يا الله، يا كريم يا رحيم، نسألك اللهم بأسمائك الحسنى، وصفاتِك العلى، أن تغفر لنا وترحمنا، وأن توفقنا إلى التوبة النصوح، التي تَجُبُّ ما قبلها من الآثام والخطايا، إنك سميع مجيب.

اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلِّها، وأجرنا من خِزْي الدنيا وعذاب الآخرة. اللهم اجعلنا من الذين إذا أحسنوا استبشروا، وإذا أساءُوا استغفروا. اللهم إنا نعوذ بك من زوال نعمتك، وتحوُّل عافيتك، وفُجاءة نقمتك، وجميع سخطك. اللهم أصلحْ ذات بيننا، وألِّف بين قلوبنا، واهدنا سُبُلَ السلام، ونجِّنا من الظلمات إلى النور. اللهم آمنا في أوطاننا وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، واجعل اللهم ولايتنا فيمن خافك واتقاك واتبع هداك طالباً رضاك يا رب العالمين. اللهم صلِّ على نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين. عباد الله، إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون.

٢- توبة المذنبين ويقظة الغافلين

الخطبة الأولى:

الحمد لله يغفـرُ للعـصاةِ التـائبين، ويـرحمُ الجنـاةَ النـادمين، ويعفـو عـن المخطئين الأوَّابين . كتبَ على نفسه الرحمة، وقضى على خلقِـهِ بالحكمـة. فالتائـبُ إنما تابَ برحمته، والعاصي إنما أخطأَ بحكْمته. فضلُهُ قد غَمَـرَ الـصالحين، وعدلُـهُ أفحم حجج المذنبين.

فالكلُّ بين فضله وعدلِهِ يعملون، وتحت سلطان قهره يتقلَّبـون، المعـصيةُ طبعٌ مُسْتحكِمٌ في العباد، والتوبةُ سبيل أهل الرشاد. ما من معصيةٍ إلا ولها توبـة، وما من خطيئةٍ إلا ومنها أوبة. فالسعيد من تـذكَّر ذنوبَـهُ فتـاب، وعلـم بتقـصيره فأناب، والشقيُّ من غرَّهُ طولُ الأمل، فأنـساه قـرْبَ الأجـل . حتـى إذا داهمتـهُ الخُطوب، وحالت بينهُ وبين التوبـة الـذنوب: أتتْـه رُسـلُ ربـه عـلى غـير هـدى، وقبضت رُوحه على غير تُقى. فلا خيراً أوصى، ولا برّاً أهدى، قـد شـغلته الـدنيا بزخْرُفها، وألْهته الحياةُ بزينتها، حتى أصبح في عِـداد المفتـونين، ودخـل في فئـات المغرورين، فلا نعمةً شَكَرَها، ولا طاعــة ادَّخرَها، إذا جاع لا يـصـبرُ، وإذا شـبعَ لا يشكرُ، أحلامُهُ كأحلام الطائر، وآماله في حجم السُّفن المواخر. إذا سُئلَ الحـقَ نبذه، وإذا دُعيَ إلى الباطل أخذه. أملهُ من الدنيا جمعهـا، وهمُّـهُ في الحيـاة رزْقهـا. رجاؤهُ فيها عند الله صغير، وأملُهُ فيها عند الناس كبير. إيمانهُ بالله ضعيف، وفهمُـهُ للدين سخيف، كأنَّـه أوهـام الـدجالين، ونُكَـت المهـرِّجين. يـستحقرُ في تعاملـه الصالحين، ويسْتعظمُ في نفسه الفاسقين. أهل الحقوق عنـده المطـالبون الأقويـاء،

وأهل المظالم عندهُ المساكينُ الضعفاء. لا يستخرجُ أحدٌ الحق منه إلا بسيف السلطان، ولا يُعرف له بين الناس عهدٌ ولا أمان. مراوغة الخصوم سبيلهُ، ومداهنةُ السلاطين طريقُهُ. قد حيَّر الفطناء مَكْرُهُ، وأعْجَزَ الأذكياءَ كيدُهُ. لا رهبةً تَثنيه عن أهوائه، ولا رغبةً تمنعُهُ عن شهواته. ما من باب من الأبواب الحرام إلا ولَجَهُ، وما من نهج خبيث إلا سَلَكَهُ. لا يعرف لله حراماً يجتنبُهُ، ولا يعرف له حدَّاً يحترمُهُ. قد رَكِبَ الكبائرَ كلَّها، واقتحمَ العظائمَ جُلَّها. حتى إذا لم تعدْ له مفسدةٌ يقترفها، ولم تبقَ له حرمةٌ ينْتَهكها، قد أتى على كل قبيحة ورذيلة، ووقع في كلِّ حقيرة وجليلة، حين لم يعدْ له من الحسنات واحدة، ولم يبقَ له من الخيرات شاردة: فإذا بالعنايةِ الربانية، والرحمةِ الإلهية: تتدارك هذا المسْرفَ على نفسه، المفرِّط في أمره، تتدارَكُهُ عند حافةِ الهاوية، بقرب النار الحامية، وقد أثْخنتهُ الذنوب بشديد حملها، وأرهقتْهُ المعاصي بقبيح شُؤمها. قد ضاقت عليه الأرض على سَعتها، وصغُرت في عينيه الدنيا على رحْبتها. لم يعد شيء في الحياة يُريح نفسه، ولم يعدْ فيها ما يُطمْئِنُ قلبه. وكأنَّ داعياً من داخله، وهاتفاً من باطنه: يناديه باليقظة من الغفلة، ويُنَبِّهُهُ إلى الصحوة من الرقْدة، قد طال بك ليل الغافلين، وتمادى بك نهارُ العاطلين، فلا المالُ أراحَ نفسَك، ولا اللهوُ شرح صدرك، ولا الطغيانُ شفى قلبَكَ، فأين السعادةُ التي ترجوها، وأين الراحة التي تحدُوها. إنها أوهام البطَّالين، وآمال الفارغين التي يقْذِفها الشيطان في صدور أوليائه، حتى ملأ بها قلوبَهم، وأغلقَ بها عقُولَهم، فإذا أرادَ اللهُ تعالى بعبدٍ خيراً: أيقظه من غفلته، ونبَّهه من هفوته، فإذا بنور الإيمان يخترقُ ركامَ الرانِ على قلبه، وإذا ببصيص الضياء يشعُّ في صدره، وإذا بالروح الجديد يسري في جسده. فإذا به

إنسانٌ غير ذلك الإنسان، وشخص غيرُ ذلكَ الشخص . قد صاغتْه التوبةُ النصوحُ صياغة جديدة، وصنعته صناعةً فريدة، حتى عاد من بعد الكفران إلى الإيمان، ومن بعد الطغيان إلى الإذْعان. عاد إلى الله تعالى كأنَّه ما عصى، وتاب إلى ربه وكأنَّه ما جنى . انْتقل من طريق الغواية إلى نور الهداية، ومن سبيل الردى إلى منهج الهدى. فقامت الطاعة في حياته مقام المعصية، وحلَّت الفضيلة في سلوكه مقام الرذيلة. أقبل على طاعة ربِّه يرجو رضاه، وأحْجَم عن المعصية يطلب هداه. حُزْنُهُ على الماضي لا ينتهي، ونفسُهُ من البكاء لا ترتوي. قد طار قلبُهُ من الخوف الشديد، وتفطَّر كبدُهُ من هول يوم الوعيد. مشفقٌ من توبته أن لا تُقْبل، وخائِفٌ من حوبته أن لا تُغْسل . لا يدري أين مصيره، أيكون مع التائبين المقبولين، أم يكون مع المذْنبين المطرودين. همُّهُ كلُّه قبول توبته، ورجاؤُهُ كلُّهُ غَسْلُ حوْبته. لو كان رضى ربِّه بالمال لاشتراه، ولو كان رضاه بالروح لفداه. يُحب ربه ويخافُهُ، ويرجوه ويهابه. قد أخذ من كل طاعة بنصيب، فلم يشْغَلْه مالٌ ولا قريب. قد يئس الشيطان من غوايته، واغتاظ من هدايته، فبعد أن كان ولياً من أوليائه، أصبح بفضل الله تعالى عدواً من أعدائه، قد أنعم الله تعالى عليه بالهداية، بعد أن كان من أهل الغواية، فانتقل برحمة الله تعالى من رقْدَة الغافلين إلى يقظة التائبين، ومن فجور العصاة المذنبين، إلى تقوى الفضلاء الصالحين، فإذا بنور الإيمان يشعُّ من وجهِهِ، وإذا بعلاماتِ التقوى تزين نهجه، كأنه ما عصى ولا أسرف، وكأنه ما أخطأ ولا أرْجف. فأين الكبائرُ والموبقات، وأين المعاصي والمنكرات: قد أبدلها الله تعالى للتائب حسنات، وعوَّضه بتوبته جزيلَ المثوبات، فلم تضرَّهُ المعاصي المهلكات، لما تاب من الأفعال الساقطات، وأحْجم عن سلوك

الموبقات، لقد بلغَ بتوبتـه أعلى مراتبِ السـعادات، ونالَ بأَوْبته أفضلَ المكْرُمات. فلا خيرٌ فاتَهُ، ولا شرٌ ناله. فما أن قال بصـدقٍ: يا ربِّ قد تبت، إلا وأجابه الجبار: يا عبدي قد غفرت، فأيُّ سعادة قد نالها، وأيُّ كرامة قد طالها. إنها فرحةُ التائبين، ويقظة الغافلين، حين تُـدْركُهُم عنايـة أرحـم الـراحمين، وتـشْمَلُهُم مغفـرة أكـرم الأكرمين. إنها التوبة النصوح أيها الإخوة إذا خرجت من قلب صادقٍ قـد لذعتْـه المعصية، فإنها تفعل فعلها العجيب في شخصية التائـب، فتُغـيِّرُ مـن حالـه تغيـيراً كاملاً، حتى تفصِـلَهُ عن ماضـيه الأسـود، فـلا يبقـى لهـذا الماضـي تـأثيرٌ في حاضـر التائبِ أو مستقبلِهِ. وتدفعُهُ بقوةِ الإيمان، وأمَلِ الغفران: نحو الاجتهـادِ في مراتبِ الكمالات، والمسابقة إلى أعلى الدرجات، يطلبُ من ربه الهدى، ويأمـلُ من خالقه الرضى. فهو بعد التوبة الصادقة عاد نقياً كمنْ لا ذنـب لـه، فـلا يجـوزُ لأحد أن يُعيِّرَهُ بماضيه، أو يـشينُهُ بـسالف معاصـيه، وإنـما عليـه أن يتقبَّلـه قبـولَ المحبين، وأن يكتنفَهُ اكتنافَ المربين، فلا يصحُ بعد التوبة زجـرٌ أو نهْـر، وإنـما هـو الترغيب والتبشير . ومما يُروى في هذا: أن عبد الله بنَ مسعود رضي الله عنه دخل في العراق على قومٍ لاهين، عندهم خمرٌ، ومن بينهم غـلامٌ يـضربُ بعـودٍ، فكسر العودَ وإناءَ الخمرِ، وأقبلَ على القوم فوَعَظَهم وذكَّرهم، ثم خرج من عندهم، وقد وقعتْ موعظتهُ في نفس الغلام صاحب العودِ موْقِعهـا، فما اسـتطاع حتى خـرج يسـعى خلفَ عبد الله بن مسعـود رضي الله عنه، فلـما لقِيَـهُ تعلَّـق بثيابـه وهـو يبكي، فما كان من عبد الله رضي الله عنه إلا أن احتضنه، وأخذ يبكي معه، ويقول: « مرحباً بمن أحبَّهُ الله »، ثم اصْطَحبَهُ إلى بيته، وكان هذا الغلامُ بعد ذلك من كبار العلماء.

أيها الإخوة الكرام: إن الإسلام في منهجه التربوي لا يُنكرُ مبدأ الوقوع في الخطأ، وإنما يستنكرُ التهاونَ والإصرار. فالتهاونُ: استخفافٌ بحدود الله تعالى، والعبدُ كلَّما استعظمَ ذنْبهَ في نفسه: صغُرَ ذلكَ الذنبُ عند الله، وكلَّما استصغرَ الذنب في نفسه : كبُر عند الله، فلا صغيرةَ مع إصرار، ولا كبيرةَ مع استغفار. والعبد إذا تهاون بالمعاصي، واستعذبَ حلاوتَها، ومالَ إليها: انشرح لها صدرُهُ، وارتاحتْ لها نفسُهُ. فبقدر ما ينشرح صدرُهُ للمعصية، وبقدر ما ترتاحُ نفسُهُ لها: ينعكسُ ذلك سواداً في قلبه، وظلمةً في روحه. حتى إن بعضهم من شدةِ امتزاجه بالمعصية، وتعلُّقه بها: يفرحُ إذا مُدحَ بها، ويستبشرُ إذا أُثني عليه بها، حتى إنه ليتمنَّى أن يموت عليها، ويكرهُ أن يتوبَ منها، وبذلكَ أيها الإخوةُ تكبرُ الذنوبُ وتتضخم، حتى تكون الصغيرة كبيرة، والحقيرةُ عظيمةً. نعوذ بالله تعالى من ذلك، ونتوب إليه، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

الخطبة الثانية:

الحمدُ لله حمدَ الشاكرين، ونستغفرُ الله استغفارَ المذنبين، ونتوبُ إليه توبة الصادقين. والصلاةُ والسلامُ على إمام المتقين، وخير التائبين، وقدوة السالكين، سيِّدِنا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعدُ فيقولُ الله تبارك وتعالى: ﴿ **فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّـهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّـهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ ، ويقول أيضاً سبحانه وتعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ عَمِلُواْ السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُواْ مِن بَعْدِهَا وَآمَنُواْ إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾، ويقول أيضاً: ﴿ **وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى** ﴾، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إن الله عز وجل يبسط يدَهُ

بالليل ليتوب مسيءُ النهار، ويبسطُ يدَهُ بالنهار ليتوبَ مُسيءُ الليل حتى تطلُعَ الشمسُ من مغربها»، ويقول أيضاً عليه الصلاة والسلام: « إن من قِبَلِ المغربِ لباباً مسيرةُ عرضِهِ أربعون عاماً أو سبعونَ سنةً فتحهُ الله عز وجلَّ للتوبة، يومَ خلق السماوات والأرض، فلا يُغلقُهُ حتى تطلُعَ الشمسُ منه »، ويقول أيضاً عليه الصلاة والسلام: « لو أخطأْتم حتى تبلُغَ السماءَ، ثم تبْتم : لتابَ اللهُ عليكم ».

أيها الإخوة الكرام: منْ هذا الذي يحولُ بين المذنب وبين ربِّه عز وجل، فإنه ليس في الإسلام وسائطُ بين الخالق والمخلوق، وإنما هو الشيطانُ يُدْخلُ اليأسَ على المذنبِ حتى يُقنِّطَهُ من رحمة ربه. ولعل في خبر أبي طويل رضي الله عنه ما يخفِّفُ عن التائبين، فقد جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: « أرأيت من عملَ الذنوبَ كلَّها، ولم يترك منها شيئاً، وهو في ذلك لم يتركْ حاجَّةً ولا دَاجَّةً إلا أتاها، فهل لذلك من توبة؟ ، قال: فهل أسلمت، قال: أمَّا أنا فأشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله. قال: تفعلُ الخيراتِ، وتتركُ السيئات، فيجعَلُهُنَّ الله لكَ خيراتٍ كُلَّهُنَّ، قال: وغَدَراتي وفَجَراتي ؟ قال: نعم، قال: الله أكبر ، فما زال يكبِّرُ حتى توارى ».

٣- ذكر الله بين الغافلين

الخطبة الأولى:

الحمدُ لله أنيسِ المسْتوحِشين، وأمانِ الخائفين، وملاذِ الهاربين، لا يملُّ من ذكره الذاكرون، ولا ييأسُ من رحمته المذنبون. العُبَّاد بتسبيحه منْشغلون، والعُصاةُ باستغفاره يلهجون. أسْهرَ الصالحين تسبيحُهُ، وشَغَلَ المتفكرين تعظيمُهُ، فكان الذكرُ لأوليائه شفاءَ الأسقام، ودواءَ الآلام، قد كفاهم عن كثير الطعام، وأغناهم عن مخالطة الأنام . قُلوبُهم بتحميد الله معمورة، وصُدورهم بحمده مشْروحة . قد تزكَّتِ الأرواح بذكره، وطابتِ النفوسُ باسمه. حبْلُهم بالله موصول، ورجاؤهم في فضْله مأمول. لا يهرعون للشهوات، ولا يفرحون بالملذات، قد أغناهمُ اللهُ عن الشهوات بحُبِّهِ، وكفاهم عن الملذات بذكره. فهم أسعدُ السعداءِ بين التعساء، وأذكى الأذكياء بين الأغبياء، قد عرفوا الطريق فلزِموه، وأبصروا الدْربَ فسلكوه. أبصارُهُم إلى السماء مرفوعة، وحاجاتُهم عند باب خالِقِهم موضوعة. الدنيا بزُخْرُفها لا تساوي عندهم تسبيحة ، والحياةُ بأجمعها لا تعدل في حسِّهم تهليلة. الغنى قد ملأ صدورَهُم، والرضا عمر قلوبهم. لا يعرفون من الجرائم إلا الغفلة، ولا يعرفون من الخطايا إلا السَّهوة. حسراتُهم على الزمان أن يمضي بلا ذكر، ومخاوفهم على النعم أن تكثر بلا شكر.

أيها الإخوة الكرام: أين هؤلاء الصالحونَ من أولئكَ الغافلين، الذين نسوا الله فأنساهم أنفُسَهم، ممن عَمِيَتْ أبصارهم عن الهدى، فسلكوا سبيل الردى.

لا يــذكرون الله إلا قلــيلاً، ولا يــسبحونه بكــرة وأصــيلاً، قلــوبُهُم مــشحونةٌ بالشهوات، وعقولُهم مشغولةٌ بالشبهات. قد استحوذ عليهم الشيطان، فأنساهُم ذكرَ الرحمن، وسَلَكَ بهم طريق الحرمان، حتى اسودَّت قلوبُهُم، وعَمِيَتْ عيونُهم، فلم يعد أحدُهم يُدركُ بقلبه إلا الشهوات، ولا يُبْصر بعينِهِ إلا الملذات. ألـسنتُهُم عن ذكر الله مقطوعة، وفي حديث اللغو مشغولة. لا صيام ولا صلاة، ولا حجَّ ولا زكاة. وكأنما خُلقوا عبثاً، وكُلِّفوا شططاً. لا ينزجرون بالوعيد، ولا يكترثـون للتهديد، قد ملكت أوقاتهم الغفــلات، وملأت أزمانَهم التُّرهَـات، فـلا تـسبيح ولا استغفار، ولا تأمُّل ولا استحضار. قد نسوا الرحيلَ إلى دار القرار، وتغـافلوا عن طول الأسفار، فما أعدوا للسفر عدته، ولا أخذوا للخطر أُهْبَتَه حتى داهمهـم الموت بشدَّته، واحتواهم القبر بكرْبته. وجـاءتهُمُ الـساعةُ أدهـى وأمـر، وقامـت القيامة أعظمَ وأشرَّ. فوُضِعت الموازين، ونُشرت الدواوين، وانكـشف المكنـون، وبان المضمون، فانْتبه الغـافلون، واسـتيقظ النـائمون. فـإذا بـصحائِفهم محـشوةٍ بالخراب، فقيرةً من الحق والصواب، لا ذكر فيها ولا استغفار، وإنـما هـي الغفلـة والاغترار. فأين الأزمانُ التي انقضت، وأين الأوقات التي انتهت. مـضى العمـر في قيـل وقـال، وفـات الوقـت في الغفلـة والـضلال. شـغلتهم مكاسـبُ الـدنيا الرخيصة، وألْهتهم زخارفُ الحياة الحقيرة، حتى ثقُـلَ علـيهم القـرآن أن يقـرأوه، وقـصُرَ عـنهم الزمـان أن يـستغفروه. فـلا يجـد أحـدُهُم في يومِـهِ ســـــاعة اســـتغفار، ولا لحظةَ تذكر أو اعتبار. وإنما هو اللهث تُجَـاه الـسراب، والجـريُ وراءَ الدنيا الخراب، حتى ذهب الزمانُ بـلا جـدٍ ولا عمـل، ومـضت الـدنيا بـلا خوفٍ ولا وجل.

أيها الأخوة الكرام: إنها حسراتُ الغافلين، وآلامُ المفرِّطين، الذين أسرفوا على أنفُسِهم بالمعاصي والمنكرات، وتمادوا في اللهو والمحرمات. حين يقدَم أحدهم يومَ القيامةِ فقيراً من الحسنات، مُثقلاً بالجرائم والسيئات. يتمنى أحدُهم ساعةً ليعود فيها إلى الدنيا، ليُسبِّح ويستغفر، ويتوبَ ويستشعر. لسانُ حاله يقول : خذِ الدنيا بأجمعها وأعطني تسبيحة، وخذِ الحياةَ بأكملها وأعطني تهليله. لم تعد الدنيا في حسِّه تساوي لحظة ذكر، ولم تعد الحياةُ تعدلُ في نظره برهة فكر. فأين مشاغلُ الدنيا التي شغلتك، وأين ملاهي الحياةِ التي ألْهتك. لم يبقَ معكَ اليومَ منها إلا الحسرات، ولم تجْنِ منها إلا عظيمَ الكُرُبات . فأينَ العقلاءُ، وأصحابُ الفهمِ النبلاء، الذين عمروا حياتَهم بالذكر والدعاء، وملأوا أوقاتهم بالعمل والعطاء، لم تشغلهم الدنيا بزُخرُفها، ولم تُلْهِهِمُ الحياة بزينتها، فأكثروا من الباقيات الصالحات، والكلمات المفضَّلات. طهَّروا بها سرائِرَهم، وحشوْا بها صحائِفَهم، حتى رقَّت منهُمُ القلُوب، ودَمَعَتْ منهم العيون. إذا ذُكِّر أحدُهم بالله تذكر، وإذا وُعِظَ في الله تدبَّر. السكينة عليهم قد علتْ، والبشرى في وجوههم قد بدت. حدائِقُهُم في صدورهم، وبساتينُهم في عيونِهم. لو يعلمُ الملوكُ ما عندهم من السعادة لجالدوهم، ولو يعلمُ الكبراءُ ما عندهم من الأنسِ لنازعُوهم . فهم بذكر الله سعداء، وبحمد ربهم شرفاء. أغنى الأغنياءِ بذكر ربهم، وأفقرُ الفقراءِ إلى عفوِ خالقهم، يذكرون ربهم ويخافون، ويعبدونه ويهابون، فربُّهم لا يتقبَّل إلا من المتقين، ولا يغفر إلا للمهتدين الصادقين. قد أحْيَوا الليلَ بالأذكار، وأداموا النظر والاعتبار. هُمُ الذاكرون الأبرار، المرابطون الأخيار، قد كمُلْت منهم الخصال، وحَسُنَتْ منهم الفِعال. لا يُذكَرونَ بين الناس إلا بالجميل، ولا يجمعون من الدنيا إلا القليل. قد طابت أرواحهم بالذكر، واستنارت عقولهم بالفكر.

أيها الإخوة الكرام: هؤلاء هُم الذاكرون الله كثيراً في زمن الغفلة والنسيان، المنْتبهون في زمن السَّهو والعصيان، قد اختارهم الله لعبادته، ووفَّقَهم لطاعته، هم أهلُهُ وخاصتُهُ، وأصفياؤه وخيرتُهُ. الذاكرون بين الغافلين، المتيقِّظون بين النائمين. لا يخوضون مع الخائضين، ولا يلْهُون مع العابثين. قد حزموا أمرَهم، وضبطوا شأْنَهم. ينتظرون الموت على الهُدى، ويخافون من مصير الردى. إذا بات أحدهم بات على طهارة وذكر، وإذا استيقظ استيقظ على دعاء وشكر. قد يئس الشيطان من إضْلاله، وقَنَطَ من إغوائه، فهو محفوظٌ في ذمة الرحمن، مكْلُوءٌ بعناية الديان.

أيها الإخوة: إلى متى هذه الغفلةُ المستحكمةُ في حياتنا، وإلى متى هذا الإعراضُ الشاملُ في سلوكنا، أما آن الأوان لننزَجر، ونعودَ إلى ربنا وندَّكر. ينشطُ أحدُنا أمام آلاتِ اللهو والعبث، فيقضي أمامها الساعات الطوال، فإذا حانَ وقتُ الذكر والاستغفار: تكاسلَ وانهزم، وتقاعسَ وانخذل. كيف يجتمع أيها الإخوة في قلب المؤمن حُبُّ القرآنِ ومزاميرُ الشيطان، وكيف يُمكنهُ أن يُوفِّق بين صور الخلاعة وأنوار الإيمان، إن هذا لا يمكنُ أن يكون، فإنَّ القلب لا يتَّسعُ إلا لأمرٍ واحدٍ، فإما مرضاةُ الرحمن، وإما ضلالاتُ الشيطان. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ**﴾.

أقول ما سمعتم وأستغفر الله تعالى لي ولكم فاستغفروه، وتوبوا إليه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمدُ لله المتفرِّد بالكمال، العظيمِ ذي الجلال. أحمده وأستعينه وأستغفره، وأعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له؛ ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أفضلُ الذاكرين، وأعظمُ الشاكرين. صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد ... فإن الله تبارك وتعالى يقول في كتابه العزيز: ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ﴾ ، ويقول أيضاً: ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلاَةَ فَاذْكُرُواْ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ﴾، ويقول أيضاً: ﴿ وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ وَلاَ تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ﴾، ويقول أيضاً: ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾، ويقول أيضاً: ﴿ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ ، ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «ألا أُخبرُكم بخير أعمالِكم وأزكَاها عند مليككُم وأرفَعِها لدرجاتِكم وخيرٍ من إنفاق الذهب والورِق، وخيرٍ لكم من أن تلْقوا عدوَّكم فتضربوا أعناقَهم ويضربوا أعناقَكم؟ قالوا : بلى، قال: ذكر الله ». ويقول أيضاً: « أكثروا الكلام بذكر الله عز وجل، فإن كثرةَ الكلامِ بغير ذكر الله يقسِّي القلب، وإن أبعدَ الناسِ من الله عزَّ وجل القلبُ القاسي ». ويقول عُبيد بن عُمير رحمه الله: « تسبيحةٌ بحمد الله في صحيفة مؤمن خيرٌ له من جبالِ الدنيا تجري معه ذهباً ». وفي الأثر قال موسى عليه السلام: « يا رب كيف لي أن أعلمَ منْ أحببتَ ممن أبغضت ؟ قال: يا موسى إني إذا أحببت عبداً جعلتُ فيه علامتين، قال يا رب وما هما؟ قال أُلهمُهُ ذكري لكي أذكُرَهُ في

ملكوت السماوات والأرض، وأعصمُهُ من محارمي وسَخَطي كي لا يحلَّ عليه عذابي ونقمتي، يا موسى وإني إذا أبغضتُ عبداً جعلت فيه علامتين، قال: يا رب وما هما؟ قال: أُنْسيه ذكري وأُخلِّي بينه وبين نفسه لكي يقع في محارمي بسُخْطي فيحلَّ عليه عذابي ونقمتي » .

فاتقوا الله أيها الناس واحرصوا على ذكر الله، فإن السعيد من أَلهَمَهُ الله ذكره، وإن التعيس من أنساه الله ذكره فكان موقعَ سخَطِهِ ونقمتهِ.

٤- الزهد في الدنيا

الخطبة الأولى:

الحمدُ لله القائل في كتابه العزيز: ﴿ قُلْ مَتَاعُ الدَّنْيَا قَلِيلٌ﴾، وأشهد أن لا إله إلا الله، جعل الدنيا فانية، لا تزنُ عنده جَنَاح بعوضة، وأشهد أن محمداً رسول الله، أحرصُ الناس على الآخرة، وأزهدُ الناس في الدنيا. ما من طريق خيرٍ إلا دلَّنا عليه، وما من طريق شرٍ إلا حذَّرنا منه، فصلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله، واعلموا أن الدنيا دارُ من لا دار له، ويجمعُ لها من لا عقلَ له، فكم من صريعٍ لها، وكم من قتيلٍ لها، فهي تتقلَّبُ في كلِّ حين، لا صاحبَ لها ولا حبيب.

وقد وصفها الله عز وجل في كتابه بأوصافٍ واضحةٍ جليةٍ، بيَّن فيها هوانَها، وحقارتَها، وأنها دارُ اختبار، لا دارُ قرار، وأنها وضيعةٌ وليست بعظيمة، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاء فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلاً﴾ .

وقال أيضاً: ﴿ وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ . وقال تعالى: ﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾.

هذا وصف الله عز وجل للدنيا، فإنما هي لهوٌ ولعب، رغم ما فيها من الأموال، والدول، والعمارة، ونحوها إنما هي لهوٌ ولعب، لأنَّ الحياةَ الحقيقيةَ هي الحياةُ التي لا تفنى ولا تبيد، أما هذه الحياةُ الدنيا فإنها إلى زوال، فمهما عاش فيها المتنعِّمون، وقاسى فيها الكادِحُون، فإنما هم إلى دارٍ أخرى كاملة، فمنْ كانَ من أهل الخير – ولو كانَ من أشقى الناس في الدنيا – لم يذكرْ عند معاينة النَّعيم شيئاً من مأساة حياته، ومن كان من أهل الشر – ولو كان من أعظم الناس في الدنيا – لم يذكرْ عند معاينة العذاب شيئاً من نعيم الدنيا: ﴿ **أَفَرَأَيْتَ إِن مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ * ثُمَّ جَاءهُم مَّا كَانُوا يُوعَدُونَ * مَا أَغْنَى عَنْهُم مَّا كَانُوا يُمَتَّعُونَ** ﴾، وفي هذا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: « يُؤتى بأنعمِ أهل الدنيا من أهلِ النار يومَ القيامة، فيُصْبغُ في النار صبغَة، ثم يُقَال له، يا بنَ آدم هل رأيت خيراً قط، هل مرَّ بك نعيم قط؟ فيقول: لا والله يا رب. ويُؤتى بأشدِّ الناسِ في الدنيا من أهل الجنة، فيُصْبغُ في الجنةِ صبغة، فيقال له: يا بنَ آدم: هل رأيت بؤساً قط، هل مرَّ بكَ شدةٌ قط؟ فيقول: لا والله يا رب ما مرَّ بي بؤسٌ قط، ولا رأيتُ شدةً قط » . فهذه أيها الأخوة حقيقةُ الشقاءِ في الدنيا لأهل الخير، وهذه حقيقةُ النعيم في الدنيا لأهل الشر والكفر، فإنما هي أيامٌ، ثم ينقلبُ كلُ إنسانٍ إلى جزائِهِ ومصيرِه.

أيها الإخوة : هل يظنُ الذي يكدحُ لجمع المال من حلالٍ وحرام، أنَّه سوف يصلُ إلى الحد الذي يستغني فيه عن جمع المال، فيرتاحُ من عناء الكدح والتعب، إن الحقيقةَ تقولُ غيرَ هذا، فإن طالبَ الدنيا لا يشبعُ منها، ولو جُمعتْ له الدنيا من أقطارها، إلا أن يقذفَ اللهُ غناهُ في قلبه، فيُرَضِّيَه بما قسم، ويُزهِّدَهُ في الحطام . يقول الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم موضحاً هذه الحقيقة

النفسية، التي فُطِرَ عليها بنو آدم: « لو كان لابنِ آدمَ واديان من مالٍ، لابتغى ثالثاً، ولا يملأ جوفَ ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب ». أيها الأخوة هذه هي الحقيقةُ التي قد يتغافل عنها البعضُ، إن طلب الدنيا لا ينتهي إلى حد، وحبَّ الخير لا مُنتهى له، فلا يزالُ الشَّرِهُ يطلبُ ويطلبُ، حتى يأتيَه أجلُهُ وهو على حالهِ من الطلبِ والشَّرَهِ، فلا يكُفُّهُ عن ذلك إلا ترابُ قبره، حين يكونُ المالُ وبالاً عليه، لا خادماً له عند ربه عز وجل.

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: « من كانت الدنيا همَّهُ، فرَّق اللهُ عليه أمره، وجعل فقرَه بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلا ما كُتبَ له، ومن كانت الآخرةُ نيَّتهُ، جمعَ اللهُ له أمره، وجعل غناه في قلبه، وأتتْهُ الدنيا وهي راغمة »، ويقول أيضاً: « من جعل الهمَّ هماً واحداً، كفاهُ اللهُ همَّ دنياه، ومن تشعَّبتهُ الهمومُ، لم يبالِ اللهُ، في أيِّ أوديةِ الدنيا هلك ».

أيها المسلمون : إن همَّ الآخرة، إذا شغلَ المؤمنَ: أنساه همَّ الدنيا، وعناءها وكدرَهَا، وإذا انشغلَ بالدنيا، وحُطامِها، شغلته عن الآخرة، وكدَّرت عليه صفوة حياته، فمن حُرِمَها انشغل بجلبها، والسَّعيِ وراءَها، ومن جاءته الدنيا: شغلته بإصلاحِها وإدارتها.

أيها الإخوة: لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسعى سعياً حثيثاً لتزهيد أصحابه في الدنيا، والتَّهوين من شأنها، فعن المستورد بن شداد رضي الله عنه قال: « كنت مع الرَّكْب الذين وقفوا مع النبي صلى الله عليه وسلم على السَّخلةِ الميتةِ، وهي الشاةُ الميتة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أترون هذه هانت على أهلها حينَ ألقوْها ؟ قالوا: من هوانِها ألقوْها يا رسول الله، قال: فالدنيا

أهونُ على الله من هذهِ على أهلـها »، ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم أيـضاً: « لو كانت الدنيا تعدِلُ عند الله جَنَاح بعوضة، ما سقى كافراً منها شربةَ ماء ».

فما بالُ كثيرٍ من النـاس يتنافسونَ في هـذا الحطـام، يجمعونـه مـن حـلال وحرام، لا يبالي أحدُهُم من أين حصلَ على المال، فـالغشُ والخـداع، والاحتكـارُ والربا، وأكلُ أموالِ الناسِ بالباطل، ينامُ أحدُهُم قريرَ العين، وفي جوفـه الحـرام، وفي ثروته مظالمُ للناس، في حين أنَّ الصالحينَ كان أحدُهم يتجنَّبُ الحلالَ مخافةَ أن يقعَ في الحرام، يقول الحسنُ البـصري رحمـه الله: « أدركـتُ أقوامـاً كانـت الـدنيا تُعرضُ لأحدِهِم حلالاً فيدَعُها، فيقول : والله ما أدري على مـا أنـا مـن هـذه إذا صارت في يدي » ؛ أي يخشى على نفسه التغيُّرَ والتبدل إذا صارت الـدنيا في يـده، وهي من الحلال، فكيفَ بمن يجمعها من الحرام، أما يخشى على نفسه، وعلى قلبـه من الطبع والطمس، خاصـةً في مثـل هـذه الأزمـان، التـي اخـتلط فيهـا الحـلالُ بالحرام، وأصبح الدرهمُ الحلالُ عزيزاً، حتى أنك لا تكـادُ تجـدُ بـين النـاس مـن يتعاملُ بغير شبْهة، وقد رُوي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: « سَيأتي علـيكم زمانٌ، لا يكونُ فيه أعزُّ من ثلاثة: أخٌ يُستأنسُ بـه، أو سـنةٌ يُعمـلُ بهـا، أو درهـمٌ حلال » . فإذا بالدنيا تضيقُ على المؤمن التقي، حتى لا يجـدُ مـلاذاً يلـوذُ بـه مـن الحرام، وتكالُبِ الناسِ على الحطام، وفي هذا يقول عليه الصلاة والسلام: « الدنيا سجنُ المؤمن، وجنَّةُ الكافر » ، سـجنُ ا لمـؤمن لأنـه يمنـعُ نفسهُ مـن الـشهواتِ المحرمة، وجنَّةُ الكافر، لما ينتظرهُ في الآخرة من عظيمِ العذابِ، وسخطِ الله تعالى.

فاتقوا الله عباد الله، وأعدُّوا ليوم تُسألون فيه عن القليل والكثير، والجليل والحقير، حين لا ينفع ندمٌ ولا حسرةٌ، إنما هي الجنةُ أو النـار . أقـول هـذا القـول وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاةُ والسلام على خاتم النبيين، وسيِّدِ المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فاتقوا الله يا أيها الناس، واحرصوا على ما ينفَعُكم، وازهدوا فيما يضرُّكم. واعلموا أن العاقل الفطِنَ: من استغل دنياهُ واستخدَمَها في طاعةِ ربه، والشَّقيَّ من استغلَّته الدنيا واستخدمتهُ في طاعةِ الشيطان، وحزبِ أعداءِ الرحمن.

أيها الإخوة المسلمون: لقد كان الرَّجلُ يأتي رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، وهو راغبٌ في الدنيا، مُقبلٌ عليها، فيعملُ رسول الله صلى الله عليه وسلم على انتزاع حبِّ الدنيا من قلبهِ، فهذا حكيمُ بنُ خزام رضي الله عنه، يقول: « سألتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فأعطاني، ثم سألتُهُ فأعطاني، ثم سألتُهُ فأعطاني ثلاثاً، ثم قال: يا حكيم، إنَّ هذا المالَ خَضِرَةٌ حُلْوة، فمن أخذه بسخاوةِ نفسٍ، بُوركَ له فيه، ومن أخذهُ بإشراف نفسٍ، لم يُبارك له فيه، وكان كالذي يأكلُ ولا يشبع، واليدُ العليا خيرٌ من اليدِ السفلى . قال حكيمٌ : فقلت: يا رسول الله والذي بعثكَ بالحق، لا أرزأُ أحداً بعدكَ شيئاً، حتى أفارقَ الدنيا – أي لا آخذُ من أحدٍ شيئاً – وكان أبو بكرٍ يدعو حكيماً إلى العطاء، فيأبى أن يقبلَ منه، ثم إنَّ عمرَ دعاهُ للعطية، فأبى أن يقبلَ منه شيئاً، ... فلم يرزأ حكيمٌ أحداً من الناس شيئاً بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تُوفي ». وهكذا ينتزعُ الرسولُ صلى الله عليه وسلم حبَّ الدنيا من قلوب أصحابه، حتى يصلَ بهمُ الحدُ إلى الزهد في الحلال فضلاً عن الحرام، ولا شكَّ أن المالَ الصالحَ خيرٌ للرجل الصالح كما قال الرسول عليه الصلاة والسلام.

وعن زيد بن أرقم رضي الله عنه « أن أبابكر رضي الله عنه: استسقى فـأُتِيَ بإناءٍ فيه ماءٌ وعسل، فلما أدناهُ من فيه بَكَىَ وأبكى من حولَهُ، فسكت وما سكتوا، ثم عاد فبكى حتى ظَنُّوا أن لا يقدروا على مسألته، ثم مسحَ وجهَهُ وأفاق، فقالوا: ما هاجكَ على هذا البكاء ؟ قال : كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم، وجعلَ يدفعُ عنه شيئاً، ويقول: إليكِ عني إليكِ عني، ولم أرَ معهُ أحداً، فقلت : يا رسول الله، أراكَ تدفعُ عنكَ شيئاً، ولا أرى معكَ أحداً، قال: هذه الدنيا تمثَّلت لي بها فيها، فقلت لها إليكِ عني، فتنحَّت وقالت: أما والله لئن أفلتَّ مني، لا ينفَلِتُ مني مَنْ بعدك، فخشيتُ أن تكون قد لحِقَتْني، فذاكَ الذي أبكاني ».

أيها الإخوة: لو كانَ في الدنيا وزينتِها خيرٌ لما رَغِبَ عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد عَرَضَ الله عز وجل على نبيه صلى الله عليه وسلم، أن يُسَيِّرَ له جبالَ تُهامةَ ذهباً، وبطحاءَ مكة ذهباً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « لا يا رب، ولكن أشبعُ يوماً وأجوعُ يوماً » . ولما نام عليه الصلاة والسلام وأثرَّ الحصيرُ في جنبه، قال له عبدالله بن مسعود: يا رسول الله لو اتخذتَ لكَ – أي فرشاً ليناً– فقال: مالي وما للدنيا، ما أنا في الدنيا إلا كَراكِبٍ استظلَ تحتَ شجرةٍ، ثم راحَ وتَرَكَها ». وكان يقول عليه الصلاة والسلام لعائشة: « يا عائشة إن أردتِ اللحوقَ بي فلْيكْفِكِ من الدنيا كزادِ الراكب، وإياكِ ومُجالسةَ الأغنياء، ولا تستخلفي ثوباً حتى ترقعيه » ؛ أي لا تستغني عن ثوبٍ حتى ترقعيه. وكان عليه الصلاة والسلام يدعو يقول: « اللهم أحيني مسكيناً، وتوفني مسكيناً، واحشرني في زمرة المساكين ». وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يقول لعبد الله ابن عمر: «كنْ في الدنيا كأنَّك غريبٌ، أو عابرُ سبيل، وعُدَّ نفسَكَ في أهل

القبور ». قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: « والله ما وضعتُ لبنةً على لبنة، ولا غرستُ نخلة، منذُ قُبِضَ النبي صلى الله عليه وسلم ».

وجاء رجلٌ إلى عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما فقال: « ألسنا من فقراء المهاجرين؟ فقال: ألك امرأةٌ تأوي إليها ؟ قال : نعم، قال: ألك مسكنٌ تسكُنُهُ ؟ قال: نعم، قال: فأنت من الأغنياء، قال: فإنَّ لي خادماً، قال: فأنت من الملوك ».

اللهم رضِّنا بما قضيت لنا وقسمت، وحبِّب إلينا الآخرة، وكرِّه إلينا الدنيا وزينتها، واجعل ما رزقتنا عوناً على طاعتك، واجعل الدنيا في أيدينا لا في قلوبنا، اللهم أصلح أحوال المسلمين، واكْفِهِم شرَّ الأشرار، وبلِّغهم فيما يُرضيك آمالَهم، اللهم أصلح أئمتنا وولاة أمورنا، واجعل اللهم ولايتنا في من خافك واتقاك واتبع هداك طالباً رضاك يا رب العالمين، اللهم انصر المسلمين في كل مكان بفضلك يا أرحم الراحمين.

عباد الله إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون، فاذكروا الله يذكركم واشكروه على نعمه يزدكم ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون.

٥- الشيب وطول العمر

الخطبة الأولى:

إنَّ الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللَّـهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾.

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللَّـهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّـهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّـهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّـهَ إِنَّ اللَّـهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾.

تتعاقبُ السنواتُ والشهورُ، وتنطوي الأيامُ والدهور، لتكشفَ زيفَ الحياة الدنيا، وتفضحَ بهرَجَها، لقد ابتسمت الدنيا لأصْحابها، وغرَّتهم بجمالها، فما لبثت طويلاً حتى كشَّرت عن أنيابها، وخانت أصْحابها، فإذا بالشيب يخطُّ الوجوه، وإذا بالمرضِ يُرهقُ البدن، وإذا بالهُزال ينْخِرُ العظام، فلم تعد اليدُ تقدرُ على البطش، ولم تعد الأرجلُ تقوى على الحمل، لقد ذهبَ الشباب، وخارت القوى، وضعفت الذاكرة، وكثرَ النسيان. فها هو الإنسانُ، قد ضعفَ بعد القوة، وهزُلَ بعد النشاط، ورقَّ بعد الشدة، لقد حواه سريرُ الموتِ بعد أن كانت القصورُ والدورُ لا تستوعبُهُ، لم يعدْ يستهلكُ من الدنيا إلا خروقاً تسترُ عورتَهُ، وطعاماً

قليلاً يسدُ جوْعتَهُ، وقليل الماء يروي ظمأه. لقد عجزَ الطبيبُ أن يؤخِّر ساعتَهُ، ويئسَ الحبيبُ أن يطيلَ مدته، حتى إذا دنت ساعةُ الفراق، وتصلَّبت الأطراف، وجفَّ اللسان، وحضرَ الرسلُ الكرام: تذكر سالفَ الأيام، كم من صلاةٍ ضيَّعها، وكم من مظْلمةٍ اقترفها، وكم من حُرْمة انتهكَها، أغراه الشبابُ بنشاطه، وألهاه الشيطانُ بملذاته، فلم يُعدَّ للسفر عُدَّته، فرَّط في الطاعات، وعكف على الملهيات، حتى إذا حضرَهُ الموتُ كان دعاؤه: ﴿ **رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ**﴾، ﴿ **رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ**﴾، إنها دعواتٌ وكلمات جوفاء، لا قيمةَ لها في مثلِ هذا الموقفِ بعد التفريط والتسويف. ويأتي القولُ الحق، والتقريع للمفرطين: ﴿ **أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ** ﴾ .

أيها المسلمون: اثنانِ منْ لم يتعظْ بهما فلن يتعظَ بشيءٍ بعدهما: القرآن بما فيه من المواعظِ والعبر، وخبرِ الآخرة وأهوالها، والشيبُ الذي يُنذرُ بأفولِ عهدِ الشباب، والدنوِ من الآخرة، فمن لم يتعظ بالقرآنِ والشيبِ فلن يتعظ بشيءٍ بعدهما.

يا خسارةَ من ضيع أوقاته النفيسة في الأغراض الخسيسة، ويلٌ لمن ذهبَ عمره باطلاً، في قيلَ وقال، ﴿ **أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ** ﴾.

أيها المسلم : اغتنم مهلةَ الحياةِ قبلَ أن تأتيك ساعةُ الفراق، واغتنم صحةَ بدنِكَ قبلَ أن يُداهِمكَ المرض، واغتنم وفرةَ وقتكَ قبلَ أن تُحيطَ بكَ المشاغلُ، واغتنم زمن الشبابِ والقوةِ قبل أن يلْحَقَكَ الهرمُ والضعف، واستعن بمالكَ على

طاعةِ الله، قبل أن يُحيطَ بك الفقر، فتنشغلَ بلقمة العيش.

أيها المسلمون: إن طولَ العمر مع حسنِ العمل ليسَ بقبيح، وإنما القبيح هو طولُ العمرِ مع سوءِ العمل، فإن عمرَ المؤمنِ لا يزيدُهُ إلا خيراً، وقد جاء في الخبر إن أكثرَ الناسِ ثواباً يوم القيامة المؤمنُ المعمِّر، وفي الحديث: « إنَّ من السعادةِ أن يطولَ عمر العبدِ ويرزُقَهُ اللهُ عزَّ وجل الإنابة ».

رأى أحدُ السَّلفِ الشيبَ في رأسه قدْ بدأ فقال: « مرحباً بالحلمِ والعلم، الحمدُ لله الذي أخْرجني من الشباب سالماً » ، وجلس مرَّة أحدُهم إلى عالمٍ فقال : طابَ الموت، يعني أنه يتمنَّي الموت، فقال له العالم: « لا تفعل، لساعةٌ تعيشُ فيها تستغفرُ اللهَ خيرٌ لكَ من موتِ الدَّهر » .

دخلَ الخليفةُ سليمانُ بن عبد الملك المسجدَ فرأى شيخاً كبيراً هَرِماً فدعا به، ثم قال له: « يا شيخ أتُحِبُ الموتَ ؟ ، قال: لا، قال: لمَ ؟ قال: ذهب الشبابُ وشرُّه، وجاءَ الكبَرُ وخيرُهُ، فإذا قمت قلت: بسم الله، وإذا قعدتُ قلتُ: الحمد لله، فأنا أحب أن يبقى لي هذا » ، وهكذا العقلاءُ الفطناءُ لا يحبونَ من الدنيا إلا ما كانَ قربةً لله تعالى، لا يزيدُهُم طولُ العمُرُ إلا خيراً، قد ملؤوا الأوقاتَ بالطاعات، وعمَروا الآيامَ بالعبادات، فهنيئاً لهؤلاءِ بطولِ العمر.

اللهم بلِّغنا فيما يُرضيكَ آمالنا، وأحْينا ما دامتِ الحياةُ خيراً لنا، وأمتنا مادامَ الموتُ خيراً لنا.

اللهم تولَّ أمرنا، واغفر ذنبنا، واستر عيبنا، واجعلنا من عبادك المتقين، واختم آجالنا بعملٍ صالح مُتقبَّل عندك، يا أرحم الراحمين.

الخطبة الثانية:

الحمد لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وعلى آله وصحبه أجمعين.

أيها المسلمون: ماذا يريدُ اللهُ تعالى بعذابِ عباده إن هم آمنوا واتقوا، وأنابوا واختبوا، ﴿ **مَّا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا** ﴾ .

إنَّ اللهَ تعالى رحيمٌ بعباده، يستحيي من عبده المعمِّر، يشيبُ في الإسلام ثم يعذِّبه، بل إن المؤمن إذا ردَّه الله تعالى إلى أرذلِ العمرِ حتى يعجَزَ عن العمل: كتبَ اللهُ له أحسَنَ ما كانَ يعملُ في صحَّتِهِ وشبابِهِ، فكلُ ذلكَ خيرٌ للمؤمن، شبابُهُ خيرٌ له يعملُ ويجتهد فيه، وهرمُهُ خيرٌ له،لا يفوتُهُ الأجرُ، وفي الحديث يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: « الشيبُ نورُ المؤمن، لا يشيبُ رجلٌ شيبةً في الإسلام إلا كانت له بكلِّ شيبةٍ حسنة، ورُفعَ بها درجة » .

أخي المسلم: لقد انقضى هذا العام، وذهبَ بما فيه، وسوفَ ينقضي العامُ الجديد، وسوفَ تنقضي أعوامٌ أخرى، ولكن في أحد هذه الأعوام القادمة سوف تكون أنتَ خبراً يُرْوى، وقصةً يذكرها الناس، ويتناقلونها في مجالسهم، فأيُّ عامٍ هو عامُكَ الذي لا تتجاوزه، فاستعد لعام تكونُ فيه خبراً ماضياً، قد دُوِّن اسمكَ في سجلِ الأموات، اللهم اختم لنا بخير، واجعل عاقبةَ أمرنا إلى خير.

٦- الشيطان خطره ومكائده

الخطبة الأولى:

الحمدُ لله الذي لعنَ الملعونَ في كتابِهِ، ويأَّسَ الخبيثَ من رحمته، وقنَّطَ الشقيَّ من جنَّته. جمعَ فيه الشَّر من كلِّ أصنافه، ومنعَ عنه الخيرَ من كلِّ أبوابه. ذمَّ ذِكْرَه، وحطَّ قدره، وقبَّح طبعَه، وشوَّه شكْلَه، وأضعَفَ كيَده. امتحنَ به المؤمنينَ ليرفعَ قدرَهُم، وفتَنَ بِهِ الفاسقينَ ليبلوَ أمرَهُم. فسبحانَ منْ خَلَقَ الخيرَ وخصَّ به أولياءَه، وسبحانَ من خَلَقَ الشَّرَ فخصَّ به أعداءَه. أحمدُهُ وحده لا شريك له، وأشهدُ ألا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد : فاتقوا اللهَ عبادَ الله، وأعلموا أنَّ اللهَ تعالى قد ابتلاكُم بعدوٍ يراكُم ولا ترونَهُ، ويسمَعُكُم ولا تسمَعُونَهُ، يعرفُ مدْخَلكُم ومخرَجكُم، ومحبوبَكُم ومكْرُوهَكُم . كَتَبَ اللهُ تعالى على من أطاعه الذلَّ والهوان، والضلالَ والخسران، وكَتَبَ لمن عصاهُ العزَّ والأمان، والهدايةَ والفلاح.

أيها الإخوة الكرام : استمعوا إلى هذا العرض القرآني الذي يقصُهُ عليكُم ربُكُم عزَّ وجل فيقول: في كتابه العزيز: ﴿ **وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلآئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِين * قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِين * قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ * قَالَ أَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ إِنَّكَ مِنَ المُنظَرِينَ * قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن**

شَمَآئِلِهِمْ وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ * قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْؤُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ * وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلاَ مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَـذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ * فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَـذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ * وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ * فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ * قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ * قَالَ اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ * قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ * يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىَ ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ * يَا بَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاء لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ * وَإِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاء أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ * قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ * فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلاَلَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاء مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ .

أيها الإخوة: إنَّ هذا الخبيثَ قد ناصبَكُم العَداءَ منذُ ذلكَ الأزلِ البعيد، فليس له في هذه الدنيا سوى غوايةِ بني آدم، والاستكثارِ بهم في نار الجحيم. فما

فتئ يمضي منذُ ذلك الحين في خطته، مُبتدئاً بآدمَ عليه السلام ، ومنتهياً بآخر نسمةٍ تقولُ لا إله إلا الله في هذه الأرض . هدفهُ من الناس الكفرُ، إلا أنـه يـرضى مـن المعصوم من الكفـر بـما هـو دون ذلـك، والنـاسُ معـه في الغوايـةِ عـلى مراتـب: فمنهم المعصوم، فلا ينالُهُ منه إلا الأذى كالأنبياء، ومنهم الصالحُ فلا يلحقُهُ منـه إلا الوسوسة، ومنهم الكافر الفاجر فهذا كالكُرةِ في يد عـدوِّه يقـذفُ بهـا حيـثُ يشاء .

أيها المسلمون: أَوَ تظنونَ أن الشيطانَ يُمكِنُ أن يتركَ أحداً منكم، فلو نجا منه أحدٌ لكانَ أولى الناسِ بذلكَ سيدَ الخلق محمداً صلى الله عليه وسلم، فقد كان يعرِضُ له في صلاته بشعلةٍ من النار، وربما شغلَهُ بخاتمه في يده، أو حُلَّته على بدنه. حتى إنه – عليه لعنةُ الله– كان يُشَهِّرُ يوم العقبة بمن بايعَ النبي صلى الله عليه وسلم، وكان ينادي يومَ أحدٍ بمقتلِ النبي صلى الله عليه وسلم.

أيها الإخوة: ألم يكن هذا الخبيثُ وراءَ ضلالِ الأممِ عـن التوحيـد، حتـى زيَّن للمشركين عبادةَ الأوثان، وزيَّن للغاوينَ عبادةَ الكواكبِ والنجوم، وأوحـى إلى أوليائِهِ بغرائبِ الطقوس، وعجائب العادات، حتى قتلوا أولادَهـم، وسـفكُوا دماءَهم، وبدَّدوا أموالهم.

أليسَ هو وراءَ نفاقِ المنافقين، حتى أقـنعهم بحُـسْنِ مـسْلَكِهم، وسـلامة منهجهم. أليس هو وراءَ غُلاةِ الصُّوفيةِ حتى زيَّن لهُمُ العقائـدَ الباطلـة، والطـرق الفاسدة. أليس هو وراء تزيينِ عبادةِ القبور، وتعظيم الصورِ والتماثيل، أليس هـو وراء رواج سوق العرَّافينَ والمنجِّمين، والسحرةِ والمشعوذين.

أليس هو وراءَ افتراقِ الأمة إلى ثلاثٍ وسبعين فرقة، حتى كادت تغيبُ بين هذه الفرقِ معالمُ الدينِ الحق، في خزعبلاتٍ عقليةٍ منْتنة ، ونظراتٍ فلسفيةٍ مُمْرضة.

أيها الإخوة: و لئن كانَ ضلالُ الشيطانِ وغوايتُهُ في العقائد بلغت مبلغاً عظيماً: فإن مفاسدَهُ وضلالاته في الأخلاق والسلوكِ أوسعُ من ذلك وأعظم، فقد زيَّن لكثير من الأمم والشعوب البغاءَ والزنا حتى جعله عند بعضهم من القُرب والعبادات، وزيَّن حبَّ الصُّور، وتفضيل العُري والمجونِ حتى أباحت بعض الأمم الشذوذ والزنا، وأقرَّت الخمرَ، والرقصَ . فأسبغوا على هذه المفاسد الخلقية – بوحي من الشيطان– أسماءً براقة، كالفنون الشعبية، والمشروبات الروحيةِ، والترويحِ البريء.

أيها الإخوة: لو قُدِّر أن نجا العبدُ الصالحُ من غوايةِ الشيطانِ العقديَّة، ومفاسدِهِ الخُلُقية: فأنَّى له أن ينجوَ من وسوسته، وما يقذفُهُ في روعِ المؤمنِ من الأفكارِ والتصوراتِ الباطلة، والترغيبِ في الشر، والتثبيطِ عن الخير. فإنَّ هذا البابَ من أوسع أبوابِ الشيطان، لا يكادُ ينجو منه أحد، حتى إنَّ أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يجدونَ من ذلكَ شدة، ويلقون منه عنتاً.

أيها المسلمون: إنَّ مداخلَ الشيطانِ على الإنسان كثيرة، إلا أن جِمَاعَ ذلك في الشهوات والشُبُهات، فيدخلُ على العبدِ من جهة شهوةِ الفرج أو البطن، أو من جهة مرضِ القلب. فما يزال بالعبد يغزوهُ بالشبهات، ويصرعُهُ بالشهوات، حتى يسوقَهُ من خلال الشبهة إلى التكذيب والجحود، ومن خلال الشهوة إلى الغوايةِ والفسوق، فلا يعرفُ من العقيدةِ إلا الشبُهات،

ولا يعرف من الأخلاق إلا الشهوات. فإذا بالعبد ينتقلُ من الحنيفيةِ السَّمحةِ إلى الغوايةِ الكبرى، ومن الفطرة السوية إلى النكْسَةِ الغوية.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ **كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ * فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاء الظَّالِمِينَ** ﴾ .

أقول هذا القول وأستغفر الله تعالى لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمدُ لله ملاذِ المؤمنين، وعونِ الصالحين، أحمدُهُ وأشكره، وأعوذُ بالله من شرور أنفسنا، وألوذُ به من كيد عدوِّنا، ولا حولَ ولا قوةَ إلا به، القوي العزيز.

أما بعد ... فاتقوا الله عباد الله، واحذروا مكائدَ الشيطان فإنه عارفٌ بالعيوب، بصيرٌ بإلقاء العبد في الذنوب، له طرقٌ كثيرةٌ إلى الصدور، فاستعيذوا من شره بمولاكُم علامِ الغيوب. واعلموا أنَّ الله تعالى ما ابتلاكُم به إلا ليختبرَكُم، فينظرَ كيفَ تعملون، فيرفعُ بهذا البلاءِ قدرَ أوليائِهِ، ويحطُ به منزلة أعدائِهِ، فيتميَّزُ الصالحُ من الطالح، والطيبُ من الخبيث.

واعلموا أنَّ قلبَ الإنسان بالفطرة صالحٌ لقبولِ الخيرِ والشر، فما يقعُ فيه من إلهام الملكِ الموكَّلِ بالإنسان، أو وسوسة الشيطان الملازم له فإن كلَّ ذلكَ واقعٌ في النفس لا محالة، وإنَّما الجزاءُ في التصديق والعمل. فمن قَبِلَ بالحق وعملَ به

جُوزيَ خيراً، ومن قَبِلَ بالباطلِ وعمِلَ به جُوزيَ شراً. ومحكُّ المؤمنِ في كلِّ هـذا: الكتاب والسنة، فما وافقهما من الخواطرِ كان حقاً، وما خالفَهُما منها كـان بـاطلاً. وهذا بابٌ واسعٌ من أبـوابِ الجهـاد، بـل هـو في الحقيقـة أوسـعُ أبـوابِ الجهـادِ الإنساني، فإن الجهادَ بالسنان له وقتٌ ثم يمضي، أما جهادُ الشيطانِ فـلا نهايـة لـه إلا الموت، فإنَّ هذا الخبيثَ لا ينفكُ عـن غوايـة الإنـسانِ أبـداً، لا في ليـلٍ ولا في نهار، ولا في يقظةٍ ولا في منام، فإن قرين الإنسان لا ينـام، ولا يعـرفُ مـن شُـغْلِ الدنيا إلا الضلالَ والإضلال. فكيف يصحُّ للعاقلِ المـؤمنِ أن يغفـلَ عنـه، وهـو متربصٌ به، وكيف يصحُّ منه أن يُهادنَهُ وهو يقاتلُهُ، وكيـف يـصحُّ منـه أن يُـسالمه وهو يعاديه، فإن هذا لا يكون إلا من السفهاءِ الغـاوين، الـذين اسـتحوذ علـيهم الشيطان فأنساهم ذكر الله.

أيها المسلمون: إن ردَّ الوسـواسِ الـشيطاني، وحمايـةَ القلـبِ مـن أسـبابِ الغواية: فرضٌ لازمٌ على كلِّ مكلَّف، فكما أن الله تعالى ابتلاكم بهذا الخبيث يجـري منكم مجرى الدماء، ويصلُ منكم إلى مواقـع القلـوب: فـاعلموا أنَّـه: ﴿ **لَـيْسَ لَـهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * إِنَّـمَا سُـلْطَانُهُ عَـلَى الَّـذِينَ يَتَوَلَّوْنَـهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ** ﴾ . فأهل التقوى في حفظ الله تعالى من كيدِهِ وإضْلالـــه، لا يصلُهُم من شره إلا الوسوسةُ وخواطرُ الشر، فيردُّونها بنور القرآن، والـدعاء، والذكر. فبقدر طاعةِ العبدِ واستقامته، بقدر ما يحفظُهُ اللهُ تعالى ويحميه من كيـده، وبقدر عصيانه وعناده، بقدر ما يتسلَّطُ عليه الشيطان.

اعلموا أيها المـسلمون: أن محبوبـاتِ الله تعـالى هـي مُبْغـضات الـشيطان،

ومُبْغضات الشـــيطانِ هي محبوبـاتُ الله تعالى. فكـل أمرٍ حثَّ اللهُ تعالى عليه، أو فرضَهُ على عباده: من العباداتِ أو المعتقدات أو المعاملاتِ: فهو مـن حـصون الله تعالى الواقية من الشيطان. وكلُّ أمرٍ نهى الله عنـه، أو كـرِهَ فعلـه فهـو مـن كمائِـنِ الشيطان، يصطادُ بها أولياءه. فعليكُم بمحبوبات الله تعالى: من الصلاةِ، والـذكرِ، ومجامعِ الخير. واحْذروا النجاسات، والمعاصي، والمزامير، والمزابـل، والأسـواق، ومواقعَ اللهوِ والمجون. واعلموا أن الطريقَ إلى الله تعالى واحدٌ لا ثـاني لـه، وهـو الطريقُ الذي دلَّ عليه كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وأما طـرقُ الـشيطان فهي كثيرة لا تُعد، على رأسِ كلِّ طريق منها شيطانٌ يدعو إليه.

اللهم إنا نعوذُ بك من وسْواس الصدر، ونعوذ بـك مـن المكـر والغـدر، ونعوذ بك من شتاتِ الأمر. اللهم إنا نعوذُ بكَ من ركوبِ الفجـور، ونعـوذ بـك من الغي والنفور، ونعوذ بك من الشيطان المثبور.

اللهم لا تجعل للشيطان على قلوبِنَا سبيلاً، ولا تجعل لوساوسه إلى نفوسنا طريقاً، واحفظنا يا ربنا بالإسلام قائمين، وبالإسلام قاعدين، وبالإسلام نائمين.

اللهم آت أنفُسَنا تقواها، وزكِّها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها.

اللهم أعزَّ الإسلام والمـسلمين ، وأذلَّ الـشرك والمـشركين، ودمِّـر أعـداء الدين،اللهم آمنا في أوطاننا وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، واجعـل اللهـم ولايتنـا فيمن خافك واتقاك واتبـع هـداك طالبـاً رضـاك يـا رب العـالمين. اللهـم انـصر المجاهدين في سبيلك في كل مكان. اللهم صل على محمد وعلى آل محمد.

عباد الله : إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون، فاذكروا الله العظيم يذكركم، واشكروه يزدكم، ولذكر الله أكبر ، والله يعلم ما تصنعون.

ثالثاً: التربية التعبدية:

١- الصلاة – أهميتها وفضلها وخطر التهاون فيها.

٢- استقبال شهر رمضان المبارك.

٣- وداع رمضان.

٤- وجوب الحج واستحضار شعائره.

٥- فضائل الحج ومناسكه.

١ – الصلاة – أهميتها وفضلها وخطر التهاون فيها

الخطبة الأولى:

الحمد لله جعل الصلاةَ عمادَ الدين، وبرهانَ صدق الإيمان، ونورَ المؤمنِ في الدنيا والآخرة، أحمده وأستعينه وأستغفره، وأعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كلِّه ولو كره المشركون. أما بعد:

فيقول الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم:

﴿ إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ﴾، ويقول: **﴿ قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُواْ يُقِيمُواْ الصَّلاَةَ﴾**، ويقول: **﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾**، ويقول أيضاً: **﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ * رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ﴾** .

أيها الإخوة الكرام: إنَّ أمرَ الصلاة عظيم، وشأنها عند الله كبير، فهي أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين، وعليها يقومُ بناءُ الإسلام الشامخ، فهي رافدُ الإيمان، وغذاءُ الروح، وصلة العبد بربه، وهي سَكَنُ المؤمن، وسلوةُ الحزين، وقرَّةُ عين الحبيب المصطفى عليه الصلاة والسلام، الذي كان يقول لمؤذنه بلال رضي الله عنه: «أرحنا بها يا بلال»،

ويقول: «وجُعلت قرةُ عيني في الصلاة».

وجـاء عنـه عليـه الـصلاة والـسلام في فـضل الـصلاة أنـه قـال: «الـصلواتُ الخمـس، والجمعـةُ إلى الجمعـة، كفـارةٌ لمـا بيـنهن مـا لم تُغْـشَ الكبـائر»، وقـال: «مـا مـن امـرئٍ مـسلم تحـضره صـلاة مكتوبـة، فيُحـسِنُ وضـوءَها، وخـشوعَها، وركوعَهـا، إلا كانـت كفـارة لمـا قبلهـا مـن الـذنوب، ما لم تُؤت كبيرة، وذلك الدهر كلَّه».

والـصلاة أيهـا الإخـوة بـابٌ مفتـوحٌ إلى الجنـة، وطريـقٌ عظـيم مـن طرق الجنة، فقد رُوي أن رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم قـال: «مـا مـن عبـدٍ يـصلي الـصلوات الخمـس، ويـصوم رمـضان، ويُخـرجُ الزكـاة، ويجتنـبُ الكبـائرَ الـسبع، إلا فتِّحـت لـه أبـوابُ الجنـة وقيـل لـه أُدخـل بـسلام». وقـال أيضاً: «من توضأ فأسبغ الوضـوء، ثـم مـشى إلى صـلاةٍ مكتوبـة، فـصلاها مـع الإمام، غُفرَ له ذنْبُهُ».

أيهـا النـاس: إن الـذنوبَ عظيمـة، والأخطـاء جـسيمـــة، والتقـصير في جنـب الله عـز وجـل قـد رَكِبَنَـا جميـــعاً، والتفريـــط في القيـام بالواجبـات لا يخفـى. وقـد جعـل الله سـبحانه وتعـالى في الـصلاة مـا يكفِّـرُ ذلـك، ويجـبرُ الـنقصَ والتقـصير، فقـد رُوي عنـه عليـه الـصلاة والـسلام أنـه قـال: «إن الله ملكاً ينـادي عنـد كـلِّ صـلاة، يـا بنـي آدم قومـوا إلى نـيرانِكُمُ التـي أوقـدتموها فأطفئوها»، فكـم مـن نـيران المعـاصي والآثـام نوقـد في كـلِّ سـاعة، وكـم مـن نظرات الحرام نكتسبُ في كـل لحظـة، وكـم مـن سـماعٍ باطـلٍ نلهـو بـه في كـل

وقت، وكم من غيبةٍ ونميمة، وأكلٍ للأموال بالباطل نقترف في كل يوم. جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره أنه أصابَ من امرأةٍ قُبلة، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَأَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ ، فقال الرجل: «أليَ هذا؟ فقال: لجميع أمتي كلِّهم». فهذا فضل الله، وهذه رحمته، فأين المذنبون، وأين المقصِّرون، وأين الشاردون عن الله، أما آن لهم أن يعودوا إلى ربهم، ويرجون رحمته ويخافون عذابه، فإن عذابَهُ لا شك واقع، ما له من دافع.

مرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بقبرٍ، فقال: «من صاحب هذا القبر، فقالوا: فلان، فقال: ركعتان أحبُّ إلى هذا من بقية دنياكم». إن الإنسان لا يقدِّر فضل هذه العبادات، وهذه الركعات، حتى يُلقى في تلكَ الحفرةِ الضيقة، حين يتمنى إنْ كان عاصياً أنْ تاب وأناب، وإنْ كان محُسناً أنْ زاد واستزاد. ﴿حَتَّى إِذَا جَاء أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءلُونَ * فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ * تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ * أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ * قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ * رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ * قَالَ اخْسَؤُوا فِيهَا وَلا تُكَلِّمُونِ * إِنَّهُ كَانَ

فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ * فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ * إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ .

أيها المسلمون : لقد جاءت البشرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهل الصلاة في المساجد فقال عليه الصلاة والسلام: «بشِّر المشَّائين في الظُّلم إلى المساجد، بالنور التامِ يوم القيامة». وقال أيضاً: «لن يلجَ النارَ أحدٌ صلى قبل طلوع الشمس، وقبل غروبها» يعني الفجر والعصر، وقال: «إذا توضأ فأحسن الوضوء، ثم خرج إلى المسجد، لا يُخرجه إلا الصلاة، لم يخطُ خطوةً إلا رُفعت له بها درجة، وحُطَّ عنه بها خطيئة، فإذا صلى لم تزل الملائكة تصلي عليه مادام في مصلاهُ مالم يُحدث: اللهم صلِّ عليه، اللهم ارحمه، ولا يزال في صلاة ما انتظر الصلاة». وقال أيضاً: «من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل، ومن صلى الصبح في جماعة فكأنما صلى الليل كله». هذا فضل من الله عظيم، وأجرٌ كبير، فكيف يسوغ لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر، أن يفرِّط في هذا الثواب العظيم، ولا يبالي بهذا الخير الكبير، ويستمر في عناده، وإهماله للصلاة، خاصة صلاة الجماعة التي حذَّر عليه الصلاة والسلام من التفريط فيها فقال: « والذي نفسي بيده لقد هممتُ أن آمرَ بحطبٍ، فيُحتطب، ثم آمُرَ بالصلاة فيؤذَّنَ لها، ثم آمُرَ رجلاً فيؤُمَّ الناس، ثم أخالفَ إلى رجالٍ فأحرِّق عليهم بيوتَهُم ».

وقد رتَّب رسول الله صلى الله عليه وسلم الأجر لكل عملٍ متعلق بالصلاة كالأذان، والوضوء ، وبناء المساجد، وتطهيرها، فقال عليه الصلاة والسلام في فضل التأذين: « لو يعلمُ الناسُ ما في التأذين لتضاربوا عليه بالسيوف» . وقال: « المؤذن المحتسب كالشهيد المتشحِّط في دمه، يتمنى على الله بين الأذان والإقامة»، وقال: « من قال حين يسمع المؤذن: وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسولُهُ، رضيتُ بالله رباً ، وبالإسلام ديناً، وبمحمدٍ صلى الله عليه وسلم رسولاً: غَفَرَ الله له ذنبَهُ »، وقال عليه الصلاة والسلام في فضل الوضوء: « إذا توضأ العبدُ المسلمُ أو المؤمن فغسلَ وجههُ خرجَ من وجههِ كلُّ خطيئةٍ نظر إليها بعينيه مع الماء، أو مع آخر قطْر الماء، فإذا غسل يديه خرج من يديه كلُ خطيئة كان بطشتها يداهُ مع الماء أو مع آخر قطْر الماء، فإذا غسل رجليه خرجت كلُ خطيئةٍ مشتها رجلاه مع الماء أو مع آخر قطْر الماء حتى يخرج نقياً من الذنوب، فإذا هو قام فصلى فحمد الله وأثنى عليه ومجَّدَه بالذي هو أهلُهُ، وفرَّغ قلبَهُ لله تعالى إلا انصرف من خطيئته كيوم ولدته أمه». أيها الإخوة: أي فضل أعظمُ من هذا، وأي ثواب أكبرُ من هذا، إنه فضلُ الله يؤتيه من يشاءُ من عباده.

ومن الأعمال اليسيرة التي رتَّب عليها الإسلام الأجرَ والثواب العظيم، قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: « ما منكم من أحدٍ يتوضأُ فيسبغُ الوضوء، ثم يقول أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إلا فُتحت له أبواب الجنة

الثمانية يدخل من أيها شاء ». وحول نظافة مكان الصلاة، وما رتَّب عليها الإسلام من الأجر والثواب، فقد رَوى ابن عباس رضي الله عنهما: « أن امرأةً كانت تلْقُطُ القذى من المسجد، فتوفيت، فلم يُؤذن النبي صلى الله عليه وسلم بدفنها (أي لم يُخبر بدفنها) فقال النبي صلى الله عليه وسلم إذا مات لكم ميتٌ فآذنوني، وصلى عليها، وقال: إني رأيتها في الجنة بلقْطِ القذى من المسجد»؛ أي بسبب تنظيفها للمسجد.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، وأصلح الله منا ومنكم الظاهر والباطن، إنه جواد كريم، أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه. إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله حمداً كثيراً مباركاً فيه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيِّدَنا محمداً عبده ورسوله، ما من طريق خير إلا دلَّنا عليه، وما من طريق شر إلا حذرنا منه، فصلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فكما جاء الثواب لمن أقامَ الصلاة، وأدَّى حقَّها من وضوء وطهارة، وخشوع، فكذلك جاء التحذير من التهاون بها، أو إهمال أدائها على الوجه الذي شرعه الله عز وجل، فقال سبحانه وتعالى في وصف

المنافقين: ﴿ وَإِذَا قَامُواْ إِلَى الصَّلاَةِ قَامُواْ كُسَالَى يُرَآؤُونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ ، وقال أيضاً: ﴿ وَلاَ يَأْتُونَ الصَّلاَةَ إِلاَّ وَهُمْ كُسَالَى وَلاَ يُنفِقُونَ إِلاَّ وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ ، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴾، وقال: ﴿ فَلا صَدَّقَ وَلا صَلَّى وَلَكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾، وقال أيضاً: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ﴾. وجاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الترهيبُ عن ترك الصلاة فقال: « العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر»، وقال: « بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة ».

وفي ليلة الإسراء والمعراج مرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بقومٍ تُرضخُ رؤوسُهم بالصخر، كلَّما رُضخت عادت كما كانت، فقال من هؤلاء يا جبريل: فقال: هؤلاء الذين تتثاقلُ رؤوسهم عن الصلاة المكتوبة.

وقال عليه الصلاة والسلام: « من حافظَ عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاةً يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نوراً ولا برهاناً ولا نجاةً، وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأُبي بن خلف ». نعوذ بالله من هذه الرفقة الخبيثة.

وقال عليه الصلاة والسلام: «خمسُ صلواتٍ كتبهن الله على العباد، فمن جاء بهن ولم يُضيعْ منهن شيئاً استخفافاً بحقهن كان له عند الله عهدٌ أن يدخله الجنة ، ومن لم يأتِ بهن فليس له عند الله عهدٌ، إن شاء

عذَّبه، وإن شاء أدخله الجنة ».

أيها الإخوة: إن المسلم ليعجبُ، ويدخلُهُ الاستغراب مما يُشاهده من إضاعةِ الصلاة، واتباع الشهوات. حتى أنك تجد الجمع الغفير من العمال والحرفيين إذا أُذِّن بالصلاة خرجوا من متاجرهم، وَوِرَشِهم وذهبوا إلى البيوت، أو جلسوا في الطرقات ينتظرون الفراغ من الصلاة، وكأنهم غيرُ مخاطبين بهذا النداء، وكأنهم ليسوا من المسلمين، حتى إن الرجلَ الصالحَ ليمرُّ بهم لا ينكر عليهم لكثرة عددهم، واتساع الخرقِ على الراقع.

وصنفٌ آخرُ من الناس لا يعرفون الصلاة إلا في يوم الجمعة، وآخرون لا يعرفون من صلاة الجماعة إلا صلاة الظهر والمغرب، وقد قال عليه الصلاة والسلام: « ليس صلاةٌ أثقلَ على المنافقين من صلاة الفجر والعشاء، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبواً ». وقال في شأن صلاة العصر على الخصوص: «من ترك صلاة العصر فقد حَبِطَ عملُهُ». وقال: «الذي تفوته صلاة العصر فكأنما وَتِرَ أهلَهُ ومالـه» ، أي فكأنما فَقَدَ أهله وماله. وهذا في حق من ضيَّعها مرة واحدة، فكيف بمن يُضيِّعُها كل يوم، فأي خسارة بعد هذه، وأي ضياع بعد هذا ولا حول ولا قوة إلا بالله.

يقول عليه الصلاة والسلام: « من صلى الصلوات لوقتها، وأسبغ لها وضوءَها، وأتمَّ لها قيامَها، وخشوعَها وركوعَها وسجودَها، خرجت وهي بيضاءُ مسفرة، تقول حفظك الله كما حفظتني، ومن صلاها لغير

وقتها، ولم يُسبغ وضوءَها، ولم يُتمَّ لها خشوعَها ولا ركوعَها، ولا سجودَها خرجت وهي سوداءُ مظلمة تقول ضيَّعكَ الله كما ضيَّعتني، حتى إذا كانت حيث شاء الله لُفَّتْ كما يُلفُّ الثوبُ الخَلِق، ثم ضُربَ بها وجهُهُ » ، أي رُدت عليه صلاتُهُ ولا حول ولا قوة إلا بالله.

أكثروا من الصلاة والسلام على البشير النذير الذي أرشدكم إلى الخير، ودلكم عليه،﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾، اللهم صلِّ وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، اللهم ارض عن الصحابة والقرابة، والتابعين، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين وعنا معهم برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، ودمر أعداء الدين. اللهم أصلح أحوالنا، واغفر ذنوبنا، وبلِّغنا فيما يُرضيك آمالنا، برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم انصر إخواننا المجاهدين في كل مكان، اللهم نجِّ المستضعفين من المسلمين، واجعل لهم من لدنك سلطاناً نصيراً. اللهم عليك بأعداء الدين من اليهود والنصارى والمنافقين، اللهم من أرادنا وأراد الإسلام والمسلمين بسوء فاشغله بنفسه واجعل كيده في نحره، ومن أرادنا وأراد الإسلام والمسلمين بخير فوفقه إلى كل خير يا أكرم الأكرمين، ويا أرحم الراحمين.

اللهـم وفـق ولاة أمورنـا إلى كـل خـير، واجعـل اللهـم ولايتنـا في مـن خافك واتقاك واتبع هداك طالباً رضاك يا رب العالمين.

عبـــاد الله: إن الله يـــأمر بالعـــدل والإحـــسان وإيتـــاء ذي القربـــى وينهـى عـن الفحـشـاء والمنكـر والبغـي يعظكـم لعلكـم تـذكرون. فـاذكروا الله يـــذكركم، واشـكروه عـلى نعمـه يـزدكم ولـذكر الله أكـــبر والله يعلـم ما تصنعون.

٢- استقبال شهر رمضان المبارك

الخطبة الأولى:

الحمدُ لله عددَ ما صامَ صائمٌ وأفطر، الحمد لله عددَ ما صلى مصلٍ وكبَّر، الحمد لله الذي هدانا إلى مرضاته، وبيَّن لنا طريق جناته. أحمده وحده لا شريك له، وأشهد ألا إله إلا هو الإله الحق المبين، يهدي من يشاء إلى نهجه القويم، ويُضلُّ من يشاء عن طريقه المستقيم. وضَّح للعباد نهج هدايته، وبيَّن للناس مسالك عبادته، فهدى المؤمنين إلى سبيل الهدى، وساق الكافرين إلى طريق الردى. فمن هذا الذي يهدي بغير هداه، ومن هذا الذي يُرشد بغير إرشاده، ومن هذا الذي يُصلح بغير إصلاحه، فهو صاحب الفضل أوَّلِهِ وآخره، وصاحبُ النعمةِ ظاهِرِها وباطِنِها. شرع لأهل طاعته سبيل مرضاته، فهداهم إلى سبيل الرشاد، ووقاهم من طريق الغي والفساد. فشرع لهم العبادات تُزكيهم وترفَعُهم، وشرع لهم المعاملات تحكُمُهُم وتُصلِحُهم، وشرع لهم الحدودَ تضبطُهُم وتُطهِّرُهم. فلو اجتمع الثقلان من الجن والإنس، على أن يضعوا لأنفسهم نهجاً يُصلحون به أحوالَهم، ويحكمون به خلافَهُم، ويُزكُّون به أنفسهم: لعَجَزُوا عن ذلك، وما وصلوا إلى شيء؛ فهل يقدر الفاني على ما يقدر عليه الباقي، وهل يستطيع العاجز ما يقدر عليه القادر، وهل يعلم الجاهل ما يعلمه علام الغيوب. وها هي الأمم الإنسانية منذ فجر التاريخ الإنساني ما تزال تتخبط في دروب الغواية، ومسالك الضلالة،

حين تتنكَّبُ هداية الرسل، وتُعرض عن منهج الهدى. لقد عَجَزَ الإنسان أن يضع لنفسه تشريعاً يلتزم به، أو طقوساً يتزكَّى بها، وإنما هي محاولاتٌ يائسةٌ بائسة، يتنقَّل بها الإنسان من ضلالة إلى ضلالة، ومن غواية إلى غواية. فها هو الإنسان في باب التشريعات وضع لنفسه من الأحكام والآصار، ما أثقلت كاهله، وأفسدتْ حاله. أما في باب العبادات فقد اخترع لنفسه من الطقوس والرموز العبادية، ما تسخرُ منه العقول السليمة، وتشمئز منه النفوسُ السوية. حتى إن العاقل ليعجب: كيف استحسن الإنسان هذه الأعمالَ الغريبة، وهذه المسالك العجيبة، حتى وقع فيما يُشبه الجنون من المعتقدات الباطلة، والطقوس الزائفة: يرجو من ورائها راحة نفسه، وزكاة روحه، فما يزدادُ بهذه الخزعبلاتِ الاعتقاديةِ والسلوكيةِ: إلا رجْساً إلى رجْسه، وضلالاً إلى ضلاله، فها هم أهل الرياضات الروحية، الذين اخترعوا لأنفسهم مناهجَ عبادية، ومناسك روحية: من صلوات مبتدعة، وصيامات مخترعة، ورقصات مبتذلة، وأذكار مستنكرة، فلم يزدادوا بهذه المناهج من الله تعالى إلا بعداً، ولم يرثوا من ورائِها إلا ظلمةً. فإنَّ طريق زكاة النفس وطهارتها من رجس الخطايا والآثام، وترقِّيها في سلم الفضائلِ والمعالي، لا يعلمهُ إلا خالقُ النفسِ ومُبدعها، فهو الذي سوَّاها، وألهمها فجورها وتقواها، وهو وحده سبحانه وتعالى الذي يعرف حقيقتها، وطبيعتها، وسُبلَ صلاحها، وطرقَ إصلاحها: ﴿ **أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ** ﴾.

أيها الإخوةُ الصائمون: إن من أعظم المنن الربانية، ومن أجلِّ

المنح الإلهية: أن دلَّكم المولى عز وجل على سبل مرضاته، تفضلاً منه، وأرشدكم إلى طريق رَحَمَاته، وبين لكم منهج العبادة الذي ارتضاه لكم: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا﴾، ووضَّح لكم وسائلَ تزكيةِ النفس، وسبلَ تطهيرها، وطرقَ رُقيِّها في سلم الكمالات الإنسانية، ضمن منهجٍ قويمٍ معتدل، موافقٍ للفطرة التي فطر الله الناس عليها، فلا يخرجُ بهم عن حدِّ الاعتدال إلى الإفراط أو التفريط، ولا يبعدُ بهم عن موقع التوسُّط إلى الغلو أو الجفاء: ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾. والمتأمل في دين الإسلام يجد معنى التوسط واضحاً في جميع التشريعاتِ الربانية، وفي كلِّ جوانبِ المسالكِ العبادية، فقد قام كلُّ ذلك على منهج التيسير، ورفع الحرج، والمقاربة، بعيداً عن أساليب التزمُّت والشطط والغلو. فانظروا أيها المسلمون، ولينظر معكم كلُّ مُنصف من غير أهل هذا الدين: هل في شرْعة الإسلام ما يُذم، أو هل فيها ما يُكْره، أو هل فيها ما يُخالف الفطرة. وكيف يمكن أن يكون فيها نقصٌ، وهي تستمد كمالها من الكمال الإلهي، وكيف يكون فيها ظلمٌ، وهي تستمد عدلها من العدل الإلهي. إن كل جانب من جوانب هذا الدين، وكل جزئية من جزئياته، تحمل في ذاتها معنى الكمال المطلق، سواء ذلك فيما أوجبه الله تعالى على عباده، أو استحبه لهم، أو أباحه، أو كرهه، أو حرَّمه، ليس شيء من ذلك إلا وهو يحمل طابع الكمال: ﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدونَ﴾ .

أيها المسلمون: إن من أعظم العبادات التي شرعها الله تعالى لعباده المؤمنين: عبادةُ الصيام، فأوجبها على المسلم، البالغِ، العاقلِ، المقيمِ، القادر على الصيام. وخصَّ هذه العبادةَ العظيمةَ بشهر رمضان، مرةً في كلِّ عام، يجدِّدُ من خلالها المؤمنُ روحَه، ويزكي بها نفسه، فيخرج بها من ذنوبه وآثامه، كيوم ولدته أمُّهُ، طاهراً مُطهَّراً، وعندها يكون مؤهَّلاً لدخول جنات النعيم، ومجاورة ربِّ العالمين. ومع أن الفوز برضوانِ الله تعالى هو المقصودُ الأكبرُ من عبادة الصيام: فإنَّ لهذه العبادة آثارَها الإيجابيةَ على صحَّة الصائم: المادية والمعنوية، سواءٌ كان ذلك على بدنه، أو روحه، أو عقله. فكلُّ جانبٍ من جوانب الإنسان ينالُ نصيبه الإيجابي من ممارسة الصيام، فقد أثبت الطبُّ الجسمي فوائد الصيام على صحة الأبدان، كما أثبت الطب النفسي فوائده على الصحة النفسية، إلى جانب ما أثبته أهلُ الخبرةِ من إيجابيات الصيام على سلامةِ العقول، وصفاءِ الأذهان،وقوة النظر العقلي. وقد أدرك بعض المتعبِّدةِ والمتفلسفة -من غير أهل هذا الدين، -فوائدَ الصيامِ الصحية، فاتخذوا الصيامَ نُسكاً لهم، فألزموا به أنفسَهم. فهم وإن أدركوا شيئاً من فوائد الصيام على الأبدان والعقول، فإنهم قطعاً لن يُدركوا شيئاً من ذلك على الأرواح والنفوس، إذْ لابد لهذه من الإيمان الصحيح، والنيَّة الصالحة.

أيها الإخوة المؤمنون: أوَ يكونُ من أهل الضلال من يُلزم نفسه الصيامَ رجاء صحة الأبدان، وسلامة العقول، ثم يكونُ من بين أبناء

المسلمين مـن يُفـرِّط في الـصيام، ولا يبـالي بـشهر رمـضان؟ أوَ يكـون هـذا فـيمن خـصَّهمُ الله تعـالى بجـوار البيـت، وحبـاهم بـالنعم والخـيرات؟ وهـل يمكن أن يمـضي هـذا الـشهر عـلى شـخصٍ يـؤمنُ بـالله واليـوم الآخـر دون أن يكـونَ لـه فيـه عمـلٌ صـالح؟ وهـل يمكـن أن ينقـضي هـذا الـشهرُ وأهـلُ الكبائر عـلى كبـائرهم، لا يُحـدثون لهـا توبـة؟ وهـل يـصحُّ أن تُطـوى أيـامُ هـذا الـشهر دون أن يتعـرَّض المـؤمنُ لرحمـةِ الله تعـالى في أولِـهِ، أو مغفرتِـهِ في أوسـطِهِ، أو العتـق في آخـره؟ فـإن الـشقيَّ مـن حُـرم الخـير في هـذا الـشهر، والخاسرَ من خرج مـن هـذا الـشهر بـلا حـسنات، والمغبـونَ مـن سـبقه النـاسُ إلى الخيرات.

فـاتقوا الله عبـاد الله، واغتنمـوا هـذا الـشهر، ولا يفـوتنَّكم خـيرٌ تفعلونـه، مـن صـدقةٍ، أو صـلاةٍ، أو صـلةٍ، أو جهـادٍ، أو علـمٍ . فـإن عَجَـزتم عن كل ذلـك فـلا أقـلَّ مـن أن يُـتْقِنَ أحـدُكُم صـيامَهُ، فـلا يُفـسدَهُ بمفطِّـر، أو يَجْرَحَهُ بمعصية.

أقـول هـذا القـول وأسـتغفر الله تعـالى لي ولكـم فاسـتغفروه وتوبـوا إليه يغفر لكم.

الخطبة الثانية:

الحمـدُ لله الـرحيمِ الـرحمن، الـذي بلَّغنـا بفـضله شـهرَ رمـضان، أحمـدُهُ وحـده لا شريـك لـه، وأشـهد ألا إلـه إلا الله، وأشـهد أن سـيِّدَنا محمـداً عبـده

ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كلِّه، فأدَّى الأمانة، وبلَّغ الرسالة، ونصح الأمة، فتركها على المحجة البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك ضال.

أما بعد فإن من القضايا المهمة التي لابد أن يعرفها الصائمون: أن للعبادات أثرَها على سلوك الإنسان وأخلاقه، فما ينعكسُ من تأثير إيجابي على العابدِ في سلوكِهِ وأخلاقِهِ هو ثمرةُ العبادة الصحيحة، وعلامةٌ من علامات قبولها عند الله تعالى. فالصلاةُ إذا أدَّاها المصلي على الوجه الصحيح لابد أن تنهاه عن الفحشاء والمنكر، والزكاة إذا أخرجها المسلمُ طيبةً بها نفسُهُ، لابد أن تُزَكِّيَ قلبه، وتُطهِّرَ ماله، وكذلك الحجُ إذا أدَّاه المؤمن على ما شرع الله تعالى، وسنَّهُ رسوله صلى الله عليه وسلم فإنه لابد أن ينعكسَ ذلك على نفسه بالتزكية، وعلى سلوكه بالاستقامة. وهذا أيضاً حاصلٌ في عبادة الصيام، فمن حفظَ صيامَهُ، وأدَّاه إيماناً واحتساباً فإنه لابد أن ينعكس عليه إشْراقاً لروحِهِ، وزكاةً لنفسه، ومن ثَمَّ استقامة في سلوكه، وانضباطاً لانفعالاته. وفي هذا يقول المولى عز وجل عن الحكمة من تشريع الصيام: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾، فثمرة الصيام : التقوى، وهي مشاعرُ من الخشيةِ يجدها الصائمُ في نفسِهِ: تنعكس على سلوكه استقامة وأدباً، وفي هذا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسي عن أثر الصيام على السلوك: « كلُّ عملِ ابنِ آدمَ له، إلا الصوم، فإنه لي وأنا أجزي به، والصيام جُنَّة، فإذا كان يومُ صوم أحدكم فلا يرفث،

ولا يـصخب، فـإن سـابَّه أحـد، أو قاتلـه، فليقـل إني صـائم إني صـائم »، فانظروا أيها الإخـوة كيـف أدَّب الـصيامُ صـاحبَهُ، حتـى إنـه لا يقابـل المـسيء بالإساءة، ولا يواجه أحـداً بمكـروه، هـذا هـو أثـر العبـادة إذا كانـت صـحيحة مقبولة، فإن لها تأثيرها البالغ على قلب الإنسان وعلى سلوكه.

اللهـم وفقنـا للـصيام والقيـام عـلى الوجـه الـذي يُرضـيك عنـا يـا رب العالمين.

٣- وداع رمضـــان

الخطبة الأولى:

إنَّ الحمـدَ لله نحمـده ونـستعينه ونـستغفره، ونعـوذ بـالله مـن شرور أنفـسنا ومـن سـيئات أعمالنـا، مـن يهـده الله فـلا مـضلَّ لـه، ومـن يـضلل فـلا هـادي لـه، وأشـهد ألا إلـه إلا الله، وأشـهد أن محمـداً عبـده ورسـوله، أرسـله بالهـدى وديـن الحـق ليظهـره عـلى الـدين كلِّـه ولـو كـره المـشركون، فبلَّـغ الرسـالة وأدَّى الأمانـة، ونـصح الأمـة، وتَرَكَنَـا عـلى المحجَّـة البيـضاء، ليلهـا كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك.

أمـا بعـد فـاتقوا الله عبـاد الله، وارجـو الله واليـوم الآخـر ولا تعثـوا في الأرض مفسدين.

﴿يَـا أَيُّهَـا الَّـذِينَ آمَنُـواْ اتَّقُـواْ اللَّــهَ حَـقَّ تُقَاتِـهِ وَلاَ تَمُـوتُنَّ إِلاَّ وَأَنـتُم مُّـسْلِمُونَ﴾، ﴿يَـا أَيُّهَـا الَّـذِينَ آمَنُـوا اتَّقُـوا اللَّــهَ وَقُولُـوا قَـوْلاً سَـدِيدًا يُـصْلِحْ لَكُـمْ أَعْمَالَكُـمْ وَيَغْفِـرْ لَكُـمْ ذُنُـوبَكُمْ وَمَـن يُطِـعْ اللَّــهَ وَرَسُـولَهُ فَقَـدْ فَـازَ فَـوْزًا عَظِـيمًا﴾، ﴿يَـا أَيُّهَـا الَّـذِينَ آمَنُـوا قُـوا أَنفُـسَكُمْ وَأَهْلِـيكُمْ نَـارًا وَقُودُهَـا النَّـاسُ وَالْحِجَـارَةُ عَلَيْهَـا مَلائِكَـةٌ غِـلاظٌ شِـدَادٌ لا يَعْـصُونَ اللَّــهَ مَـا أَمَـرَهُمْ وَيَفْعَلُـونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾.

أيهـا الإخـوة المـسلمون: بـالأمس القريـب كنـا نـدعو في ختـامِ شـهرِ شـعبان: أن يبلِّغنـا ربُنـا شـهرَ رمـضان، وهـا نحـن قـد بلغْنـا الـشهر الكـريم، وختمنـا أكثـرَهُ، وذهبـت أيامُـهُ ولياليـه مـسرعةً كأنهـا لم تبـدأ، فـما أن دخـل

الـشهر الكـريم، حتـى أخـذت أيامـه تتتـابع، وأخـذت لياليـه تنقـضـي، حتـى ما أفاق الـصائمون إلا عـلى ختـامِ الـشهر يـودِّع أحبابـه الـذين طـارت قلـوبُهُم حُزناً على فراقه، فـلا يـدرون أيُدركونـه مـرةً أخـرى أم يكونـون في عِـدَادِ أهـل القبور.

لقـد ذهـب الـشهرُ شـاهداً لأهـل الخـير والفـضل بالـصيام والقيـام والـدعاء، وذهـب شـاهداً عـلى أهـل الـشر بالتقـصير والتفـريط، فهنيئـاً لمـن صامَ وقام إيماناً واحتساباً.

أيهـا الإخـوة: لقـد عـاش المـسلمون هـذا الـشهر عـلى غـير عـادتهم، فمـن كـان مـنهم مُقـصِّراً في صـلاته، مفرِّطـاً في واجباتـه: رأيتَـهُ في هـذا الـشهر حريـصاً عـلى الـصلاة، ملتزمـاً بالواجبـات، ومـن كـان في غـير هـذا الـشهر مجتهـداً في الطاعـات، مواظبـاً عـلى الفـرائض والواجبـات: رأيتَـهُ في هـذا الشهر أكثرَ اجتهاداً، وأعظـم التزامـاً. إنهـا فـضائل هـذا الـشهر، وبركـاتُ هـذه الليـالي المباركـة، فـالأعمال في هـذا الـشهر ليـست كـالأعمال في غـيره، فالنافلـةُ فيـه كالفريـضةِ فـيما سـواه، والفريـضةُ فيـه كـسبعين فريـضةً فـيما سـواه. فهـو موسمٌ تُعـرضُ فيـه الـسلعُ بـأرخصِ الأثـمان، وتُعـرض فيـه سـلعةُ الله الغاليـة، ألا إن سـلعة الله الجنـة، فتتيـسَّر أسـبابها، بـصيام، أو قيـام، بـل ربـما كتـبَ اللهُ تعـالى جنتـه ورضـوانه لعبـدٍ عـلى تمـرة، أو شربـة مـاء، أو مذْقـة لـبن يقـدمها المؤمن لأخيه في الله تعالى طيبةً بها نفسُهُ.

إن انقـضاء هـذا الـشهر يُعـدُّ مـن أعظـم المـآسي التـي يُـصاب بهـا المـسلمون، فلـو تعـزى النـاس عنـد انقـضائه لم يكـن غريبـاً، فـأيُّ شـهرٍ هـذا

الذي تُصفَّدُ فيه الشياطين غيرَ رمضان، وأيُّ شهر هذا الذي تُضاعف فيه الأجورُ والحسناتُ إلى أضعاف كثيرة لا يعلمها إلا الله، وأيُّ شهر هذا الذي تعدِلُ فيه التمرةُ الواحدةُ مغفرةَ الذنبِ وعتقَ العبد من النار، وأيُّ شهرٍ هذا الذي يصلي فيه الناس عشراتِ الركعات دون ملل، وأيُّ شهرٍ هذا الذي يُختم فيه القرآن، وأيُّ شهر هذا الذي تتزين فيه الجنة، وتتهيأ للنزلاء، وأيُّ شهر هذا الذي يصومُهُ الناس فلا يعلم عِظَمَ أجورِهِم إلا الله تعالى، وأيُّ شهر هذا الذي فيه ليلةٌ هي خيرٌ من ألفِ شهر.

أيها الإخوة : إن انقضاء شهر رمضان يفوتُ به كثيرٌ من الثواب، فمهما اجتهد المجتهدون، ومهما حَرَصَ الحريصون فإنهم لا يستطيعون أن يبلغوا الثواب الذي يبلغونه في رمضان، ولهذا فإن الصالحين لشدة ما يرونَهُ من فضائل هذا الشهر يتمنونَ أن تكون السنةُ كلُّها رمضان.

أيها المسلمون : لقد أنعمَ اللهُ تعالى بهذا الشهر على كثير من الناس نعماً قد لا يستطيعونها في غيره، فكثير من أهل المعاصي، ممن اعتاد بعض الكبائر تجده في رمضان قد تخفَّف منها، ومن كان مقصراً في عبادته في غير رمضان تجده حريصاً عليها في رمضان، حتى إنك لتجد بعض الناس ممن اشتهر بالفسق، والانحراف الفكري والسلوكي تجده في شهر رمضان من النُّساك المتعبدين، بل إنَّ بعضهم ممن لا يُظنُّ به الخير: تجده في بعضِ ليالي أواخرِ الشهر حريصاً على الصلاة في الصفوف الأولى، بل ربما وجدته في درجةٍ عاليةٍ من الروحانيةِ والصفاء وكأنه من النُّسَّاك المتزهِّدين.

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يقول في الحديث القدسي الذي يرويه عن ربه عز وجل: « أنا عند ظنِّ عبدي بي، وأنا معه إذا ذَكَرَني، فإنْ ذَكَرَني في نفسه ذكرته في نفسي، وإنْ ذَكَرَني في ملأ ذكرتُهُ في ملأ خير منهم، وإن تقرَّب إليَّ شبراً تقربتُ إليه ذراعاً، وإن تقرَّب إليَّ ذراعاً تقربت إليه باعاً، وإنْ أتاني يمشي أتيتُهُ هرولة ».

أيها الإخوة: أَوَ يسوغ للمؤمن الذي فتحَ اللهُ تعالى له أبواب رحمته، وأسبغَ عليه ثوبَ كرامته، وساقه إلى أطهر بلاده، ووفَّقه للصيام، وهداه للعبادة، فحبَّب إليه الصلاة في رمضان، ورقَّق قلبه على الفقراء والمساكين، حتى هداه للصدقة والزكاة، وحبَّب إليه قراءة القرآن، ووفقَّه إلى الاجتهاد في ختمه، وهداه إلى كثْرةِ ذكره، أَوَ يسوغُ له بعد كلِّ هذا أنْ ينقلبَ هذا المتبتلُ المتنسِّكُ من عابدٍ خاشع قانت إلى: جاحِدٍ عاصٍ مفرِّط، فمن الصلاة إلى الفواحش والمنكرات، ومن الصيام عن الطعام والشراب: إلى أكْلِ أموال الناس بالباطل، ومن القرآن إلى الغناءِ والمزامير، ومن المساجدِ إلى الملاهي. أو تكون هذه المسالكُ ممن غَفَرَ اللهُ تعالى له ما تقدم من ذنبه، أو تكون ممن وفَّقَه الله تعالى لقيام ليلة القدر.

إن من أدلِّ الدلائل على القبول عند الله تعالى: الاستقامةَ بعد شهر رمضان، فتجدُ الشخصَ الذي تقبَّل اللهُ تعالى منه: قد حَسُنَ حالُهُ، وتجدَّدَ عزمُهُ، وتنوَّر قلبُهُ، وقويت بصيرتُهُ: إذا فُتحت أمامَهُ أبوابُ الخير كان من أسرع الناس فيها، وإذا فُتحت أمامه أبواب الشرِّ كان من أبعد الناس عنها، لقد فعل الصيامُ فيه فعْله، فلم يعد قاسيَ القلب، غليظَ الطبع، هذَّبه

الـصيام، وطهَّـره القيـام، ونــوَّر بـصيرته القـرآن، حتـى عـاد رقيـق القلـب، قريب الـدَّمع، حـسنَ المعـشر، يُحِـبُّ الطاعـةَ، وينفـرُ مـن المعـصية. يـومُ عيـده: كلُّ يوم أطاعَ فيه ربَّهُ، ويـومُ حُزنـه: كـلُّ يـومٍ عـصى فيـه ربـه. فـلا يعـرفُ مـن العيد إلا الطاعة، ولا يعـرف مـن الحـزن إلا المعـصية، فـإذا انـشغلَ بلهـوٍ: كـان في مبـاح، وإذا مـالَ إلى لــذةٍ: كـان في حـلال، لا يعـرفُ مـن لهـوِ النـاس في شـوالٍ إلا مـا أجـازه ربُّ رمـضان، فالأيـامُ كلُّهـا عنـده أيـامُ الله، والأزمـان كلُّهـا مواضـعُ لطاعـةِ الله، فالـسَّنةُ كُلُّهـا في حِـسِّه رمـضان، يعـيشُ أثـرَ الـشهرِ طَوال السنة، يدعو ستة أشـهرٍ بـأن يتقبَّـل الله تعـالى منـه رمـضان، ويـدعو سـتة أشـهرٍ أخـرى بـأن يبلِّغَـهُ الله تعـالى رمـضان ، فهـو في فـضائل الـشهر وبركاتـه طَوال السنة. اللهـم كـما بلغتنـا رمـضان: فتـسلَّمه منـا مقبـولاً يـا رب العـالمين، وأتـمَّـهُ علينا بالعتق من النار يا أرحم الراحمين.

أقـول مـا سـمعتم وأسـتغفر الله تعـالى لي ولكـم فاسـتغفروه إنـه هـو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمـد لله الكـريمِ المنـان، والـصلاةُ والـسلامُ عـلى خـير ولـد عـدنان، سيِّدنا محمدٍ وعلى آلـه وصـحبه أجمعـين. أمـا بعـد فـاتقوا الله عبـاد الله، وراقبـوه مراقبـة مـن يعلـمُ أَنَّـهُ يـراه، وتحققـوا أنـه لا يـضر ولا ينفـع إلا الله، ولا يفـرِّقُ ولا يجمـع إلا الله، فمـن نـالَ خـيراً، فـإنما نالـه بفـضل الله تعـالى، ومـن اقـترف شراً، فـإنما فعلـه بعلـم الله وقَـدَرِهِ، ولـو شـاء لهـدى النـاس أجمعـين، فلـيس

لأحد عند الله تعالى حجة، فالناس جميعاً صالِحُهُم وطالِحُهُم إنما يتقلبون بين فضله وعدله. فمن أحسنَ في هذا الشهر: فصام وقام، فإنما هو فضل الله تعالى عليه أنْ اختاره لرحمته وفضله، فحبَّبَ إليه الطاعةَ والاستقامة، وكرَّه إليه المعصية والانحراف. ومن فرَّط في هذا الشهر، فلا صامَ ولا صلى، فإنما هو مكرٌ مكرَ اللهُ به، فأعماه عن الخير، حتى يكونَ موضعَ سخطِهِ وعذابِهِ.

أيها الإخوة المسلمون: لو كان لمآذنِ المساجدِ رؤوسٌ لتنكَّست في شوالٍ، ولو كان لها أعينٌ لبكت، ولو كان لها ألْسُنٌ لقالت: أيها الصائمون أينَ تذهبونَ عني، أبعد أن عمرتموني الشهر كاملاً، وقرأتم القرآن، ودعوتم الله، تذهبون عني.

أيها الإخوة: إنَّ فرحةَ العيد لا تعني هِجران المساجد، ولا تعني التفريط في الواجبات الشرعية، ولا تعني الخروجَ عن حدود الله تعالى، التي رسمها للمسلم، وإنما حقيقة العيد: فرحةٌ تغمرُ قلبَ المؤمن لإتمام الشهر، وإكماله العدَّة، وتكبيرٌ صادق من القلب واللسان والفكر: بأن الله تعالى هو الأكبرُ والأعظمُ في شعور المؤمن، فلا يقوم في الكون شيءٌ – مهما كان عظيماً– يضاهي محبة المؤمن لربه عز وجل.

اللهم يا كريم يا رحيم تقبل منا صيامنا وقيامنا، وأتمَّ علينا الشهر برضوانك، والعتق من نيرانك، اللهم أعد علينا رمضانَ أعواماً عديدة، وأزمنة مديدة، وأعدْه على الأمة الإسلامية وقد تحقق لها النصر والتمكين في الأرض برحمتك يا أرحم الراحمين.

أكثروا من الصلاة والسلام على خير الأنام.

٤- وجوب الحج واستحضار شعائره

الخطبة الأولى:

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد ألا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كلِّه ولو كره المشركون. أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله، وارجو الله واليوم الآخر ولا تعثوا في الأرض مفسدين. ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ** ﴾ ، ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا** ﴾، ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ** ﴾ .

أيها الإخوة الكرام : حُجاج بيتِ الله الحرام، إنكم تحيونَ في هذه الأيام، أفضلَ أيامِ السنة، وأحبَّها إلى الله عز وجل، فهي أيامُ العشْر من ذي الحجة، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من أيامٍ أحبُّ إلى الله فيهنَّ العملُ من أيامِ العشر، قيل: يا رسول الله ولا الجهاد؟ قال ولا الجهاد، إلا رجلٌ خرجَ بنفسه وماله فلا يرجع من ذلك بشيء». ومن يطيق أن يخرج في سبيل الله، فلا يرجعَ بنفسه ولا بماله ؟

وهكذا عباد الله، تتتابعُ علينا مواسمُ الخير والبركة، فبالأمسِ

القريـب، ودَّعنـا شـهرَ رمـضانَ المبـارك، فـذهب إلى ربـه، وانطـوتْ أيامُـهُ شـاهدةً عـلى النـاس، محـسِنِهِمْ ومُـسيئهِمْ. وهـا نحـن اليـوم، نـستقبل ركنـاً عظيماً من أركان الإسلام، افترضـه الله عـز وجـل عـلى النـاس، مـرة في العمـر، لمـن اسـتطاع مؤنتـه وقَـدِرَ عـلى ذلـك ، ﴿ **وَلِلّـهِ عَـلَى النَّـاسِ حِـجُّ الْبَيْـتِ مَـنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْـهِ سَـبِيلاً وَمَـن كَفَـرَ فَـإِنَّ اللَّـهَ غَنِـيٌّ عَـنِ الْعَـالَمِينَ** ﴾ ، وقـال رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم فـيما رُوي عنـه محـذِّراً المتقاعـسين عـن أداء هـذه الفريـضة مـع قـدرتهم عليهـا: « مـن ملـك زاداً وراحلـة تُبلِّغـه البيـت الحـرام ثم لم يحُج فليس عليه أن يموت يهودياً أو نصرانياً ».

أمـا فـضلُ الحـج فعظـيم، يقـول عليـه الـصلاة والـسلام: « مـن حـج لله، فلم يرفث ولم يفسُق، رجع كيـومِ ولدتـه أمـه » ، والرفـث هـو الكـلام في قـضايا الجـماع، والفسق هـو عمـوم المحرمـات. ويقـول أيـضاً عليـه الـصلاة والـسلام: « لـيس للحجَّـة المـبرورة جـزاءٌ إلا الجنـة». وسـئل عليـه الـصلاة والـسلام: « مـا بـرُّ الحـج؟ قـال: إطعـامُ الطعـام وتـرك الكـلام »، وفي روايـة قـال: « إطعـام الطعـام وطيـب الكـلام ». قـال الله تعـالى: ﴿ **الْـحَجُّ أَشْـهُرٌ مَّعْلُومَـاتٌ فَمَـن فَـرَضَ فِـيهِنَّ الْـحَجَّ فَــلاَ رَفَـثَ وَلاَ فُـسُوقَ وَلاَ جِـدَالَ فِي الْـحَجِّ** ﴾ .

وينبغـي للحـاج أن يحـرصَ عـلى أداء المناسـك عـلى الوجـه الأكمـل. ففـي اليـوم الثـامنِ مـن ذي الحجـة، يُستحبُ لـه أن يـصليَ الظهـر والعـصرَ والمغـربَ والعـشاءَ والفجـرَ بمنـىً، ثـم يـذهبَ في ضـحى اليـوم التاسـع إلى عرفـات، فيـصليَ الظهـرَ والعـصرَ، جمعـاً وقـصراً، في وقـت الظهـر، ثـم يجتهـد

في الـدعاء مـستقبلاً القبلـة باكيـاً متـذللاً متخـشِّعاً لله عـز وجـل. وأفـضل الـذِّكر في هـذا اليـوم العظـيم هـو قـول: « لا إلـه إلا الله وحـده لا شريـك لـه ، لـه الملـك ولـه الحمـد وهـو عـلى كـل شيء قـدير » ، يقـول عليـه الـصلاة والـسلام في فـضل يـوم عرفـة: « مـا يـومٌ إبلـــيسُ فيـه أدْحَـرُ، ولا أدْحَـقُ، ولا هو أغيظُ من يومِ عرفة، ممـا يـرى مـن تنـزُّل الرحمـة، وتجـاوزِ الله تعـالى عـن الأمـور العظـام». فـأروا اللهَ مـن أنفُـسِكم خـيراً في هـذا اليـوم العظـيم. فـما أحوَجَنـا إلى مغفـرة الله وعفـوه. فقـد تلبَّـسْنا بالـذنوب والخطايـا، وثقُلـت كواهِلُنا بالآثـام والمنكـرات، ولـيس لنـا إلا الله عـز وجـل يغفـر لنـا ويرحمنـا، **﴿ وَالَّـذِينَ إِذَا فَعَلُـواْ فَاحِـشَةً أَوْ ظَلَمُـواْ أَنْفُـسَهُمْ ذَكَـرُواْ اللَّـهَ فَاسْـتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الـذُّنُوبَ إِلاَّ اللَّـهُ وَلَمْ يُـصِرُّواْ عَـلَى مَـا فَعَلُـواْ وَهُـمْ يَعْلَمُـونَ * أُوْلَـئِكَ جَـزَآؤُهُم مَّغْفِـرَةٌ مِّـن رَّبِّهِـمْ وَجَنَّـاتٌ تَجْـرِي مِـن تَحْتِهَـا الأَنْهَـارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾**.

وعنـد غـروب الـشمس في ذلـك اليـوم العظـيم، ينفِـرُ الحجَّـاجُ وعلـيهم الـسكينةُ إلى مزدلفـة، فـلا يـضعون رحـالهم حتـى يـصلُّوا المغـرب والعـشاء جمعـاً وقـصراً ، والأفـضلُ ألا يخـرجَ مـن مزدلفـة إلى منـىً إلا بعـد صـلاة الفجـر إلا أن يكـون مـن الـضعفة أو معـه نـساء. فيرمـي الحـاج جمـرة العقبـة الكـبرى بـسبع حـصيات ثـم ينحـرُ إن كـان عليـه هـدي، ثـم يحلـقُ أو يقـصِّرُ مـن شـعره، وبـذلك يكـون قـد تحلَّـلَ التحلُّـلَ الأول، ويجـوز لـه كـلُّ شيءٍ إلا الجماع، فـإن طـاف بالبيـت وسـعى إن كـان عليـه سـعيٌ فقـد حـلَّ لـه كـلُّ شيءٍ حتـى النـساء. ولم يبـقَ عليـه سـوى المبيـتِ في منـىً أيـام التـشريق،

ورمي الجمرات، وطواف الوداع عند الرحيل.

أسأل الله عز وجل أن يُيسِّرَ حجَّنا، ويغفِرَ ذنبنا، ويسترَ عيبنا إنه جَوَاد كريم، أقول هذا القول وأستغفر الله العلي العظيم لي ولكم من كل ذنبٍ وخطيئة فاستغفروه ، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمدُ لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على إمام المرسلين، وسيِّد الأولينَ والآخِرين، وإمامِ المتقين ورسولِ ربِّ العالمين، نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أيها الإخوةُ الحجاج لابد أن يستحضر الحاجُ عند أدائِهِ المناسكَ، جانبين، جانبُ الإخلاص لله والمتابعةِ لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وجانبٌ آخر وهو الأثر النفسي عند أداءِ هذه المناسك، وما ينبغي للحاج أن يستشعِرَه في نفسه.

لابد للحاج أن يستحضر عند تجرُّده من ملابسه المعتادة ولُبْسه رداءين أبيضين أشبَهَ ما يكونان بالكفن، فلابد من أن يستحضر في هذا الموقف الموت الذي هو أقربُ إليه من كلِّ شيء.

أما موقِفُهُ في عرفات، مع الناس شعْثاً غبْراً ضاحين، فلابد أن يتذكَّر يومَ يجتمعُ الناسُ في صعيدٍ واحدٍ، عراةً حفاةً غُرْلاً، يوم يخرجون من قبورهم للحساب والجزاء يوم القيامة. كما يستحضرُ في هذا المقامِ

تساويَ الناسِ عظيمِهم وحقيرِهم، غنيهم وفقيرهم، أبيضِهم وأسودِهم. لا فضلَ لأحدٍ على أحد، الكلُّ سواسيةٌ في المقام وفي اللباس، وفي الأعمال والمناسك.

كما يستحضرُ الحاجُ عند الذبح، عندما يضعُ ذبيحتهُ على الأرض، يستحضرُ مقامَ إبراهيمَ خليلِ الرحمن، عندما شرعَ في ذبح ولده إسماعيل، طاعةً للهِ عز وجل، وتقديماً لمحبوبات الله على محبوبات النفس وشهواتِها.

كما يستحضر مقام هذا النبي الكريم عند رمي الجمار، فقد وَقَفَ إبليسُ عليه لعنةُ الله لإبراهيم عليه السلام في طريقه لتنفيذ أمر الله ثلاث مرات. وفي كلِّ مرة يرجُمُهُ عليه الصلاة والسلام بالحصيات حتى يأَّسَهُ وقنَّطه، وشرع في تنفيذ أمر الله عز وجل، ثم كان الفرجُ من الله.

فلابدَّ للحاج، أن يُجدِّدَ عِدَاءَهُ للشيطان، ويعقد العزمَ على أن يخالفه فيما يوسوسُ به من الأمر بمعصية الله، ومخالفة شرعه، ويحْذَرَ من حيلِهِ ومكْرِه، فهو لا يدخلُ على المسلم من أبواب السوءِ، بل يطرقُ أبوابَ الخيرِ قبل ذلك، فيُوهِمُ الرجلَ، ويُزيِّنُ له السوء، حتى يجعلَهُ حسناً. وهكذا حاول أن يدخلَ على إبراهيم خليل الرحمن، من باب الرحمة والشفقة، فقال له: كيف تذبح ولدك والسباعُ والوحوشُ الضاريةُ لا تفعلُ هذا. ولكنه كان عليه السلام في كلِّ مرةٍ يرجُمُهُ ويردُ كيدَهُ بالتكبير والتهليل والتوحيد، والانصياع لأمر الله عز وجل. وهكذا الحاج لابد أن يستشعرَ هذه المعانيَ العظيمة، فيخرجَ من حجهِ بدروسٍ عظيمة تنفعهُ في حياتهِ، وتثبِّتُهُ عند الفتن.

ألا وصلوا على البشير النذير، الذي علَّمَكُم المناسكَ، وقال: « خذوا عني مناسِكَكُم ». قال الله عز وجل: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾ . اللهم صلِّ وسلم على نبيك محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين، وعلى التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنا معهم بعفوك ورحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم يا الله يا كريم يا رحيم يا سميع الدعاء، يسِّر لنا حجَّنا، اللهم يسر لنا حجَّنا، وتقبله منه، واحفظنا أجمعين، من الأمراض والأسقام، ومن المفسدين في الأرض. اللهم احفظ لنا حجنا من الرفث والفسوق والفحش، واحفظ لنا حجنا من النظر إلى الحرام، وسماعِ الحرام. اللهم اجمع القلوبَ على هُداك، واجعل عملنا في رضاك، واجعل اللهم ولايتنا فيمن خافك واتقاك واتبع هداك طالباً رضاك يا رب العالمين.

اللهم أصلح القلوبَ، واغفرِ الذنوبَ، واستر العيوبَ، وتجاوز عن الزلات والخطايا والمنكرات، اللهم أصلح أحوال المسلمين، واجمع كلمتهم على الحق المبين، وردَّ كيد الكافرين، وانصر المجاهدين في كل مكان، وأقرَّ أعيننا بتحرير المسجد الأقصى من أعدائك أشباه البشر، اللهم حرره على أيدي أوليائك المؤمنين، الذين يريدونَ شرْعَكَ، ويتبعون أَمْرَكَ.

عباد الله إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاءِ ذي القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي، يعظكم لعلكم تذكرون، فاذكروا الله يذكركم، واشكروه على نعمه الكثيرة يزدكم، ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون.

۞ ۞ ۞

٥- فضائل الحج ومناسكه

الخطبة الأولى:

الحمد لله الـذي شرعَ الحـجَّ لعبـاده المـؤمنين، وجعلـه رحمـة لهـم، يغفـر به ذنوبَهم، ويجـدِّدُ بـه إيمانهـم، ويؤكِّـد بـه وحـدتهم، أحمـدُهُ وأسـتغفره، وأعـوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنـا، مـن يهـده الله فـلا مـضل لـه، ومـن يـضلل فـلا هـاديَ لـه، وأشـهد أن لا إلـه إلا الله وحـده لا شريـك لـه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد:

فـاتقوا الله عبـاد الله، وارجـو اللهَ، واليـوم الآخـرَ، ولا تعثـوا في الأرض مفسدين.

أيها الإخـوة المؤمنـون : إن الحـج مـؤتمرٌ عظـيم، واجـتماعٌ كبـير، يُـشيرُ إلى وحـدة المـسلمين، وأنهـم كالجسد الواحـد، رغـم مـا تعانيـه أمـةُ الإسـلام، مـن آلام الفرقـة، وفـساد ذات البـين، وتحكُّـم الطائفيـة، والمذهبيـة المقيتـة، فيقـف مـؤتمرُ الحـج، وسـطَ هـذا الخـضم الهائـل مـن انحرافـات الأمـة، وشـتاتها، لـيُعلنَ للعـالمين أن أسـباب وحـدةِ الأمـة، وتآلفهـا مـن جديـد، وعودتهـا دولـةً واحـدةً، وقيـادةً واحـدةً أمـرٌ ممكـن، بـل هـو الأمـر الواجـب، الذي لا حياد عنه.

إن الحـجَّ بنظامـه العظـيم، الـذي يجمـعُ بـين الأبـيضِ والأسـود، والعـربي والعجمـي، والغني والفقـير، يقـف أمـام النـاس ليعلنهـا وحـدةً لا فرقـة، واجتماعـاً لا شـتاتاً، ودولـةً لا دولاً. ويقـف الحـج لـيُعلنَ زوالَ كـلِّ

فـوارق الجـنس، واللغـة، واللـون، والأصـل، ليقـول للنـاس كُلُّكـم لآدمَ، وآدمُ مـن تـراب ، لا فـضلَ لعـربي عـلى عجمـي، ولا لعجمـي عـلى عـربي إلا بـالتقوى. يقـفُ الحـجُّ لـيُعلنَ أن هـذه الحـدودَ الجغرافيـة، التـي حالـت بـين وحـدة المـسلمين، وزادت مـن فـرقتهم، إنـما هـي حـدودٌ وهميـة، لا اعتبـار لهـا في ميزان الشرع، إنما هي من مخلَّفات الاستعمار الأوروبي وتراثه العفن.

إنَّ الحـجَّ بمظـاهره العظيمـة، يُلغـي كـلَّ الفـوارقِ بـين المـؤمنين، ويُلغـي كـلَّ جنـسيةٍ غـيرَ الإسـلام، ويهـدمُ كـلَّ عـصبية لجـنس، أو لـون أو شـعار. وقـد أكَّـد هـذا المعنـى رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم في حِجَّـة الوداع، فقَعَّدَ القواعد، وأقـام الـدين، وبـيَّن للنـاس مـا يُهمُّهُـم مـن أمـر ديـنهم ودنيـاهم. فقـد روى جـابرُ بـنُ عبـد الله رضي الله عـنهما أن رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم قـال يـوم عرفـة، في خُطبتـه: « إن دمـاءَكم، وأمـوالكم حـرامٌ علـيكم، كحرمـة يـومِكُم هـذا، في شـهرِكُم هـذا في بلـدكم هـذا، ألا كـلُّ شيء من أمـرِ الجاهليـة تحـت قـدميَّ موضـوع، ودمـاءُ الجاهليـة موضـوعة، وإنَّ أوَّل دمٍ أضعُ من دمائنـا دمُ ابـن ربيعـة بـن الحـارث، كـان مـسترضعاً في بنـي سـعد، فقتلتْهُ هُـذيل، وربـا الجاهليـة موضـوع، وأوَّلُ ربـاً أضـعُ مـن ربانـا ربـا عبـاس بن عبد المطلـب، فإنـه موضـوعٌ كلُّـهُ، فـاتقوا الله في النـساء، فـإنَّكم أخـذْتمُوهنَّ بأمــان الله، واســتحللتم فــروجهن بكلمــة الله، ولكــم علــيهنَّ ألا يُــوطِئْنَ فُرُشَـكُم أحـداً تكرهونـه، فـإن فعلـن ذلـك فـاضْربوهنَّ ضربـاً غـيرَ مـبرِّح، ولهن عليكم رزقُهُـن وكـسوتُهُنَّ بـالمعروف، وقـد تركـتُ فـيكم مـا لـن تـضلوا بعـده إنِ اعتـصمتم بـه: كتـابَ الله، وأنـتم تُـسألون عنـي، فـما أنـتم قـائلون؟

قالوا: نشهد أنَّك قد بلَّغتَ وأدَّيتَ ونصحتَ، فقال: بإِصبَعِهِ السَّبَّابة، يرفَعُها إلى السماء وينكُتُها إلى الناس، اللهم اشهد، اللهم اشهد، اللهم اشهد، ثلاث مرات ».

أيها الناس : هذه خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم يومَ عرفة، وضَّحَ فيها حرمةَ دماءِ المسلمين وأعراضِهم، وبدأ عليه الصلاة والسلام بنفسه، فأبطلَ مآثرَ الجاهلية، وثاراتِها، ووضع دمَ رجل منهم، ومنع الربا، ووضَعَ ربا عمِّه العباس تحت قدمه، وأمر بُحسْنِ صحبةِ النساء، والإحسان إليهن، وأمر بكتاب الله، وأشهد الناس على ذلك.

أيها الناس: إنَّ الفرقةَ والشتات، ليست من طبائع الأمة، والتمزق والانحراف، ليست من طبيعة هذا الدين، فقد أمر الله عز وجل بالوحدة، ونهى عن الفرقة فقال: ﴿ **وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**﴾، إلى أن قال سبحانه وتعالى: ﴿ **وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾ ، وقال سبحانه أيضاً : ﴿ **وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ** ﴾.

أيها الإخوة: لو لم يكن في الحج إلا إعلانُ التوحيد، وإعلانُ وحدة المسلمين لكفى، ولكن في الحج معانٍ كثيرة، وفضائلُ عظيمة، ومنها ما ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: « من حجَّ فلم

يرفث، ولم يفسُق خرجَ من ذنوبه كيوم ولدته أمُهُ»، وقال أيضاً: « العمرة إلى العمرةِ كفارةٌ لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاءٌ إلا الجنة »، وقال أيضاً: « إنَّ الإسلام يهدم ما كان قبله، وإن الهجرة تهدم ما كان قبلها، وإن الحج يهدم ما كان قبله»، وقال أيضاً: « أفضل الأعمال عند الله تعالى : إيمان لا شكَّ فيه، وغزوٌ لا غلولَ فيه، وحج مبرور »، وقال: « حُجُّوا فإن الحجَّ يغسلُ الذنوبَ كما يغسل الماءُ الدرن »، وقال: « الحجاج والعمَّار، وفد الله إن دعوه أجابَهُم، وإن استغفروه غفر لهم»، وقال أيضاً: «إن هذا البيت دِعامةٌ من دعائم الإسلام، فمن حج البيت أو اعتمر فهو ضامنٌ على الله، فإن مات أدخله الجنة، وإن ردَّهُ إلى أهله ردَّهُ بأجر وغنيمة ».

أيها الإخوة: إن المسلم ليقف أمام هذه النصوص، فيعجبُ من سعة رحمة الله عز وجل بالناس، فما أن يحجَّ المسلمُ بنية حسنة، وزاد حلال، ويقوم بما أمرَ اللهُ من أداءِ المناسك، حتى يخرجَ من حجه، نقيَّ القلب، أبيضَ الصحائف، كيومِ ولدته أمه. إن هذا لأجرٌ عظيم، وفضل من الله كبير، ولله الحمد والمنة.

أيها المسلمون : لا ينبغي للحاج أن يبخل بالنفقة في الحج، فإن العِوَضَ من الله حاصل، والأجرَ عنده مضاعف، فقد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: « النفقة في الحج كالنفقة في سبيل الله، الدرهم بسبعمائة » ، وأما فضل التلبية في يوم عرفة فعظيم، قال عليه الصلاة والسلام: « ما من محرم يُضْحِي يومه يُلبي حتى تغيبَ الشمسُ، إلا غابت بذنوبه فعاد كما ولدته أمُهُ ».

أما فضلُ يوم عرفة، فإنه أفضلُ الأيام، يغفر الله فيه الذنوب، ويحطُّ عن الحجاجِ الخطايا، قال عليه الصلاة والسلام: « ما من يومٍ أكثرُ من أن يُعتقَ الله فيه عبيداً من النار، من يوم عرفة، وإنه ليدنو يتجلى، ثم يباهي بهمُ الملائكة فيقول: ما أراد هؤلاء ». الله أكبر سبحانه وتعالى يسأل عن حالهم، وهو أعلم بهم، أعلم بإنكسارهم، وضعفهم، وذلِّهم، وأنهم أتوه راغبين، خائفين، يرجون رحمته، ويخافون عذابه. وقال عليه الصلاة والسلام: « ما يومٌ إبليسُ فيه أدحَرُ، ولا أدحَقُ، ولا هو أغيَظُ من يوم عرفة، مما يرى من تنزُّل الرحمة، وتجاوزِ الله تعالى عن الأمور العِظام ».

أيها الحجاج : إن مِما ينبغي التنبيه عليه، والتذكيرُ به، أهميةَ استغلال يومِ عرفة في طاعة الله، من الذكر، والتهليل، والدعاء، وتجنب الملاهي والمنكرات والنظر المحرم والسماع المحرم، فإن مغفرة الذنوب لا تحصل إلا بالتحفظ من هذه المنكرات، فقد قال عليه الصلاة والسلام: « إن هذا يومٌ، من ملك فيه سمعه، وبصره، ولسانه غُفِر له » ، وقال: « من حفظ لسانه وسمعه، وبصره يومَ عرفة غُفر له من عرفة إلى عرفة ».

أيها الحجاج: إن حفظ اللسان عن اللغو، والرفث، والسِّباب والشتائم هو علامةٌ من علامات الحجِّ المبرور، الذي لا ثواب له إلا الجنة، فقد سُئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما بِرُّ الحج: فقال: « إطعام الطعام، وطيبُ الكلام ». فأكثروا أيها الأخوة من الصدقات، وأقلّوا من الكلام إلا ما كان ذكراً، أو أمراً بالمعروف أو نهياً عن

المنكر. مع تجنُّب الجدال فقد قال سبحانه وتعالى: ﴿**فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ**﴾ .

ومن أفضل أعمال الحجاج يوم النحر، إراقة الدماء، فقد ورد عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: « ما عَمِلَ أدميٌّ من عمل يوم النحر أحبَّ إلى الله من إهراق الدم ». فأكثروا من الهدايا في هذا اليوم العظيم، فقد أهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النحر مائةً من الإبل، نحرَ بيده الشريفة منها ثلاثاً وستين، وأكمل عليٌّ رضي الله عنه الباقي، وهذا من شدَّة تعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم لربه عز وجل.

أسأل الله عز وجل أن يُيَسِّر لنا ولكم الحج، وأن يتقبله خالصاً لوجهه الكريم، أقولُ هذا القولَ، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمدُ لله وكفى، والصلاة والسلام على النبي الكريم المصطفى، وعلى آله، وصحبه أجمعين. أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله، فإن الله عز وجل أَمَرَكُم بتقواه فقال سبحانه وتعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ** ﴾، وقال: ﴿ **وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُواْ اللَّهَ** ﴾ ، وقال: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا* يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا** ﴾ .

أيها الإخوة: أكثروا من الأعمال الصالحات في هذه الأيام المباركات، فقد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنها أفضل أيام السنةِ فقال عليه الصلاة والسلام: « ما من أيامٍ أحبُّ إلى الله فيهنَّ العملُ من أيام العشر، قيل : يا رسول الله، ولا الجهاد؟ قال ولا الجهاد، إلا رجلٌ خرج بنفسه وماله، فلا يرجعُ من ذلك بشيء ». فأروا الله من أنفسِكُم خيراً، واحرصوا على أداء مناسِكِكُم كما شرع الله عز وجل، واسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون.

أيها الحجاج : يُسنُّ للحجاج أن ينتقلوا إلى منىً في اليوم الثامن، فيصلون فيها الظهرَ والعصرَ والمغربَ والعشاءَ وفجرَ يوم عرفة، يقصرون الصلاة، ولا يجمعون فإذا كان وقت الضحى من اليوم التاسع، ذهبوا إلى عرفات، فصلوا فيها الظهر والعصر جمعاً وقصراً مع الإمام في وقت الظهر إن تيسَّر لهم ذلك، وإلا صلَّوا في رحالهم. ثم ينشغلُ الجميع، بالذكر والدعاء حتى غروب الشمس من ذلك اليوم العظيم، ثم يتحركون إلى مزدلفة بسكينة ووقار، فإذا وصلوها صلوا المغرب والعشاء، جمعاً وقصراً، قبل أن يضعوا أمتعتهم، ثم يرتاحون حتى الفجر، ثم يصلُّونَهُ في أول وقته، ويجتهدون في الدعاء حتى يظهَرَ ضوءُ النهار، وقبل شروق الشمس فيتحركون إلى منى، ويلتقط كلُّ واحدٍ سبعَ حصياتٍ لجمرة العقبة. فإذا وصلوا منى، رموا جمرة العقبة وقطعوا التلبية. ثم ينحرون ما معهم من الهدايا، ثم يحلقون رؤوسَهم أو يقصِّرون، فيكونُ قد حلَّ لهم كلُّ شيء إلا النساء، فإذا طافوا بعد ذلك وسعوا لمن كان عليه سعي، فقد حلَّ لهم كلُّ شيء حتى النساء.

وفي أيام التشريق الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر لمن تأخر، يرمون الجمرات الثلاث مبتدئين بالصغرى، ثم الوسطى، ثم الكبرى، يرمونها بعد الزوال، ويستمر الرمي حتى الغروب، وإن لم يتيسَّر رموا في المساء حتى طلوع الفجر.

ويصلُّوا الصلواتِ الخمسَ في أوقاتها قصراً دون جمع. ومن أراد التعجُّل خرجَ قبل غروب شمسِ اليوم الثاني عشر، وإلا لزمَهُ المبيتُ والرميُ لليومِ الثالث عشر. ويُستحب للحاج الإكثارُ من التكبير والتهليل في جميع الأوقات خاصة بعد الصلوات المكتوبات في يوم العيد وأيام التشريق حتى غروب شمس اليوم الثالث عشر من أيام التشريق.

وليعلم الحاج أن علامة قبول الحج عند الله تعالى: الاستقامةُ على منهج الإسلام بعد الحج، وتغيُّرُ حال الحاج بعد أداء المناسك، وتحوُله إلى الأفضل والأحسن.

نسأل الله عز وجل أن ييسر لنا حجَّنا، ويجعَلَهُ متقبلاً عنده إنه سميع مجيب. ألا وصلوا على البشير النذير، الذي علمكم المناسك، وقال: «خذوا عني مناسككم»، ﴿**إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾ . اللهم صلِّ وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وارض اللهم عن الصحابة والقرابة، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وارض عنا معهم برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهـــم أعـــزَّ الإســـلام والمـــسلمين، وأذلَّ الـــشرك والمـــشركين، ودمِّـــر أعـداء الـدين، واجعـل هـذا البلـد آمنـاً وسـائر بـلاد المسلمين، اللهـم وحِّـدِ الـصفوفَ، واجمع القلـوبَ، ووفقِّنـا لمـا تحبـه وترضـاه يـا ربَّ العـالمين، اللهـم أصلح أحوالَ المسلمينَ، واجمعهـم عـلى الحـق المبـين، واجعـل ولايـتهم في مـن خافـك واتقـاك واتبـع هـداك طالبـاً رضـاك يـا رب العـالمين. اللهـم انـصر إخواننا المجاهـدين في كـل مكـان يـا أرحـم الـراحمين، اللهـم مـن أرادنـا وأراد الإسـلام والمـسلمينَ بـسوء فاشـغله بنفـسه، واجعـل كيـده في نحـره، ومـن أرادنا وأراد الإسلام والمسلمين بخير فوفقه إلى كل خير.

عبـاد الله إن الله يـأمر بالعـدل والإحـسان وإيتـاء ذي القربـى وينهـى عن الفحـشاءِ والمنكـرِ والبغـي يعظكـم لعلكـم تـذكرون، قومـوا إلى صـلاتكم يرحمكم الله.

رابعاً: التربية الأخلاقية:

١- الأخوة في الله تعالى.

٢- أهمية القدوة في تربية الأطفال.

٣- طبيعة الأمانة التي حَمَلَها الإنسان.

٤- خُلُقُ المسلم بين الصدق والكذب.

٥- الظلم خطره ومفاسده.

١- الأخوة في الله تعالى

الخطبة الأولى:

الحمدُ لله عظيمِ الشَّأن، كثير العطايا والمنن، يجمعُ ويؤلِّف، ويُفرِّق ويُبغِّضُ، بيده قلوب العباد، وإليه المنتهى والمعاد، ولا حول ولا قوة إلا به.

نحمدُهُ ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل، فلا هاديَ له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد : فاتقوا الله عباد الله، وارجو الله واليوم الآخر ولا تعثَوْا في الأرض مفسدين.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ * إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ * وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ .

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ ﴾.

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ .

أيها الإخوة الكرام: إن من أشدِّ الحاجات ضرورةً للحياة الإنسانية، ومن أكثرِهَا تحقيقاً للسعادة، بحيث لا يقومُ مقامَها شيءٌ آخر، لا من المالِ، ولا من الجاهِ، ولا من السلطان: الأخوَّةَ في الله تعالى، التي تقوم على مبدأ الحبِ في الله، ولا تقوم على مبدأ الطَّمع في شيء من أمورِ الدنيا. والإنسان فقير إلى هذا النوع من الأخوة، مُحتاجٌ إليها حاجةً ملحَّة، فإن الغريب على الحقيقة في هذه الدنيا هو الَذي لا حبيبَ له، فتراه دائمَ الحزنِ، طويلَ السَّأم، يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: « الإخوانُ جلاءُ الأحزان »، ويقول عليٌّ رضي الله عنه: « الغريبُ من ليسَ له حبيب ».

إنَّ العلاقةَ التي تربطُ المتحابِّين في الله تعالى علاقةٌ واسعةٌ شاملة، تتخطى حدودَ الزمان والمكان، بل تتخطى حدود الأرض كلِّها، والوجودَ بأسره، لترفع الإخوانَ في الله تعالى إلى أعلى مراتب الجنان، يغبطُهُمُ النبيُّونَ والصديقون لمكانهم من الله تعالى. كما أنَّ هذه العلاقة تربط بين المتحابين في الله تعالى، ولو تباعدت بِهِمُ البلاد، وقامت بينهما الحواجزُ والأسبابُ، فإنَّ عالمَ الوجودِ بأسره لا يعدو أن يكون مجْلساً لأخوينِ حقيقيين في الله تعالى.

أيها الأخوة: إن الحبَّ في الله تعالى والبغض فيه: هما أوثقُ عُرى الإيمان، وأعظمُها وأقواها، ولا يذوق المؤمنُ حلاوة الإيمان، وطعمَهُ حتى يُحقِّقَ هذين المبدأين ؛ يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: « ثلاثٌ من كنَّ فيه وجدَ حلاوةَ الإيمان : أن يكون اللهُ ورسولُهُ أحبَّ إليه مما

سـواهما، وأن يُحِـبَّ المـرءَ لا يُحِبُّـهُ إلا لله، وأن يكـره أن يعـود في الكفـر كـما يكْرَهُ أن يُقذفَ في النار ».

إنَّ أعْجَـزَ النـاس مـن قـصَّر في تكـوين الأصـدقاءِ الـصالحين، وأعْجَـزَ منه من ظفرَ بهـم ثـم ضَـيَّعهم ؛ فـإن رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم يقـول: « المـؤمنُ مُؤلـفٌ، ولا خـيرَ فـيمنْ لا يـألفُ ولا يُؤلـف» . وإن مـن أعظـم أسـباب الجفْـوة بـين الإخـوان، ووجـود الوحْـشةِ بيـنهم: ارتكـابَ المعـاصي، فـإنَّ العبـدَ إذا قـصَّرَ في جنـبِ الله تعـالى، وفـرَّط في حقوقـهِ جـلَّ وعـلا: سَـلَبه اللهُ تعـالى مـن يُؤنِـسُهُ، وأدخـل عليـه الوحـشة والوحـدة، يقـول رسـول الله صلى الله عليه وسـلم: « والـذي نفسُ محمـدٍ بيـده مـا تـوادَّ اثنـان ففُـرِّقَ بيـنهما إلا بذنب يُحدثُهُ أحدُهُما ».

أيهـا المـسلمون: إنَّ اختيـارَ الإخـوة في الله تعـالى، وإقامـةَ أواصر المحبـة معهـم: لـيس متروكـاً للهـوى والـشهوات، بحيـث يختـارُ الإنـسانُ مـن يهـوى، وينبـذُ مـن لا يهـوى، فـإنَّ الحـبَّ في الله تعـالى محـصورٌ في أهـل الطاعـةِ والاسـتقامةِ، العـاملين بـأمر الله تعـالى، المتعـاونين عـلى الخـير والفـضيلة، الـذين وصـفهم الرسـول صـلى الله عليـه وسـلم حيـث يقـول: «ألا أُخـبرُكُم بخيـاركم وشرارِكُـم ؟ قـالوا: بـلى يـا رسـول الله، قـال: خيـارُكُمُ الـذين إذا رُؤوا ذُكـر اللهُ عـز وجـل، وشرارُكُـم المـشاؤونَ بالنميمـة، المفرِّقُـون بـين الأحبـة، البـاغونَ للـبرآء العنـت». ولمـا سُـئل عليـه الـسلام: أيُّ النـاس أفضل؟ قال: « كـلُّ محْمُـوم القلـب، صـدُوقِ اللـسان، قـالوا: صـدُوق اللـسان نعرفـــه، فـما محمـومُ القلـب ؟ قـال: هـو التَّقـــي النَّقـــي، لا إثـم فـــيه، ولا بغيَ، ولا غِلَّ، ولا حسد ».

فهذا الـصنف الـذي اختـاره الرسـول صـلى الله عليـه وسـلم للـصداقة والمؤاخـاة، الـذي تتحـدَّثُ جوارحُـهُ بالاسـتقامة قبـل أن يتحـدث لـسانه، والذي يعظُـكَ لحظُـهُ قبـلَ أن يعظَـكَ لفظُـهُ، الـذي إن رأيتـه: انتفعـتَ برؤيتـه، وأثرَّ فيكَ سمْتُهُ وعملُهُ. فهو حاملُ المسكِ، الذي لا ينالُك منه إلا الخير.

فإذا ظفرت به فليكُن حُبُّكَ لـه أعظـمَ مـن حبِّـهِ لـك، فـإن رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم يقـول: « مـا تحـابَّ رجـلان في الله، إلا كـان أفـضَلُهما: أشـدَّهُما حبَّـاً لـصاحبه » . وعليـك بإحـسان الظـن، فـإن الظـنَّ أكـذبُ الحـديث، فـإذا تيقَّنـت بـصلاحه فـلا يـضرُّكَ الوسـواسُ والظـنُّ، وإن صَـدَرَ منـه الخطـأ، فـإن مـن حقـوقِ الأُخُـوةِ: العفـوَ عـن الـزلاتِ، والإغـضاءَ عـن التقصير إن كان. فإن العفـو عـن الخطـأ: مـن كـمالِ الفتـوةِ والمـروءة . والمـؤمنُ بطبعه يطلبُ المعاذيرَ، والمنافقُ بطبعهِ يطلبُ العثراتِ والتقصير.

وإذا أردتَ أن تعـرفَ مكانتـكَ عنـد أخٍ لـك في الله، فـلا تـسألهُ عـما في قلبه، ولكن انُظر أنت ما في قلبـك لـه، فـإن لـكَ في قلبـه مثـلَ ذلـك، قـال مـرةً ابـن عبـاس رضي الله عـنهما: « فـلانٌ يُحبنـى، فقـالوا: وكيـف عرفـت ذاك؟ قـال: إني أُحبُّـهُ »، وقـال رجـلٌ لـصاحبه: « إني أُحبُّـكَ، قـال: قـد علمـتُ ذاكَ من نفسي ».

إن مـن مـستلزمات الأخـوة في الله تعـالى: ذكْـرَهُ بـالخير، فـإن رسـول الله صـلى الله عليــه وسـلم يقـول: « خـيرُ الأصـحاب عنـد الله: خـيرُهم لـصاحبه، وخـيرُ الجـيران عنـد الله خـيرُهُم لجـاره » . وقـد كـان الـسلف رضوان الله علـيهم يراعـونَ ذلـك، فهـذا أبـو الـدرداء رضـي الله عنـه يقـول:

« إني لأدعـو لثلاثـينَ مـن إخـواني وأنـا سـاجدٌ، أُسـمِّيهم بأسـمائهم وأسـماءِ آبـائهم». وقـال أبـو زُرعـة رحمـه الله: «كنـت عنـد أحمـد بـن حنبـل، فـذكر إبراهيمَ بنَ طهمان، وكـان مُتكئـاً مـن علـةٍ يعنـي مـن مـرض، فجلـس، وقـال: لا ينبغي أن يُذكَرَ الصالحونَ فيُتَّكأ ».

أقـول هـذا القـول، وأسـتغفر الله العظـيم لي ولكـم مـن كـلِّ ذنـبٍ فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمـدُ لله وحـده، والـصلاة والـسلام عـلى مـن لا نبـي بعـده، سـيِّد الأولـين والآخِـرين، وإمـامِ المتقـين، محمـد بـن عبـد الله وعـلى آلـه وصـحبه أجمعين.

أمـا بعـد، فـاتقوا الله عبـادَ الله واعلمـوا أنَّ منزلـةَ الأُخـوة في الله تعـالى عظيمة، ومكانَتَها عنـد الله كبـيرة، حـين ينـاديهم سـبحانه وتعـالى يـوم القيامـة: « أيـنَ المتحـابون بجـلالي، اليـومَ أُظلهـم في ظـلي » . فـإذا بهـم في كنـف الله تعـالى ورحمتـه، في يـومٍ تـشخصُ فيـه الأبـصار، وتطـيرُ فيـه الأفئـدة، وتتقطَّـعُ فيـه الأكبـاد، فـإذا بهـؤلاء المتحـابين في أمـن وأمـان، وسـلامةِ مـن الخـوفِ والفزعِ، لا يخافون حين يخاف الناس، ولا يحزنونَ حين يحزنُ الناسُ.

أيهـا المـسلمون : مـا كـان لهـؤلاء لينـالوا هـذه المنزلـةَ العظيمـةَ بهـوى أنفـسِهم، وراحـةِ أبـدانِهم، وسـلامة جيـوبِهم؛ بـل كـانوا في جهـادِ أهـوائهم،

وكدِّ أبدانهم، وإنفاق أموالهم. فقد كان بعضُهم يصبر على جفوةِ إخوانه، ويُداريهم، ولا يُعامِلُهُم بما يكرهون. وكان بعضُهم يقومُ بخدمتهم ليلاً طويلاً دون ملل؛ بل إنَّ بعضَهم يقوم بالإشراف والإنفاق والرعاية لأبناء أخيه في الله بعد موته أربعينَ سنةً لا يكَلُّ ولا يَملُّ، يُعطيهم من ماله، ويتفقَّدُهُم في كلِّ يومٍ حتى لكأنه أبوهم فلا يفقدون من أبيهم إلا عيْنَهُ.

فهذه المجاهدات والصعوبات السلوكية: هي التي رفعتْ هؤلاء المتحابين إلى هذه المنزلة العظيمةِ، والمكانةِ الجليلةِ، وليست مجرَّدَ الميول القلبية، والرغباتِ النفسية، التي لا واقع لها، ولا تطبيق.

أيها الأخوة الكرام: إنَّ إهمالَ هذا المبدأ الإسلامي، والتقصيرَ في الأخذ به، والتعاملِ مع الناس بمقتضياته: لا ينتهي عند كونِ الإنسان: تَرَكَ الفضيلة، بحيث لا يأثم ولا يُؤاخذُ بتركها: إنما المشكلة تكمنُ في التجانس والتشاكُلِ بين المختلطين. فإن الناس يأْتَلفُون بالتشابه، ويتنافرون بالاختلاف، «فالأرواح جنودٌ مجندةٌ: ما تعارف منها ائْتلف، وما تناكر منها اختلف». فلابد من التشاكل بين الأصدقاء، ولابد من وجودِ قواسمَ مشتركةٍ بينهم يجتمعون، ويتَّحِدونَ عليها. وهنا تكمنُ المعْضلةُ، ويظهرُ الداء: فإن المرءَ على دين خليله، وإن ادَّعى غير ذلك، فإنَّ الطبع يسرقُ من الطبع الخير والشر. وما كان اللهُ عز وجل ليحشرَ رجلاً يوم القيامة في غير من أحبَّ. فإن الرجلَ مع من أحبَّ يومَ القيامة؛ يقول عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه: «لو أن رجلاً قامَ بين الركن والمقام، يعبدُ الله سبعين سنةً: لبعثهُ الله يوم القيامة مع من يُحب». فلابدَّ

لمن اجتمعوا في هذه الدنيا، أن يجتمعوا في الآخرة: إما في رضوان الله تعالى، وإما في سخطهِ والعياذُ بالله.

أيها الإخوة: قال عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه في تفسير قول الله تعالى: ﴿ **الأَخِلاَّء يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ**﴾، قال: « خليلان مُؤمنان، وخليلانِ كافران، فمات أحدُ المؤْمنيْن، فبُشِّرَ بالجنةِ، فذكرَ خليلَهُ فقال: اللهم إن خليلي فلاناً كان يأمُرُني بطاعتك، وطاعةِ رسولِكَ، ويأمُرُني بالخير، وينهاني عن الشر، ويُنبئني أني مُلاقيكَ، اللهم فلا تُضلَّهُ بعدي حتى تُرِيَهُ كما أريتني، وترضى عنه كما رضيتَ عني، ثم يموتُ الآخرُ، فيُجْمَعُ بينَ أرواحهما، فيُقَال: ليُثنِ كلُّ واحدٍ منكما على صاحبه، فيقولُ كلُّ واحد منهما لصاحبه: نِعمَ الأخُ، ونعمَ الصاحبُ، ونعمَ الخليل. وإذا مات أحدُ الكافريْن: بُشِّرَ بالنار، فذكرَ خليلَهُ، فيقولُ: اللهم إن خليلي كان يأمُرُني بمعصيتك، ومعصيةِ رسولِكَ، ويأمُرني بالشر، وينهاني عن الخير، ويُنبئني أني غيرُ ملاقيك، اللهم فلا تهدِهِ بعدي حتى تُريَهُ كما أريتني، وتَسخَطَ عليه كما سَخِطتَّ عليَّ. ثم يموت الآخرُ: فيُجمعُ بين أرواحهما فيقال: ليُثنِ كلُّ واحدٍ منكما على صاحبه، فيقول كلُّ واحدٍ منهما لصاحبه: بئس الأخُ، وبئسَ الصاحب » ، ثم قرأ عليٌّ رضي الله عنه: ﴿ **الأَخِلاَّء يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ**﴾ .

اللهم أصلح قلوبَنَا، واغفر ذنوبَنَا، واجمع على الحق أرواحَنَا، واهدنا سبل السلام، وأخرجنا من الظلمات إلى النور برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

اللهم أعزَّ الإسلامَ والمسلمين، وأذلَّ الشرك والمشركين، ودمِّر أعداء الدين، واجعل هذا البلد آمناً مطمئناً وسائرَ بلادِ المسلمين، بفضلك يا أكرم الأكرمين، اللهم آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، واجعل اللهم ولايتنا في من خافك واتقاك واتبع هداك طالباً رضاك يا ربَّ العالمين.

اللهم وَلِّ على المسلمين خيارهم، واكفهم شرَّ أشرارِهم، واصرف عنهم كيدَ أعدائهم برحمتك يا أرحم الراحمين.

ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

عباد الله إن الله يأمرُ بالعدلِ والإحسان، وإيتاء ذي القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون، فاذكروا الله يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون.

٢- أهمية القدوة في تربية الأطفال

الخطبة الأولى:

الحمد لله يتفضلُ على عباده بالخير، ويُسْبغُ عليهم النعم، يَهَبُ لمن يشاءُ إناثاً، ويهبُ لمن يشاء الذكور، أو يزوِّجُهُم ذُكْراناً وإناثاً، ويجعلُ من يشاء عقيماً، إنه عليمٌ قدير. أحمدُهُ وأستعينه وأستغفره، وأعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل، فلا هاديَ له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى، ودين الحق، ليظهِرَهُ على الدين كلِّه ولو كَرِهَ المشركون. أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله، وارجو اللهَ واليومَ الآخر، ولا تعثوا في الأرض مفسدين.

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُواْ اللَّـهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّـهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ .

أيها الإخوة الكرام : لقد امتنَّ اللهُ على عباده بنعمة الذرية، فرزَقَهُم من أصلابهم بنينَ وحفدة، يأتمرونَ بأمرهم، ويسْعونَ في مرضاتِهم، ويَشُدُّون بهم ظهورَهُم، ويحمِلون ذكْرَهم من بعدهم. وهذه من أعظمِ النعمِ والفضائلِ، التي تفضَّلَ بها الله عز وجل على عباده، وفي ذلك يقول تبارك وتعالى مبيناً هذه النعمة: **﴿ وَاللَّـهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ**

الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّـهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ .

ومن أعظم الدلائلِ على عظمةِ نعمةِ الذرية: حال من حُرِمَهَا، فجعله الله عقيماً لا يُولد له، فتراهُ يهرعُ إلى هنا وإلى هناك، يطلبُ علاجاً، أو رقيةً لعله يُرزقُ ولداً يحملُ عنه بعض أعباء الحياة، ويمدُّ في ذكره بعد الممات.

أيها الإخوة الكرام: إن النعمةَ لا يعرفها على حقيقتها، ولا يُقدِّرها قدرها إلا من حُرمَها، وقاسى آلامَهَا، وأحزانَها.

ومع أنَّ نعمةَ الذريةِ نعمةٌ عظيمةٌ، إلا أنها فتنةٌ كبيرةٌ، واختبار عسير، ومسؤوليةٌ شاقةٌ، وإلى هذا أشار الله عز وجل في كتابه فقال: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّـهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّـهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾** ، كم من أبٍ عقَّهُ أولادُهُ فعصَوْه، وأذاقوه مرارة الحرمان، وعلقم الصبر، حتى يئسَ من الحياة، وتمنى أنه لم يتزوج، ولم يُولد له، وتمنى لو أنَّه وضعَ جهدَ الرعاية والعناية في جروٍ، خيرٌ له من ولدٍ لصلبه.

وكم من أبٍ ساقته عواطفُ الأولادِ والزوجة، بعيداً عن مسلكِ الأبرار، فألحُّوا عليه بالانحراف، وزيَّنوا له الإنفاق فيما حرم الله، وجلْبَ المالِ من حلالٍ وحرام، وقعدوا به عن القيام بواجب الدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فأصبح الأبُ يتأثرُ ولا يُؤثِّر، ويُقَادُ ولا يقود، ويأمرُ فيُعصى، في حين كان واجبُهُ أن يكون في بيته قائداً لا

مَقُوداً، وسيِّداً لا مَسُوداً؛ قال الله تعالى: ﴿ **الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ** ﴾، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « الرجل راعٍ على أهل بيته، وهو مسئولٌ عنهم»، فكيف يكونُ دورُ الأبِ في بيته تنفيذَ الأوامر، وإشباعَ الشهواتِ، وتحقيق المطالبِ ؟ فكثيراً ما يعتذرُ الآباءُ عندما يُنْكَرُ عليهم تصرفٌ معينٌ، كأن يُنْكَرَ عليهم شراءُ شيءٍ حرمه الله، أو أخذ أولادهم وأهلهم إلى مكان محرم، فيقول الأب معتذراً: «ماذا أفعلُ الأولادُ يُريدون، وأمُ الأولاد تريد»، وكأنه لا سلطان له، ولا كيانَ، ولا إرادة.

إن المسؤوليةَ الكبرى التي حمَّلها الله الآباء: أن يُنقِذُوا أنفسَهم وأهليهم من النار، قال الله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ** ﴾ ، إنه لا مجال للأبِ أن يتفلَّتَ من هذه المسؤولية، أو أن يتغافل عنها، فإن الخسارةَ يوم القيامةِ عظيمةٌ، والخطبُ في ذلك اليوم جلل، وقد وصف الله حال المفرِّطين في مسؤولياتهم تجاه أنفسهم وأهليهم فقال عز وجل: ﴿ **قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ** ﴾. إنه لتحذيرٌ شديد، ووعيدٌ عظيم، بأن يخسرَ الإنسان نفسَه وأهلَه وولده يوم القيامة، بأن يكونوا جميعاً من الهالكين في نار جهنم، المعذَّبين فيها، في حين أن الصالحين، الذين قاموا بحق الله في هذه الدنيا: رفع الله درجَتهم في الجنة، وألْحَقَ بهم ذريَّتَهم، وجمعهم في منزلة عظيمة، ودرجة عالية، ونعيمٍ مقيم؛ ﴿ **وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم**

بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ * وَأَمْدَدْنَاهُم بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ * يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ * وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ * وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءلُونَ * قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ * فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ * إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ .

وقد وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم تأثيرَ الأولاد على آبائهم، فقد رُوي عنه أنه قال: «الولدُ محْزنةٌ مجْبنةٌ مجْهلةٌ مبخلة»، أي أنهم يُحزنونَ آباءَهم بما يُصيبُهم من الأمراض والأسقام، أو الموت، كما أنهم يُثبِّطونهم عن الجهاد، والخروج في سبيل الله، والإنفاق في وجوهِ البر، كما أنهم يُقْعِدونَهم عن طلب العلم لانشغالهم بهم. فاحذروا أيها الإخوة الكرام من الانصياع لرغبات وأهواء الأولاد، والزوجات، والخضوع لمطالبهم إذا جاءت مصادمةً لأوامر الشرع الحنيف، مخالفةً لهذا الدين.

وإن المتأمِّلَ في أسباب انحراف كثير من الشباب، وضياعهم، ووقوعهم في مهاوي الرذائِل والفواحش، وتعاطي المخدرات، والخمور. يجدُ أنَّ أعظم هذه الأسباب، وأخطرها: فقدانُ القدوةِ الصالحةِ في الآباءِ والمربين.

إنَّ التربيةَ بالقدوة تُعدُ من أهم وسائل التربية، بل هي أهمُّ وسائلها على الإطلاق، وذلك لوجود تلك الغريزة الملحة في كيان الإنسان، تدفعُهُ نحو التقليد والمحاكاة. والأولاد الصغار أشدُّ تأثُّراً بالقدوة من الكبار. فهم يجدون في آبائهم

المثَل الأعلى، والنبراس الذي يهتدون به. فالأطـفال الصـغار يعتقدون أن كـلَّ ما يفعلُهُ الكبار، ويمارسونه صحيحاً، فهم لا يدركون - في أول الأمر- الصواب من الخطأ، ولا يميِّزون بين الخير والشر، إنما هم ينظرون بأعين آبائهم، ويُحاكون طريقتهم في الحياة. لهذا تجدُ في الغالب أن الأولاد الذين لا يصلُّون: نشأوا في بيوتٍ لا تُقامُ فيها الصلاة، وكذلك الأولاد الذين يدخِّنون، لابد أنهم يقتدون بالمدخِّنين في البيوت، وهكذا تجدُ أن النشءَ ثمارَ تلك البيـــوت. ﴿ **وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لاَ يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ**﴾ .

أيها الآبـاء الكـرام: إنَّ الخطـرَ عـلى الـنشء مـن فقـدان القـدوة في البيـت لا يكمـنُ في كـونهم ينـشأون متلبِّسين بـبعض الانحرافـات الأخلاقيـة، إنما الخطـرُ يحـصل إذا كـبِرَ هـؤلاء الـصغار، وعَقَلـوا حقـائقَ الأمـور، وعلمـوا واقـعَ المـربين، وأن مـا كـانوا يـسمعونه مـن عبـارات الفـضيلة، والنـصائح، والأمـر بحـسنِ الخلــــق والـبر، إنـما هـي عبـاراتٌ جوفـاء، لا واقــــع لهـا، ولا تطبيـق، فـإن هــذا الـصنفَ مــن الأطفــال في العــادة ينحــرفُ انحرافــاً شــديداً، ويــرفضُ المجتمــعَ، وتقاليــدَهُ، وعاداتِــهِ، ومــا فيــه مــن خــير وشر، ويحـاولُ أن يبحـثَ في مجتمعـات أخـرى عـن قـدوات، ورمـوزٍ يقتـدي بهـا في حياته الجديـدة. وقـد ثبـت أن الأطفـال الـذين ينـشأونَ في أسرٍ متناقـضةِ القـيمِ والأخـلاق، وتظهـر فيهـا علامـاتُ النفـاق، ومخالفـةُ الأقـوال للأعـمالِ، فـإن هـذا الـصِّنف مـن الأطفـال يُـصبحون إذا كَـبِروا مـن أكثـرِ النـاسِ بعـداً عـن الالتـزام بـالآداب والأخـلاق الإسـلامية، وذلـك لعمـقِ الأثـر الـذي أوجـدهُ

ذلك التناقضُ السلوكي في نفوسهم.

أيها المؤمنون: إن الناظرَ في أوضاعِ المجتمعات الإسلامية اليوم، يجد أن عقيدتنا، وأخلاقَنا، وقيمَنا تكادُ تكونُ في ناحية، وحياتَنا العمليةَ الواقعيةَ في ناحية أخرى، نقيضان لا يلتقيان، فكيف ينشأُ مع هذا الوضع أطفالٌ صالحونَ يرونَ، ويشاهدون المتناقضاتِ في حياة الأمة. إنهم مهما سمعوا من المربين، من عبارات الخير والفضيلة، والأخلاقِ الحميدة، فإنهم لن يحملوا في داخل أنفُسِهم سوى الصورةِ التي يرونَها أمامَهُم، من أنواعِ وأنماطِ السلوكِ، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

وقد أدركَ السلفُ رضوان الله عليهم هذه المعانيَ الخطيرة، فهذا عمرو بن عُتْبة، ينصح معلِّمَ ولدِهِ فيقولُ له: « ليكن أولُ إصلاحِكَ لولدي إصلاحَكَ لنفسِكَ، فإن عُيونَهم معقودةٌ بعينك، فالحسنُ عندهم ما صنعت، و القبيحُ عندهم ما تركت ».

كثيراً ما يعتذر الآباءُ بالفسادِ الاجتماعي، ويُحمِّلونَ المجتمع فسادَ أولادهم. متخلين بذلك عن دورهم وواجِبِهِمُ التربوي، فهم قد جلبوا الطعامَ والشرابَ واللباسَ، وظنُّوا أنَّ مُهمَّتَهم تنتهي عند هذا الحد.

نعم أيها الأب، إن للمجتمعِ ومؤسساتِهِ المختلفَةِ دوراً في التوجيه والتأثير ولا شكَّ في هذا، ولكن ليعلم الآباءُ، ويُوقِنوا، أن أثَرَ البيت الصالح، أبلغُ وأقوى من كلِّ أثر، فإن ما ينقُشُه الآباء في نفوسِ أولادِهم من معاني الخير والفضيلة، بالعبارات الصادقة الحارة، والسلوك القويم، مع القدوة الصالحة، له أثرُهُ القوي الذي يبقى مع الولد حتى وإن ظَهَرَ

على الولد بعضُ انحرافٍ في أول الأمر بسبب ضغط المجتمع المنحرف، فإنَّه غالباً ما يرجعُ إلى الخير، وتكون عاقبتُهُ إلى الصلاح، فما كان الله ليُضيعَ جهدَ الأبِ الصادق، الذي جاهد في سبيل إصلاح ولده واستقامته.

ولو افترضنا ضياعَ الولدِ وانحرافَهُ، مع ما بذله الأبُ في سبيل إصلاحه، فإنه لا لومَ على الأب، وقد أخذ بالأسباب، فإنَّ لله في ذلك حكمةً هو أعلمُ بها، وللأبِ الأجرُ والمثوبةُ على صلاح نيته، وبذل جهده.

أيها المسلمون: إنَّ فقدانَ النشءِ للقدوة الصالحة في المجتمع يُعدُّ من أعظمِ المصائب التي يَجْنيها الجيلُ الجديد، وإنَّ تناقض الأقوال مع الأعمال، في واقع الحياة، وبُعْدَ المربين عن سلوك النهج الذي رسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم للمربي المسلم – كل هذا– يضعُ الأطفالَ في حالة من الحيْرة والتردد، فهم لا يستطيعون أن يوفِّقوا بين هذه المتناقضاتِ، فيسمعونَ من آبائهم كلاماً حسناً عن وجوب التقيُّدِ بالآداب والأخلاق الإسلامية، والبعد عن الخيانةِ، والأمر بالأمانةِ، ثم يشاهدُ هؤلاءِ الأطفال آباءَهم وهم يمارسون في حياتِهِمُ العمليةِ عكسَ ما يقولونَ، وما يأمرونَ به أولادَهم.

ولْيَعلم الآباءُ أنَّ الطفل في سنِّ التمييز يمكن أن يحدِّدَ مدى التزام أهله بالتوجيهات التي يأمرونه بها، وإلى أيِّ حدٍ يتقيَّد أهلُهُ بالآداب والأخلاق التي ينادون بها، فلا يظن الأب أن الطفل لا يعقل ما يدور حولَهُ، فإنه يتأثر بالقدوةِ العمليةِ أكثرَ بكثير مما نظن.

إن كلامنا مهما كان جميلاً ومتناسقاً، فإنه لن يؤثِّر في أولادنا، مهما كررناه عليهم، حتى يمتزجَ بأرواحنا، ويكونَ مطبقاً حياً في واقعنا العملي، وهنا فقط يؤمن به الأولادُ، ويقتدون بنا.

أيها الإخوة الكرام: كيفَ يسوغُ للأب المسلم أن يأمر أولاده بالعفافِ والأدبِ، وبناتَهُ بالحشمة والحياء، ثم يزجُّ بهم في مجتمعات تفشَّت فيها الرذيلةُ والفواحش، بحجَّة قضاءِ إجازة الصيف، ثم يسمح للجميع بأن يفعلوا ما شاؤوا، فالأولاد ينطلقونَ هنا وهناك بلا رقيب، والبناتُ ينزعن الحجاب وجلباب الحياء.

وكيف يسوغُ للمسلم أن يأمرَ أولاده بالتقوى، ومراقبَةِ الله عز وجل في السِّر والعلن، في حين يخادعُ، ويغشُّ، ويؤذي المسلمين بلسانه ويده.

وكيف يسوغ للمسلمِ أن يأمرَ أولادَهُ بالتقوى وغضِّ البصر عن المحرمات، والبعْدِ عن المنكرات، في حين يُطلقُ بصره وسمعه للملاهي والمنكرات بحجة الترفيه البريء.

وكيف يسوغ له أن يأمر أولاده بالمحافظةِ على الصلاةِ، وإتقانها في حين يهجرُ المساجدَ، ولا يؤدي الصلاة في أوقاتها المعلومة.

إن هذه التناقضاتِ التي تعيشها الأمةُ لا يمكن أن تُوجِدَ نشأً متوافق النمو، سويَّ الخلق، بل تُخرِّجُ أفراداً مشوَّهي النفوس، منحرفي السلوك. بل ربما خرج جيلٌ من أبناء المسلمين رافضٌ كلَّ مبادئ المجتمع

خيرِها وشرِها، معْرِضٌ عن منهجه وسبيله. فكم عانت الأمة، من بعض أبنائها العاقِّين، الذين كانوا ثمارَ هذه التناقضات الأخلاقية، فمنهم من ألْحد وكفر، ومنهم من فسق وفجر، ومنهم من سلك سبيل المنافقين، فأخذوا جميعاً بيدٍ واحدةٍ، يضربون بمعولِ الهدم كيانَ الأمة، ويسوقونها نحو الهاوية.

ولقد حذَّر الله عز وجل عباده من سلوك هذا النهج المنحرف فقال عز وجل: ﴿ **أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ**﴾، وقال أيضاً: ﴿ **وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ** ﴾، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ**﴾ ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « يُؤتى بالرجل يوم القيامة، فيُلقى في النار، فتندلقُ أقتابُ بطنه، فيدورُ بها كما يدورُ الحمار بالرحى، فيجتمع إليه أهل النار، فيقولون يا فلان مالك؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقولُ بلى، قد كنت آمرُ بالمعروفِ ولا آتيه، وأنهى عن المنكر وآتيه » ، ويقول أيضاً: « آية المنافق ثلاث: إذا وَعَدَ أخلف، وإذا حدَّث كذب، وإذا اؤتمن خان » ، وقال أيضاً عليه الصلاة والسلام: « إن الكذب لا يصلحُ منه جدٌ ولا هزل، ولا أن يعدَ الرجلُ ابنه ثم لا يُنْجز له»، وقال: «من قال لصبي تعال هاك ثم لم يُعطه فهي كذبة ».

أيها الآباء الكرام: إنَّ الثمرةَ الصالحةَ الطيبةَ، لا يمكن أن تخرج من أرضٍ خبيثةٍ جدباءَ، كما أنَّ الثمرة الخبيثةَ الفاسدة، لا يمكن أن تكون نَتَاجَ الأرضِ الطيبة، والعناية الكاملةِ، ﴿ **وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ**

بِـإِذْنِ رَبِّـهِ وَالَّـذِي خَبُـثَ لاَ يَخْـرُجُ إِلاَّ نَكِـدًا كَـذَلِكَ نُـصَرِّفُ الآيَـاتِ لِقَـوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ .

أقـول هـذا القـول، وأسـتغفر الله لي ولكـم، فاسـتغفروه، إنـه هـو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمـدُ لله ربِّ العـالمين عـلى جزيـل نعمـهِ وواسـعِ فـضْله، أحمـده وأشـكره، وأشـهد أن لا إلـه إلا الله، وأشـهد أن محمـداً عبـده ورسـوله، خـيرُ قدوةٍ للسالكين، صلى الله عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين . أما بعد:

فـإنَّ مـن نافلـة القـول، أن نقـول: إنَّ الأخـلاقَ الإسـلاميةَ، المـستمدةَ مـن القـرآن الكـريم، والـسنة المطهـرة، أخـلاقٌ ثابتـةٌ، لا تتغـيرُ، ولا تتبـدل، ولا تتطـور مـع مـرور الـزمن، فـلا يمكـن بحـال، أن يـصبح الكـذبُ والخيانـةُ في يـوم مـن الأيـام مـن الفـضائل، كـما لا يمكـن أن يُـصبحَ الـصدق والأمانـةُ مـن البلاهـةِ والغبـاء. وهـذا الثَّبـاتُ في الأخـلاقِ الإسـلاميةِ يُعـدُّ مـن أعظـم خصائصها ومميزاتها التـي تفـردت بهـا عـن الأخـلاق الوضـعية، التـي تعـارفَ عليهـا النـاسُ بعيـداً عـن وحـي الله المبـارك. ومـن هنـا، فإنـه لا يحـقُ لـلأبِ المسلمِ أن ينهج في تربية ولـده نهجاً غـير الـذي شرعـه الله عـز وجـل، ولا يحـق له أن يُعـرض عـن مـنهج التربيـة الإسـلامية، بحجـةِ تغـيُّر الزمـان، واخـتلافِ الناسِ، فإن الأخلاق والآداب الإسلامية لا تتغير ولا تتبدل.

أيها الإخوة الكرام: إن من أعظم أسباب صلاحِ الذريةِ، وفلاحِها: الدعاء الصادق. ولنا في أنبياء الله الكرام الأسوةُ الصالحةُ، فقد سجَّل لهم القرآن الكريم ابتهالاتٍ عظيمةً، ودعوات مباركةً جليلةً. فهذا نبي الله إبراهيم عليه السلام يدعو ربه عز وجل فيقول: ﴿ **رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ**﴾ ، ويقول: ﴿ **رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاَةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي**﴾، ويدعو مع ابنه إسماعيل فيقولان: ﴿ **رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ**﴾ ، وزكريا عليه السلام يدعو فيقول: ﴿ **رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ**﴾. ورسول الله صلى الله عليه وسلم إنما هو دعوة أبينا إبراهيم عليه السلام حيث دعا ربه فقال: ﴿ **رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ**﴾ ، فاستجاب الله عز وجل هذا الدعاء، وبعثَ محمداً صلى الله عليه وسلم لهذه الأمةِ بشيراً ونذيراً.

أيها الآباء الكرام: إن للدعاء دوراً عظيماً في صلاحِ الأولادِ، وهدايتهم، فما هذه الابتهالاتُ والدعوات التي سجَّلها القرآن الكريم لأنبياء الله الكرام إلا إشارةً واضحةً على أهمية الدعاء. ومن المعروف أن دعوة الأب لولده مستجابة، فليستغلَّ الأبُ هذه المكانة، وهذا الفضلَ من الله، ولْيدْعُ لولده بالخير والصلاح، وليكن قدوةً صالحةً له، ولْيحذرْ كل الحذر من الدعاء على الأولاد أو القسوة عليهم، أو لعْنِهم، فإنَّ هذا خطأٌ عظيم، رُوي أنَّ رجلاً جاءَ إلى الإمام عبد الله بن المبارك رحمه الله يشكو إليه عقوق ولدِهِ، فقال له عبد الله: «هل دعوتَ على ولدِكَ ؟ فقال الرجل: نعم، فقال عبد الله: أنت أفسدته».

أيها الأخوة الكرام: إن من أعظم الآمال التي يرجوها الآباءُ من صلاحِ أولادهم ذلك الأملَ البعيد، هناك بعد الممات، حيثُ وحدةُ القبور، وظلمتُها، وضيقُها، حين ذهب عنه القريبُ والحبيبُ، ونساهُ الصديق والرفيق، واقتسم أهلُهُ الميراث، وتزوَّجت امرأتُهُ بعلاً غيره، ولم يبقَ إلا ذلك الولدُ الصالح الذي لا يزالُ يذكُرُهُ في دعائه: ﴿ **رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ** ﴾، ويتصدَّقُ عنه من وقت لآخر. هذا الولد الذي أجهدَ الأبُ نفسهُ في تربيته، وتعليمه الخير، وحافظَ عليه من الفساد والضياع.

أيها الإخوة: لو لم يعمل الأبُ، ويجتهدْ في تربية ولده إلا على هذا الأمل الطيب: لكان في هذا نعمةٌ عظيمةٌ وأجرٌ كبيرٌ، يقول عليه الصلاة والسلام: «إذا ماتَ الإنسانُ انقطعَ عنه عملُهُ إلا من ثلاثة: إلا من صدقةٍ جارية، أو علمٍ يُنتفع به، أو ولدٍ صالح يدعو له».

ولا يقفُ خيرُ الولد الصالح عند هذا الحد، بل هناكَ يومَ يقومُ الأشهاد، يوم يُحشرُ الناسُ حفاةً عراةً غرْلاً، كلٌ يقول: نفسي نفسي، فإذا بهذا الأبِ الصالح يُكسى حُلَّتين لا تقومُ لهما الدنيا، فيقولُ: بمَ كُسيتُ هذا ؟ فيُقال: بأخذِ ولدِكَ القرآن. إنها والله لنعمةٌ عظيمةٌ، ومنَّةٌ من الله كبيرة، نسأل الله عز وجل أن يوفقنا لذلك، ﴿ **إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ* لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلْ الْعَامِلُونَ** ﴾ ، ﴿ **وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ** ﴾ .

ألا وصلوا على البشير النذير الذي علَّمَكُم الخير، ودلَّكم عليه: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ**

﴿وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾، اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيِّدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وارض اللهم عن التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنا معهم برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين، وأذل الشرك والمشركين، ودمِّر أعداءَ الدين من اليهود والنصارى وسائر الكفرة المعاندين.

اللهم اجعل هذا البلد آمناً مطمئناً وسائر بلاد المسلمين، اللهم أصلح أئمتنا وولاة أمورنا، واجعل اللهم ولايتنا في من اتقاك واتبع هداك طالباً رضاك يا ربَّ العالمين.

ربنا هبْ لنا من أزواجنا وذرِّياتنا قرةَ أعيُن واجعلنا للمتقين إماماً. اللهم أحسن عاقبَتَنَا في الأمور كلِّها وأجِرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة. اللهم اجعلنا من الذين إذا أحسنوا استبشروا وإذا أساءوا استغفروا. اللهم إنا نعوذ بك من زوال نعمتك وتحول عافيتك وفجاءة نقمتك وجميع سخطك. اللهم إنا نعوذ بك من منكرات الأخلاق والأعمال والأهواءِ والأدواءِ. اللهم أصلح ذات بيننا، وألِّف بين قلوبنا، واهدنا سبل السلام، وأخرجنا من الظلمات إلى النور.

اللهم بارك لنا في أسماعنا وأبصارِنا وقلوبِنا وأزواجِنا وذرِّياتِنا، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم.

عباد الله إن الله يأمر بالعدلِ والإحسانِ وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون.

فاذكروا الله العظيم يذكركم، واشكروه على نعمه الكثيرة يزدكم، ولذكر الله أكبر، والله يعلم ما تصنعون.

٣- طبيعة الأمانة التي حملها الإنسان

الخطبة الأولى:

الحمدُ لله الواحدِ الأحد، الفرد الصمد، المحمود بكل لسان، القاضي بالحق بين الأنام، يفعلُ ما يشاءُ ويحكُمُ ما يريد. والصلاة والسلام على سيِّد الأمناء، وخيرِ النجباء، وإمام الأتقياء. صاحبِ الحوضِ المورودِ، واللواء المعقودِ، والمقامِ المحمودِ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. بلَّغ الرسالة للخلق، وأدى الأمانة بالحق. وترك أمَّته على المحجة البيضاء ليلها كنهارها. خرج من الدنيا وقد أرضى ربه بأداء الأمانة، وأنصف الناس بالعدل والاستقامة، فالخير منه مأمول، والشر منه مأمون. وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، الإلهُ الحق المبين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله، وارجو الله تعالى واليوم الآخر ولا تعثوا في الأرض مفسدين.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ . ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللَّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ . ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ .

أيها الإخوة المسلمون: إن أعظم مُمَيِّزةٍ يتميَّز بها الإنسانُ عن سائر المخلوقات، وأجلَّ مسؤوليةٍ أُنيطت به، وأضخمَ عبءٍ باءَ به: هو حَمْلُهُ للأمانة، تلك الأمانة التي أبت السماواتُ بأجرامها العظام، والأرضُ بأنهارها وأوديتها وسهولها، والجبالُ بقوتها وصمودها، أبَيْنَ جميعاً أن يحملْنها، وأشْفقنَ من عِظَمِ خطرها، وجلالة قدرها، وعلِمْنَ عجزَهنَّ عن القيام بحقِّها، والصمودِ لأمرها.

لقد أدركت هذه المخلوقاتُ العظيمةُ بما وضَعهُ اللهُ تعالى فيها من إدراكٍ خاص: أنَّ حمل الأمانة بحقِّها، والقيام بأَمرها: يرفعُ حامِلَها إلى أعلى الدرجات، ويبلِّغُهُ أسنى المقامات. وأن التفريط في حملها، والتقصير في واجب حقِّها: يحطُّ المخلوقَ إلى أحطِّ الدرجات، ويُرْديه أسفل الدَّركات. فلما رأت ذلك آثرت السلامةَ، واختارت الأمان، فلا تكليفَ ولا حسابَ ولا جزاء، وإنما هو التسبيح والتمجيد لله رب العالمين، كما وصفَ الله تعالى حالها بقوله: ﴿ **تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا** ﴾.

إنَّ اختيارَ الأمان، وإيثارَ السلامةِ من هذه المخلوقات العظيمة: يدلُّ دلالةً واضحةً على خطر حملِ الأمانة، وصعوبةِ القيامِ بتكاليفها، وشناعةِ التقصيرِ في حقِّها. فإذا بهذا الإنسان: الضعيف الظَّلوم، الجهول الجزوع: ينبري لها من بين المخلوقات، ويتصدَّى لحملها من بين الموجودات، ويتطلَّعُ لها من بين المصنوعات: يتعرضُ لخطَرِها، لعلَّه يفوزُ بكرامتها، فينالُ أعلى الدرجات، ويفوزُ

بعظيم الحسنات. فإذا بهذا الإنسان ومع أولِ فتراتِ تكليفه بحمل هـذه الأمانـة، فإذا به يُخفقُ، ويُخطئُ مع أول عقباتِ التكليف، فإذا به يأكلُ من الشجرةِ التي نُهي عنها. وما أن نزل إلى الأرض، وبـدأ بالتناسـل والعـمارة: حتـى دبَّ فيـه الـشُّحُ، واستحكمَ فيه الحسدُ، واشْتاطَ به الغـضبُ. فـإذا بالقتـل مـصيرُ المحـسود، وإذا بالظلم مصيرُ الضَّعيف، وإذا بالجوعِ مصيرُ الفقـير، وإذا بالـذلُّ مـصيرُ المـسكين. فأينما نظرتَ من تاريخ الإنـسان في القـديم والحـديث وجـدتَ ظلْمَـهُ واضـحاً، وجهلَهُ بادِياً. ظلْمَهُ لنفسِهِ ولأخيهِ الإنـسانِ بتـضييعِ الأمانـة، وجهلِـهِ بعواقـبِ الأمور يوم القيامة. ولم يسْلَمْ من هذا الوصـف إلا عبـادُ الله المخلـصون، الـذين اصطفاهُمُ اللهُ تعالى لحملِ الأمانة، ونشر الهدايـة، مـن الأنبيـاء الكـرام، والرسـل العظام، ومن الأولياء الأتقياء، والصالحينَ الأصفياء، الـذين بـثَّهُم الله تعـالى بـين خلقه من أولِ الدَّهر إلى آخره، فما من طبقةٍ من طبقاتِ الناس، ولا فئةٍ من فئـاتهم إلا وتجدُ من بينهم قائماً بالأمانة، فتجـدُهُم في علْيـةِ القـومِ مـن الملـوكِ والأمـراءِ والوجهاءِ، وتجدُهُم في أواسطِ الناسِ من العلماء والمـؤدِّبينَ والمـوظفينَ، وتجـدُهُم أيضاً في مساكينِ الناسِ من العـمَّال والمـستخدمينَ والفقـراء. قـد جمعهـم سـلامةُ الاعتقادِ من الشرك والشك والزيـغ، وسـلامةُ العمـلِ مـن الفـسق والانحـراف والبدعة. فالباطنُ مُشْربٌ بالإيمان والتقوى، والظاهر مُسْبَغٌ بالمروءة والأدب. فلا الاعتقاد مشُوبٌ بالشبهات، ولا السُّلوكُ متعثِّرٌ بالشهوات. فمحبَّـةُ الله عَمَـرت قلوبَهم، وسنَّةُ نبيه صلى الله عليه وسلم زيَّنت سلوكَهم. الخوفُ دافِعُهُم، والرجاءُ حافِزُهم. يتقلَّبونَ في جميع أمورِ دنياهم بين الخشْيةِ والأمل؛ خشيةٍ يشعرونَ معهـا بالتقصير في حمل الأمانـة، وأمـلٍ يرجـون بـه العفـوَ ودارَ الكرامـة. فـلا الخـوفُ

يدعوهم إلى القنوطِ من رحمة ربهم، ولا الرجاءُ يُقعدُهُم عن الخدمة في طاعة ربهم.

أيها الإخوة الكرام: إنَّ هؤلاءِ الأمناءَ الذينَ عمرَ الإيمانُ قلوبَهم، وزيَّنتِ الاستقامةُ سلوكَهم: خلْقٌ من خلق الله تعالى، لم ينقرضوا، ولن ينقرضوا. بل هم من الفئة الظاهرة، والفرقة الناجية، لا يزالون بارزين مدى الدهر، لا يضرُّهم من خالفَهُم، ولا يكترثُونَ بعددِ من ناوأَهم. فقد يكثرون في زمان، ويقلُّون في آخر، وقد ينعدمونَ في فئةٍ ويتوافرونَ في أخرى، إلا أنهم لا ينقرضون أبداً. فقد تجدُهُم في فئةِ الحكَّامِ وأهل السلطة ممن حملوا أمانة الحق، والحكمَ بالشرع، وتجنَّبوا الظلمَ، والحيفَ عن القسط؛ لما علموا من الوحي أنَّ السلطانَ يأتي يوم القيامة وقد غُلَّتْ يداهُ إلى عنقه لا يفكُّها إلا العدل، وأنَّ العادلَ منهم على منابرَ من نورٍ في ظلِّ عرشِ الرحمن. كما تجِدُهم في فئةِ العلماء والمعلمين والمؤدِّبين، ممن ملأ العلمُ قلوبَهم بالخشيةِ، فألزموا أنفسهم العمل بالعلم خوفاً من مقت الله تعالى، بأن يقولوا ما لا يفعلون، ورجاء أن يكونوا من معلمي الناس الخير الذين تستغفرُ لهُم الدوابُ وتدعو لهم. كما تجدُهُم من فئةِ الشبابِ والطلاب، ممن نشأوا في عبادةِ الله تعالى، وطلبوا العلمَ للعمل، فلم تفتِنْهُم الشهادات، ولم تنحطَّ بهم الأمانيُّ الساقطات، أبصارُهُم مغضوضةٌ، وفروجُهُم محفوظةٌ، أملُهُم في رحمة الله، وخوفُهُم من غضبه.

كما تَجِدُهُم في فئاتِ التُّجَّار والصنَّاع والأطباء والمهندسين ونحوهم، قد شغلتهُم أمانةُ إتقانِ العمل، والإحسان فيه، عن حظوظِ أنفسهم بطلب المزيد بالغشِّ والخداع والكسب الحرام. حين علموا أن السماحة أساسُ التعاملِ، وأن الإتقان سبيلُ الفلاح.

كـما تَجِـدُهم أيـضاً في فئـاتٍ مـن بـسطاءِ النـاس،من العـمال والمسْتَخْدَمينَ والأجـراء، ممـن يبيت أحـدُهم كـالاً مـن عمـل يـده، قـد شـغلهُ الحـلالُ عـن الحـرام، إذا وجـد قـوتَ يومـه أكَـلَ وشـكر، وإذا لم يجـده صـامَ وصبر، قد آثر الجـوعَ عـلى أن يمـدَّ يـده فيسأل، أو يتطـاولَ بهـا فيـسْرِق، أملُـهُ في خزائِنِ الله كبيرٌ، ورجاؤه فيما عند الله عظيم.

كـما تَجِـدُهم في فئـاتِ النـساء ممـن عبـدتْ ربَّهـا، وأطاعـتْ زوجَهـا، وحفظت نفـسَها. فهـي في بيتهـا راعيـةٌ، وعـلى ولـدها حانيـةٌ، وعـلى مـا في يـد زوجهـا مـشفقة، لم يـشْغَلْها الأحمـرُ ولا الأصـفرُ عـن ذكـر ربهـا، ولم يُغرِهـا الشباب بالتبرج والسفور، رجاؤها أن تكون من أهل الفوز والحبور.

أيها الإخـوة: هـذه هـي الأمانـةُ، أمانـةُ التكـاليف التـي عَجَـزت عـن حملها الـسمواتُ والأرضُ والجبـالُ، وأنَّـى لهـا أن تحملهـا فإنهـا لم تُهيـأ لهـا، فـما ضاقت الـسمواتُ والأرضُ عـن حملِـهِ واسـتيعابه مـن معـاني الإيـمان، وأنـواع العمل: قـد اسـتوعَبَها قلبُ المـؤمن وسـلوكُهُ. فـسبحان مـن أعطـى كـلَّ شيء خلْقَهُ ثم هدى.

أعـوذ بـالله مـن الـشيطان الـرجيم: ﴿**إِنَّـا عَرَضْـنَا الأَمَانَـةَ عَـلَى الـسَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَـالِ فَـأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَـا وَأَشْـفَقْنَ مِنْهَـا وَحَمَلَهَـا الإِنـسَانُ إِنَّـهُ كَـانَ ظَلُومًـا جَهُـولاً * لِيُعَـذِّبَ اللَّـهُ الْـمُنَافِقِينَ وَالْـمُنَافِقَاتِ وَالْـمُشْرِكِينَ وَالْـمُشْرِكَاتِ وَيَتُـوبَ اللَّـهُ عَـلَى الْـمُؤْمِنِينَ وَالْـمُؤْمِنَاتِ وَكَـانَ اللَّـهُ غَفُـورًا رَّحِـيمًا**﴾. أقـول مـا سـمعتم وأسـتغفر الله تعـالى لي ولكـم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمدُ لله وكفى، والصلاة والسلام على سيِّدِنا محمدٍ النبي الكريم المجتبى، وعلى آله الأخيار، وأصحابه الأبرار، وعلى من تبعهم إلى يوم الدين، أما بعد فقد تحدَّث القرآن الكريم عن الأمانة وحثَّ عليها، ونهى عن الخيانةِ وحذَّر منها وفي ذلك يقول المولى عز وجل: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ** ﴾ ، ويقول أيضا: ﴿ **إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلاَ تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا * وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا * وَلاَ تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا * يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلاَ يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لاَ يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا** ﴾ ، ويقول أيضاً: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَخُونُواْ اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُواْ أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾ .

وقد حذَّر الرسولُ صلى الله عليه وسلم من التفريط في الأمانة فقال: « لكلِّ غادرٍ لواءٌ يوم القيامة يُرفعُ له بقدْر غدْرِهِ » ، ويقول: « ما من عبدٍ يسترعيه الله رعيةً، يموتُ يومَ يموتُ وهو غاشٌ لرعيته إلا حرَّم اللهُ عليه الجنة »، ويقول: « من استشاره أخوهُ المسلمُ فأشارَ عليه بغير رَشَدٍ فقد خانه» ، ويقول: « أدِّ الأمانةَ إلى من ائْتَمَنَكَ، ولا تَخُنْ من خانَك » ، ويقول: « إذا حدَّث الرجلُ الحديثَ ثم التفتَ فهي أمانة » ، ويقول: « المستشارُ مؤْتَمن » .

وفي الجانب الآخر فقد حذَّر الرسول صلى الله عليه وسلم من ضياعِ الأمانة في آخر الزمان فقد قال عليه الصلاة والسلام: «كيف بكم وبزمانٍ يُوشكُ أن يأتي، يُغربَلُ الناسُ فيه غربلةً، ثم تبقى حُثالةٌ من الناس قد مَرِجَتْ عهودُهُم وأماناتُهُم، فاختلفوا هكذا– وشبَّكَ بين أصابعه » ، وقال أيضاً: « سيأتي على الناس سِنُونَ يُصدَّقُ فيها الكاذِبُ، ويُكذَّبُ فيها الصادقُ، ويُخوَّنُ فيها الأمينُ، ويُؤْتَمن فيها الخائِنُ » .

اللهم إنا نعوذ بك من الجوع فإنه بئسَ الضجيع، ونعوذ بك من الخيانةِ فإنها بئْسَتِ البطانة، سبحانك ربنا لا حول لنا ولا قوة إلا بك على حمل الأمانة وتكاليفها، اللهم أعنَّا بفضلك ورحمتك على أداءِ أمانةِ قلوبنا بصدق الإيمان، وأداءِ أمانةِ سلُوكِنا بصلاح العمل.

۞ ۞ ۞

٤- خلق المسلم بين الصدق والكذب

الخطبة الأولى:

الحمـدُ لله الـصَّادقِ في قِيلِـهِ، الهـادي إلى سـبيله، مَـدَحَ الـصادقينَ في مُحْكَـم تنزيلـه، وذمَّ الكـاذبينَ في شرائِـعِ دينـه. حبَّـبَ الـصدقَ إلى النفـوس الكريمة، وكـرَّه الكـذبَ إلى الطبـاع الـسليمة، فجعـلَ الـصدقَ صـفةً لأوليائِـهِ، وجعــلَ الكــذبَ طبيعــةً لأعدائــه، فخــصَّ بالــصدقِ الأنبيــاءَ والــصلحاءَ الأتقيــاءَ، وكَبَــتَ بالكــذب الأشــقياءَ والفجَّــارَ الأدعيــاءَ. فكــان الــصدقُ للأوليـاء كالـدواء، والكـذبُ عنـدهم كالـداء. أمـا الـصدقُ عنـد الأشـقياء فهـو كالـداء، والكـذبُ عنـدهم كالـدواء، فـلا يـستريحُ الـوليُّ إلا بالـصدق، ولا يــستريحُ الــشقيُّ إلا بالكــذب. فــسبحان مقــدِّر الأقــدار، ومــسبِّبِ الأسـباب، يخلـقُ مـا يـشاءُ، ويفعـلُ مـا يريـد، ويهـدي مـن يـشاءُ إلى أسـبابِ مرضاته، ويُضلُّ من يشاء عن فضله ورَحمَاته.

وأشـهد أن لا إلـه إلا الله، القائـلُ في كتابـه: ﴿**يَـا أَيُّهَـا الَّـذِينَ آمَنُـواْ اتَّقُـواْ اللَّــهَ وَكُونُـواْ مَـعَ الـصَّادِقِينَ**﴾ ، وأشـهد أنَّ محمـداً عبـــده ورسـوله، القائـلُ: « علـيكم بالـصدق فـإنَّ الـصدقَ يهـدي إلى الـبر، وإن الـبرَّ يهـدي إلى الجنـة، ومـا يـزالُ الرجـلُ يـصدقُ ويتحـرَّى الـصدقَ حتـى يُكتـب عنـد الله صـدِّيقاً، وإيَّــاكم والكــذب، فــإنَّ الكــذبَ يهــدي إلى الفجــور، وإن الفجــورَ يهدي إلى النار، وما يـزال الرجـل يكـذب ويتحـرى الكـذب حتـى يُكتـبَ عنـد الله كذَّاباً » .

أيها الإخوة المسلمون: إنَّ من أجلِّ نعمِ الله تعالى على العبد المسلم، أن يُحبِّبَ إليه الصدقَ، فلا ترتاحُ نفسُهُ، ولا يهدأُ ضميرهُ إلا بالصدق، فإذا تردَّدَ في أمر: آثر الصمتَ على أن يقول قولاً لا يدرى أفي حق هو أم في باطل، وفي الحديث: « دع ما يَريبُكَ إلى ما لا يَريبُكَ، فإنَّ الصدقَ طمأنينةٌ، وإن الكذبَ ريبةٌ » .

ولئن كان في الناس من لا ترتاحُ نفسُهُ إلا بالصدق، ولا يطمئنُ قلبُهُ إلا به: فإنَّ في الناس من لا ترتاح نفسُهُ إلا بالكذب، ولا يهدَأُ بالُهُ إلا به، حتى يُصبحَ عند أحدِهِم كالإدمان، لا يكادُ ينفكُ عنه، فقد قيلَ لكذَّابٍ ما يحمِلُكَ على الكذب؟ فقال : أما إنَّك لو تغرغرت ماءَهُ ما نسيتَ حلاوته، وقيلَ لكذَّابٍ آخر: هل صدقت قط؟ فقال: أكره أن أقول: لا فأصدُق. يعني أن الكذبَ يُصبحُ عند من اعتادَ عليه طبعاً وخُلُقَاً لا خلاص منه. ولهذا قال لقمان لابنه: « يا بُنيَّ احذر الكذبَ فإنه شهيٌ كَلَحْمِ العُصْفُور، من أكلَ منه شيئاً لم يصبر عنه» . ومن هنا جاءت الشريعةُ المباركةُ بإلْزام المربينَ بالصدق في تعامُلِهم مع الأطفال حتى لايعتادَ أحدُهُمُ الكذبَ فيصبحَ طبعاً له، ومما يُروى في هذا قولُهُ عليه الصلاة والسلام: « إن الكذبَ لا يصلُحُ منه جدٌ ولا هزْل، ولا أن يعدَ الرجلُ ابنه ثم لا يُنْجزُ له » ، ورأى عليه الصلاة والسلام مرَّة امرأةً تقولُ لصبي لها : تعال حتى أُعطيكَ، وتشير له بيدها كأن فيها شيئاً، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: « ما أردت أن تُعطيه ؟ قالت: تمراً، فقال: إن لم تفعلي كُتبت عليك كَذْبَةٌ». وهكذا عليه الصلاة والسلام يحتث

الكذب من أصوله الأولى، فلا يدع بذرته تنمو من أول الأمر، لعلمه عليه الصلاة والسلام أنَّ الكذبَ أصلُ النفاق، وأنَّ الصدقَ أصلُ الإيمان. ومن المعلوم أنَّ الكذبَ ليس من الأخلاق الفطرية التي يمكن أن يُجْبَلَ عليها الإنسان، وإنما هو خلقٌ يتعلمُهُ من البيئة الاجتماعية، وفي الحديث يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: « يُطبع المؤمنُ على الخلالِ كلِّها إلا الخيانةَ والكذب » .

أيها الإخوة: إذا تقرَّرَ قبح الكذب: فإن أخبثَ أنواعه: التكذيبُ بالدين، من خلال التصديق بالباطل، والإنكار للحق. فهذه الأممُ السابقةُ التي كذَّبت الرسل ، وأنكرت الحق: أخذهُمُ الله تعالى أخذ عزيز مقتدر، فمنهم من خسف به الأرض، ومنهم من أغرقه، ومنهم من أرسلَ عليه الريح، ومنهم من أخذه بالصيحة. وكلُّ هذا بسبب التكذيب. وفي هذا يقصُّ المولى عز وجل علينا خَبرَهم فيقول: ﴿ **وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا** ﴾ ، وقال : ﴿ **كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُواْ بآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَونَ وَكُلٌّ كَانُواْ ظَالِمِينَ** ﴾، وقال أيضاً: ﴿ **الَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْبًا كَانُواْ هُمُ الْخَاسِرِينَ** ﴾ .

ومن قبيح الكذب وشنيعه، مما يُعدُّ كفْراً والعياذ بالله تعالى: الكذبُ على الله تعالى، والكذب على رُسُله، من خلال ما ينسبُهُ الدجالون إلى الله وإلى رسله من التحليل والتحريم ونحو ذلك، وفي هذا يقول المولى

عـز وجـل: ﴿**وَلاَ تَقُولُـواْ لِمَا تَـصِفُ أَلْـسِنَتُكُمُ الْكَـذِبَ هَـذَا حَـلاَلٌ وَهَــذَا حَـرَامٌ لِّتَـفْـتَــرُواْ عَـلَى اللَّــهِ الْكَــذِبَ إِنَّ الَّـذِينَ يَفْــتَرُونَ عَـلَى اللَّــهِ الْكَــذِبَ لاَ يُفْلِحُـونَ**﴾ ، ويقـول الرسـول صـلى الله عليـه وسـلم : « إن كـذباً عـليَّ لـيس ككـــذب عـلى أحـد، مـن كـذب عـليَّ متعمـداً فليتبـوأ مقعـدَهُ مـن النار » ، ويقـول : « مـن حـدَّث عنـي حـديثاً وهـو يـرى أنَّـه كـذبٌ فهـو أحـد الكـاذِبين» . ولمـا كـان خطـرُ هـؤلاء عظيماً عـلى الـدين : توعَّـدهم الله تعـالى بالعـذاب يـوم القيامـة فقـال: ﴿ **وَيَـوْمَ الْقِيَامَـةِ تَـرَى الَّـذِينَ كَـذَبُواْ عَـلَى اللَّــهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ**﴾ .

وأما الكـذب بـين النـاس فهـو وإن لم يـصل إلى درجـةِ الكفـرِ فإنـه مـن المحرمـات الممنوعـة، ومـن المـسالِكِ المذمومـة التـي تأباهـا النفـوسُ الكريمـة، وتترفَّـعُ عنهـا الطبـاعُ الحميـدة، ولهـذا لم يكـن خُلـقٌ أبغـضَ إلى رسـول الله صلى عليه وسـلم مـن الكـذب، وكـذلك الـسلفُ الـصالح، فـإن بعـضهم كـان يحـذر مـن الكـذب لـيس لكونـه حرامـاً وخـداعاً، ولكـن لكونـِهِ مخالفـاً للمُـروءة، فـإن حيـاةَ الكـذب: مـوت للمـروءة، ومـن عُـرف بالـصدق قُبـل كذبُـهُ، ومـن عُـرف بالكـذب: كُـذِّب وإن صـدق. فالـصدق أعـز مـن الـسيف القاطع في يد الرجـل الـشجاع، حتـى وإن كـان فيـه مـا يكـره، والكـــذب ذلٌ وإن كـان فيـه مـا يُحـب . فالـصدق ميـزان الله الـذي يـدور عليـه العـدل، وهـو عـماد الأمـر، وبـه تمامُـهُ، وفيـه نظامـه. وهـو تـالي درجـة النبـوة، كـما في قولـه تعالى: ﴿ **وَمَن يُطِعِ اللَّـهَ وَالرَّسُـولَ فَأُوْلَـئِكَ مَـعَ الَّـذِينَ أَنْعَـمَ اللَّــهُ عَلَـيْهِم مِّـنَ النَّبِيِّــينَ وَالـصِّدِّيقِينَ وَالـشُّهَدَاء وَالـصَّالِحِينَ**﴾. ومـا يظنُّـهُ بعـضهم مـن مـصلحةٍ يحققهـا مـن وراء الكـذب، فـإنَّ المنفعـةَ الدنيويـــة ولـو كانـت مُلـك الـدنيا بحــذافيرها لا تعـدِلُ الـضَّرر الحاصـلَ مـن أدنـى الكــذب. وفي

الحديث: « أربعٌ إذا كنَّ فيكَ فلا عليك ما فاتَكَ من الدنيا: حفظُ أمانةٍ، وصدقُ حديثٍ، وحسنُ خليقةٍ، وعفةٌ في طُعْمـــة » . وفي حديث آخر: « اضْمَنوا سِتاً من أنفسكم أضمن لكُمُ الجنة: اصدقوا إذا حدَّثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدُّوا إذا ائتُمِنْتُم، واحفظوا فروجَكُم، وغُضُّوا أبصارَكم، وكفُّوا أيديَكُم » .

أيها الإخوة: ولئن كان ثوابُ الصدق: نجاةَ العبد في الآخرة، فإنَّ أقلَّ ما يحصِّلُهُ في الدنيا: حلاوةً في منطقه، وملاحةً في منظرة، وهيبةً في مطْلعه. وأما الكذَّابُ فمع ما ينتظره في الآخرةِ من أليم العقاب، فإنه في الدنيا موقع شكِّ الناس وريبتِهِم، إذا شكَّكْته في حديثه تشكَّكَ حتى لربما رَجَعَ عنه، وإذا طالبته بالدليلِ تلعْثَم، وإذا نظرت إلى عينيه تردَّد، كأنه يقول خذوني. وفي القديم قالت الحكماءُ: « الوجوهُ مَرايا تُريكَ أسرارَ البرايا » . وقبيحٌ جداً أن يُحدِّثَ الرجلُ أخاه بالكذب هو له مصدِّق؛ فإن المسلم أخو المسلم لا يخونه ولا يكذبُهُ.

ألا فاتقوا الله عبادَ الله، وعليكم بالصدق حتى وإن رأيتم أنه يضرُّكم، فإنه لابد أن ينفعَكُم، واجتنبوا الكذب حتى وإن رأيتم أنه ينفعُكُم فإنه لا بد أن يضرَّكم.

واعلموا أن حقيقةَ الصدقِ: أن تصدقَ في موطنٍ لا يُنْجيكَ منه إلا الكذبُ .

بارك الله لي ولكم في القرآن الكريم، ونفعني وإيَّاكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، وهدانا الله وإيَّاكم إلى سبيل سيِّدِ المرسلين. أقول ما سمعتم وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمدُ لله الرحيم، والصلاة والسلام على نبيه الكريم، وعلى آله وصحبه أجمعين...

أما بعد... فإنَّ دوافعَ الكذب غالباً ما تنحصرُ في استجلاب منفعةٍ أو دفعِ مضرةٍ، فترى الكذَّابَ إذا أرادَ أن يتقرَّب إلى صاحب جاهٍ أو مالٍ: زعم له أنَّه رآه في رؤيا حسنة، وإذا أرادَ أن يصْرِفَ وجوهَ القوم إليه: تحدَّث بالحديث الكذبِ حتى يُضحِكَ الناسَ، وإذا أراد أن يكونَ ظريفاً في المجلس أكثَرَ من المِزاحِ والكلامِ، وإذا أراد أن ينتقمَ من شخص: حَلَفَ اليمين ليقتطِعَ من ماله، وينتقم لنفسه، وكلُّ ذلك قبيح من المسلم.

أيها الإخوة: إن واجبَ المسلم اليوم ليسَ أن لا يكذب فقط، ولكن يجب عليه أن لا يصدِّق بالكذب، وأن لا يكونَ مطيةً للكذَّابينَ والخادعين، فإنَّه في آخر الزمانِ يكثُرُ الكذبُ، ويقِلُّ الصدقُ، وفي الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يكون في آخر الزمان دجَّالونَ كذَّابونَ يأتونَكُم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم فإيَّاكُم وإيَّاهُم، لا يُضلُّونَكم ولا يفتنُونَكم»، ويقول أيضا: «أُوصيكُم بأصحابي، ثم الذين يلونَهم، ثم الذين يلونَهم، ثم يفشو الكذبُ حتى يحلفَ الرجلُ ولا يُسْتحلف، ويشهدُ الشاهدُ ولا يُسْتشهد».

إنَّ الكذبَ اليومَ لم يعد مسألةً فردية، أو قضيةً محلية، بل هو اليوم طبيعيةٌ عالمية، ومسْلَكٌ عام، يتعاطاهُ العالمُ بلا نكير عبر وسائلِ الإعلامِ

والاتـصال، فالخـداعُ الـسياسي والتعتـيم الإعلامـي أصـبحا سـمة عامـة للإعـلام المعـاصر، وأمـا الجانـبُ الاقتـصادي فـالغشُ التجـاري، والاحتكـارُ للـسلع مـن خـلال الدِّعايـة الكاذبـة، والـترويجِ الـساقط للبـضائعِ الفاسـدة، والموادِ الـضارة. حتـى إنَّـك لتتعجَّـبُ كيـف تواطـأ العـالمُ عـلى الدعايـة للربـا، والخمـور، والـدخان وغيرهـا مـن المحرمَـاتِ دونَ نكـير، رغبـةً في الاسـتكثار مـن الـسُّحت الحـرام، وأكـلِ أمـوالِ النـاسِ بالباطـل. وقـد أشـار رسـول الله صلى الله عليـه وسـلم إلى هـذه الطبيعـةِ الخسيـسةِ في بعـض التجَّـار فقـال: « إن التجَّارَ هُـمُ الفجـار، فقيـل: يـا رسـول الله ألـيسَ أحـلَّ اللهُ البيـع؟ قـال: نعـم، ولكنهم يحلفُونَ فيأثمونَ، ويحدِّثونَ فيكذبون » .

ألا فـاتقوا الله عبـادَ الله، واحـذروا الكـذبَ وأهلَـهُ، ولا يكـن أحـدُكم مطيةً للكذَّابين والمخادعين، فيصدِّقُهُم أو يُعينُهم.

٥ – الظلم خطره ومفاسده

الخطبة الأولى:

الحمدُ لله الملكِ العدل، أَمَرَ بالقسط، ونهى عن الظلم، كتبَ العِزَّةَ والرفعة للمقْسطينَ العادلين، وكتبَ الذِّلة والصغار على الفاجرينَ الظالمين. أيَّدَ بالعدل أولياءَهُ المؤمنين، وخذلَ بالظلمِ أعداءَهُ الكافرين. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى والعدل وتحريم الظلم، فبلَّغ الرسالة، وأدَّى الأمانة، وأقام الدين، فصلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله، واعلموا أن خيرَ الكلامِ كلامُ الله تعالى، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ صلى الله عليه وسلم، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكلَّ محدثة بدعة، وكلَّ بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أيها الإخوة: إن من أشدِّ المظاهر الاجتماعية فتكاً بالإنسان، ومن أرذلها مسْلكاً، ومن أقبحها موْرداً، ومن أعنفها تأثيراً في الحياة الإنسانية بصورة عامة: ظاهرةَ الظلم، سواءٌ كان الظلم في حقوق الله تعالى، من وجوب إخلاص العبادة له وحده جلَّ شأنُهُ، والخلوص من الشرك، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ **إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**﴾، أو كان الظلم بين الناس، بتعدي بعضهم على بعض في الحقوق والواجبات، كما قال الله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ**﴾، أو كان الظلمُ بين العبد وبين نفسه، كما قال الله تعالى: ﴿ **فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ**﴾. فكل صور الظلم محرمةٌ على العباد، كما قال الله تعالى في الحديث القدسي: « يا عبادي إني حرَّمت الظلم

على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا ».

وقد توعَّد الله تعالى الظالمين في كتابه بما يخلَعُ القلوبَ، ويكُفُّ النفوس عن الظلم فقال سبحانه وتعالى: ﴿ **وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللَّـهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ** ﴾ .

﴿ **إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاء كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءتْ مُرْتَفَقًا** ﴾ .

﴿ **وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا** ﴾ .

﴿ **احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ * مِن دُونِ اللَّـهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ** ﴾ .

﴿ **فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ** ﴾.

﴿ **وَاللَّـهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ** ﴾ .

﴿ **إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ** ﴾ .

﴿ **وَاللَّـهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** ﴾ .

﴿ **أَلاَ لَعْنَةُ اللَّـهِ عَلَى الظَّالِمِينَ** ﴾ .

وفي الحديث القدسي يقول الرَّب عز وجل: « اشتدَّ غضبي على من ظَلَمَ من لا يجدُ له ناصراً غيري » . ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم محذِّراً من الظلم: « اتقوا الظلمَ فإنَّ الظلم ظُلماتٌ يوم القيامة»، ويقول: « إن الله ليُملي للظالم حتى إذا أخذه لم يُفلتْهُ ».

أيها الإخوة : إنَّ منشأَ الظلم من أصل الأمر: ظلمةٌ في القلب، تُعمي صاحِبَهَا عن استبصار الحق، وإدراك العواقب، وتدفعُهُ إلى التمادي في الباطل. فلا يجد في نفسه وازعاً يُوقظُهُ، ولا يجد من المجتمع رادعاً يقمَعُهُ. ولهذا غالباً ما يقعُ الظلمُ على الضعفاء والمساكين، الذين لا يجدون مالاً يدفعونَ به عن أنفسهم، ولا يجدون من قوى المجتمع ما يحميهم من الظلم. وفي هذا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم محذراً المجتمع المسلم: «إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعُمَّهم الله بعقاب منه»، وقال أيضاً: «إذا رأيتَ أمَّتي تهابُ الظالمَ أن تقول له: إنك ظالم: فقد تُوُدِّعَ منهم»؛ أي لا خير فيهم، ويقول أيضاً: « ما من مسلم يخذل امرأً مسلماً في موضع تُنتهكُ فيه حُرمتُهُ، ويُنتقصُ فيه من عرضه إلا خذله الله في موطن يُحبُ فيه نُصرته »، ويقول: « لا تظلموا فتدعوا فلا يُستجابَ لكم، وتستسقوا فلا تُسقوْا، وتستنصروا فلا تُنصروا» ، ويقول: « إنَّ الله لا يقدِّس أمةً لا يأخذ الضعيف فيها حقَّهُ غيرَ مُتعتع »، وقال أيضاً: « انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، فقال رجل: يا رسول الله أنصره إذا كان مظلوماً ، أفرأيت إن كان ظالماً كيف أنصرهُ؟ قال: تحجُزُهُ أو تمنعهُ عن الظلم فإن ذلك نصْرُهُ ».

أيها المسلمون: إن ظلم بعض أفراد المجتمع لبعضهم لا يقتصرُ ضررُهُ على الظالم والمظلوم، وإنما يتعدى ذلك الضررُ على المجتمع بأسره، حين يستجلبون غضب الرب عز وجل، فلا يبالي سبحانه وتعالى بهم في أي وادٍ هلكوا.

كما أنَّ مظاهر الظلم إذا تفشَّت في مجتمع ما: لابد أن تصل إلى كلِّ واحد من أفراد المجتمع في صورة من الصور، حتى تقع بينهُمُ البغضاءُ، وتُثارُ بينهم الشحناء، فتتفرَّق القلوب، وتكثرُ الهموم، فلا يكون همُّ الواحد منهم إلا الانتقام بعنف، أو الكيدَ بخبث. حين تكونُ شريعةُ الغاب نظام المجتمع، وحبْكُ المكائد علامة ذكائه، وكثرة الدسائس صور حكْمته، وعندها يكون المجتمع قد وصل إلى الهاوية السحيقة فلا خير فيه.

أيها المسلمون: يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: « لا تكونوا إمعةً، تقولون إن أحسن الناسُ أحسنَّا، وإن ظلموا ظلمنا، ولكن وطِّنوا أنفسكم: إن أحسنَ الناسُ أن تُحسنوا، وإن أساءوا فلا تظلموا » . إن انتشار الظلم الاجتماعي لا يبرر للناس التظالم، وإنما للمظلوم أن يدفع عنه الظلمَ ما استطاع بغير تعدٍ، فإن لم يستطع فليعلم أنَّه منصور، وأن الله تعالى لن يخذله، وفي الحديث : « ثلاثةٌ لا ترد دعوتهم: الصائم حتى يفطر، والإمامُ العادلُ، ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام، ويفتح لها أبواب السماء، ويقول الرب: وعزتي لأنصرنَّكِ ولو بعدَ حين » . كما أن صبره على الظلم في غير ذلةٍ لا يزيدُهُ عند ربه إلا عزاً، وفي الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « ثلاثٌ أُقسم عليهن وأحدِّثكم حديثاً فاحفظوه، قال: فأما الثلاثُ الذي أقسم عليهن: فإنه ما نقص مال عبد من صدقة، ولا ظُلم عبدٌ بمظلمةٍ فيصبرُ عليها إلا زاده اللهُ عز وجل بها عزاً، ولا فتح عبدٌ باب مسألة إلا فتح الله له باب فقر » .

اللهم إنا نعوذ بك من أن نظلم أو نُظلم، ونعوذ بك من الظلم والظالمين، أقول ما سمعتم وأستغفر الله تعالى لي ولكم فاستغفروه وتوبوا إليه يغفر لكم.

الخطبة الثانية:

الحمدُ لله الواحدِ القهَّار، والصلاة والسلام على نبيه المصطفى المختار، وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد...

أيها الإخوة: إنَّ قضيةَ الظلم لا تنتهي بزوالِ هذه الحياة وانقضائها، و إنما هي أرصدةٌ مدخرةٌ لأصحابها، يُوفَّوَن بها يوم القيامة، في صحائفَ لا تغادرُ صغيرةً ولا كبيرةً إلا أحصتها، فيأتي الرجل يومَ القيامةِ فيرى من بياض صحيفته، ونقائها ما يظنُّ معه أنَّه ناجٍ من العذاب، فإذا بمظالمِ بني آدَمَ تتكالبُ عليه من كلِّ صوب، فهذا يُطالبه بمال، وهذا يطالبُهُ بعرض، وهذا يطالبه بدم. فما يمضي عليه الحسابُ إلا عادَ مفْلساً من كلِّ خير، محمَّلاً بأوزار العباد، لا يعرفُ منها خلاصاً، وفي الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « اتقوا الظلم ما استطعتم، فإن العبد يجيءُ بالحسنات يوم القيامة يرى أنها ستنجِّيه، فمازال عبدٌ يقول : يا رب ظلمني عبدك مظلمة، فيقول: امحوا من حسناته، ومازال كذلك حتى ما يبقى له حسنةٌ من الذنوب » ، ويقول أيضاً: « من كانت له مظلمةٌ لأخيه من عرضه أو شيء فليتحلَّلْهُ منه قبل أن لا يكونَ دينارٌ ولا درهم، إن كان له عملٌ صالحٌ أُخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم تكن له حسنات أُخذ من سيئات صاحبه فَحُمِلَ عليه » .

فـــاتقوا الله عبـــاد الله وكُفُّـــوا أنفـــسكم عـــن الظلـــم في كـــلِّ صُـــوره، وألْجِمـوا رغبـاتكم بلجـام التقـوى، فـإذا مـا دعـت أحـدَكُم نفـسُهُ إلى الظلـم: فليتـذكر قـدرة الله تعـالى عليـه، ولـيعلم أن الله قـادرٌ عـلى حمايـة المظلـوم، وإنـما هـو ابـتلاءٌ للظـالم وللمظلـوم، لينظـر سـبحانه وتعـالى كيـف تفعلـون، فمـن الظَّلَمَـةِ مـن يُعجِّـلُ اللهُ لـه العقوبـة في الـدنيا فينـتقمُ منـه، ومـنهم مـن يُـؤخِّره ليومٍ تشخص فيه الأبصار، فلا تزول قدمُـهُ مـن عنـد ربِّـه عـز وجـل حتـى يـردَّ الحقوقَ مـن حـسناته أو مـن سـيئاتهم، ثـم يـرى سـبيله بعـد ذلـك إلى الجنـة أو النار.

لا تظلمنَّ إذا ما كنت مقتـــــدراً	فالظلمُ آخِرُهُ يأتيـــــكَ بالندمِ
نامت عُيونُك والمظلومُ منتـــبِهٌ	يدعو عليكَ وعــينُ اللهِ لم تنـمِ

أكثروا من الصلاة والسلام على خير الأنام.

خامساً: التربية الاجتماعية:

١- مقاصد النكاح في الشريعة الإسلامية.

٢- مشكلة الطلاق وآثاره الخطيرة.

٣- كيف قدَّم المسلمون صورة المرأة المسلمة للغرب؟

٤- مشكلات الإجازات الصيفية.

١- مقاصد النكاح في الشريعة الإسلامية

الخطبة الأولى:

الحمدُ لله تفرَّدَ بالربوبية والإلهيَّة، والعظمة والصمديَّةِ، خلق فسوى، وقدَّر فهدى. قضى على خلْقِهِ بالزوجية، واختص لذاته بالوحدانية، فهو الواحد الأحد، خلق آدم من طين، ثم جعل نسلَهُ من ماء مهين، فقدَّر له المقامَ في قرار مكين، فكان من ذلك تناسل البشر أجمعين، وسنَّةُ الناس من الأولينَ والآخِرين، فسبحان من خلق من الماء بشراً، فجعلَهُ نسباً وصهراً. وأشهدُ أن لا إله إلا الله، وحده لا شريكَ له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أطهَرُ الخلائقِ نسباً، وأعلاهم حسباً، وأكمَلُهُم خلْقاً وخُلُقَاً، فصلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد فاتقوا الله عباد الله، وراقبوه مراقبةَ من يعلمُ أنَّه يراه، واعلموا أنَّه لا يضر ولا ينفع، ولا يصل ولا يقطع إلا الله، فهو المتصرف في خلقه، القاضي فيهم بحكمه، لا إله إلا هو الإله الحقُ المبين.

أيها الإخوة: إنَّ الغايةَ الكبرى من خلق الإنسان: تحقيقُ العبودية الخالصة لله تعالى، فالله سبحانه وتعالى مع غناهُ عن خلقه، وافتقار خلقه إليه: إنما خلقهم للعبادة، والقيامِ بالطاعة، فالعبادة في حقِّ الإنسان مرتبطةٌ بوجوده، فمتى وُجِدَ الإنسانُ المكلَّفُ أُلزم بالعبودية لله تعالى، فلا يمكن أن تتحقَّقَ العبوديةُ لله تعالى من المكلفين إلا بوجود الإنسان، ولما كانت السُّنَّةُ في وجود الإنسان التناسل: شَرَعَ الله تعالى النكاح؛ ليكون

الوسيلةَ لإخـراج العُبَّـاد مـن المكلَّفـين، ولمـا كانـت طبيعـةُ الإنـسانِ مفتقـرةً إلى التربيــة والرعايــة الطويلــة: شرعَ المــولى عــز وجــل نظــام الأسرة، وأوقــع في قلوب الآباء الشفقةَ على الأبناء، وألهمهم محبَّتَهُم، والصبر عليهم.

ومـن هنـا أيهـا الإخـوة فـإن المقـصودَ الأكـبرَ مـن مـشروعية النكـاح: حـصول الولـد، وكثـرة النـسل، التـي تتحقـق مـن خلالهـا العبوديـة لله تعـالى، فالذريـة ثمـرة النكـاح، وغايـةُ الـزواج. وقـد أدرك الـسلف رضـوان الله تعـالى علـيهم هـذه الغايـة مـن مـشروعية النكـاح، فهـذا عمـر بـن الخطـاب رضي الله تعـالى عنـه يقـول : « لـولا الولـدُ لم أتـزوج ... إني لأطـأُ النـساء ومـا لي إلـيهن حاجـةٌ : رجـاء أن يُخْـرج الله مـن ظهـري مـن يكـاثر بـه محمـدٌ صـلى الله عليـه وسـلم الأمــم يــوم القيامــة » . وكــذلك كــان الــصحابة رضــوان الله تعــالى علـيهم – في العمـوم – يـستكثرون مـن الولـد، فقـد كـان لعـلي بـن أبي طالـب رضي الله عنــه أربعــة عــشر ذكــراً، ومــن الإنــاثِ سـبعَ عــشرةَ أنثــى، وكــان لقيس بن عاصم رضي الله عنه اثنانِ وثلاثون من الذكور.

ولقــد أدركــت كثــير مــن الــشعوب في القــديم والحــديث: الجوانــب الإيجابيــةَ لكثـرة النـسل مـن جهـة أن الإنـسان في حـدِّ ذاتـة هـو الأسـاسُ في النهــضة الحــضارية، والعنــصرُ المهــم في التفــوق الاقتــصادي، فهــذه الأمَــمُ اليهوديــة والنــصرانية– رغــم فهمهــا الأعــوج للــزواج – تــدعو بكــل قــوة إلى التناســل والتكــاثر وتحــسين النــوع، حتــى إن اليهــود ينزلــون اللعنــة بــالعزاب الــذين يعزُفُــون عــن الــزواج، والنــصارى كــانوا يوقعــون – إلى عهــد قريــب – أقـسى العقوبـات بكـلِّ مـن يقتـلُ أولاده، أو يُجْهِـضُ الحوامـل. وهـم اليـوم

تحت وطأة حقوق الإنسان، ونظام الحريات الشخصية: يكتفونَ بالحثِّ والتشجيع على التناسل، وتقديم العون والمساعدات للأسر الكبيرة، وذلك حين قلَّت عندهم فرص الإنجاب من خلال وسائل منع الحمل، حتى إن الإحصائيات الغربية تُشير بصورة مفزعة إلى تناقصِ عدد المواليد الذي يُنذر بالانقراض. وذلك في الوقت الذي يتوجَّهُ فيه الغرب، ويسعى إلى إضعاف التناسل السكاني عند الشعوب المنافسة، خاصة الشعوبَ الإسلامية، التي تعتقد من دينها أنَّ التكاثر سنةُ الأنبياء، وأن الأرض لن تضيقَ يوماً بكفاية أهلها. فجدُّوا في إقناع الشعوب بضرورة ضبط عملية الإنجاب، وأوصوا من خلال مؤتمراتهم السكانية بنقل التقنية الخاصة بإنتاج وسائل منع الحمل إلى الدول النامية؛ لتحقيق الاكتفاء الذاتي منها. في الوقت الذي لا يجدُ كثيرٌ من هذه الشعوبِ الناميةِ الماء النقي والطعامَ الكافي. فبدلاً من مساعدتهم في أن يكتفوا اقتصادياً بمواردهم الطبيعية والزراعية: يسعون إلى تقليل نسلهم، وإضعاف يقينهم بالله تعالى؛ ولهذا أفتى علماءُ الإسلام من المعاصرين بحرمة تحديد النسل مطلقاً إلا في حالات فردية خاصة، تدعو إليها الضرورة؛ وهذا حين أدركوا حبْكَةَ المؤامرة الماكرة التي يكيدها الأعداء للمسلمين، والتي يقدِّمونها من خلال مؤتمراتهم، وأبحاث صناديقهم الدولية: في صورة نصائح ثمينةٍ للشعوبِ المستضعفة.

إنَّ أزمةَ الدول النامية لا تكمنُ في كثرة النسل، وإنما تكمن في سوء التدبير، وتسلُّط الاستغلاليين والجشعين، من دهاقنةِ الاقتصاد،

وقراصنةِ الأموال، ففي الوقت الذي تُحرمُ فيه الدولُ الناميةُ من أسباب النهضة، والاكتفاء الذاتي، من خلال التحكم في الموارد الاقتصادية، ووسائل التقنية الحديثة، فتظهر بالتالي المجاعاتُ، والأزماتُ الاقتصاديةُ الحادة، في هذا الوقت الحرج: تقذف بعضُ الدولِ المتقدمة فائض إنتاجها الغذائي في البحار خوفاً من انخفاض الأسعار، أو ربما قدَّمتْهُ لبعض الدول الفقيرة في صورة مساعدات غذائية مشروطة، تُملي من خلالها على الدول المحتاجة شروطاً تتنازلُ من خلالها عن بعض مبادئها ومعتقداتها، وتُغيِّر من بعض أنظمتها، وأساليب حياتها، وتفتح البلاد لصورٍ جديدة من الاستعمار الفكري، والتسلُّط الاقتصادي، فاعرفوا أيها الإخوة الحقيقة من وراء الدعاية لتحديد النسل.

وأما المقصد الثاني من مقاصد النكاح في نظام الاجتماع الإسلامي: فهو تصريفُ الشهوةِ الجنسية بالطريق المشروع، ضمن نظام الزواج، أو التسري، فإنَّ الأصلَ من مبدأ تركيب الشهوة هو التواصلُ الجنسي، الذي ينعقد به الولدُ في رحم المرأةِ، ولولا هذا الدافع الجنسيُّ الملح، الذي بثَّه الله تعالى بين الجنسين: كيف يمكنُ أن يحصلَ اللقاحُ بين رجل وامرأة؟ ومن هنا نُدرِكُ أيها الإخوة أن تفريغَ الشهوةِ ليس مقصوداً في ذاته، وإنما هو وسيلةٌ لاقتناص الولد، وحصول النسل. فالشخص الذي يستمتعُ جنسياً، دون رغبته في حصول النسل فإنه كالعامل الذي يأخذُ أُجرةً بغيرِ عمل. ولئن كان مبدأ تفريغ الشهوة مقصوداً للشارع الحكيم من جهة ضبط الشهوة فإنه يأتي تبعاً للمقصد الأول، ووسيلةً له؛

ولهذا جاء الإسلامُ بتحريم كلِّ صور التجنِّي على مبعثِ الشهوةِ الجنسيةِ، سواءً كان ذلك بقطعِ سببها بالدواء، أو بتر أعضائها بالاعتداء. سواء كان ذلك على النفسِ أو على غيرها، وقد ردَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم على بعض الصحابة رغبتهم في التبتل والإخصاء، وأعلن أن من رَغِبَ عن سنته فليس منه. وكان عليه الصلاة والسلام يسلُكُ بالعزاب نهجينِ لعلاجِ مشكلةِ الشهوةِ، فالعاجزون عن النكاح كان يأمُرُهم بالصيام والعبادة، وأما القادرون منهم على مؤونة النكاح فكان يأمُرُهم بالزواج، وينهاهم عن العزوبة، ولا يَكِلُ أحداً إلى صلاحه، فكان عليه الصلاة والسلام يقول: « ما للشيطان من سلاحٍ أبلغَ في الصالحين من النساء، إلا المتزوجون، أُولئك المطهَّرون المبرؤون من الخنا » . وصدق عليه الصلاة والسلام فقد دلَّ الواقعُ المعاصرُ أنَّ أكثرَ الانحرافاتِ السلوكية، وأغلبَ الوقائعَ الإجراميةِ من نصيب الشبابِ العُزَّاب. وفي هذا يقول التابعيُّ الجليل أبو مسلم الخولاني رحمه الله ناصحاً عشيرته: « يا معشر خولان زوِّجوا نساءَكم وإماءَكم، فإنَّ النعظَ – يعني الشهوة – أمر عارم – يعني شديد – فأعدوا له عدةً، واعلموا أنه ليس لمنعظٍ أُذن » ، يعني ليس لصاحب الشهوةِ المتوقدةِ إدراكٌ يفرِّقُ به بين الخير والشر، حين تُسيطِرُ عليه الشهوةُ، فتُفقدُهُ صوابه. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿**وَأَنكِحُوا الأَيَامَى مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاء يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ**﴾ . أقول هذا القول وأستغفر الله تعالى لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمدُ لله الذي شرعَ النكاحَ، وحرَّم السفاحَ، أحمده وأستعينه وأستغفره، وأعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. أما بعد فإنَّ مقاصدَ النكاح من حصول السَّكن، وترويح النفس، وتدبير المنزل، والتعاون ونحوها من المقاصد فإنها جميعاً تأتي تبعاً للمقصد الأول وهو حصولُ الولد، واستمرارُ النسل. وأما ما ابتدعه بعضُ الناسِ من المغالاةِ في المهورِ، والتوسع في الولائم، والإسراف في العزائم، وما يصاحبُ ذلك من جلب المطربين والمطربات، وتمكينهم من آلاتِ اللهو والمعازف، وما قد يتخلَّلُ ذلك من الاختلاطِ بين الرجالِ والنساءِ، ودخولِ بعض الرجالِ على النساء، وما قد يحصلُ من البعضِ من تضييع صلاة الفجر ونحوها من الانحرافات، كلُّ ذلك يُعد في الشريعة منكراً من المنكرات، لا دَخْلَ لمقاصد النكاح فيها، فليست منها في شيء، وإنما هي أغْلالٌ وقيودٌ تَسَرْبلَ كثيرٌ من الناس بها، حتى شبَّ عليها الصغير، وشابَ عليها الكبير. حتى إنك لتجدُ الرجلَ صاحبَ الدخلِ المتواضع : يتوسعُ في ذلك وكأنه أميرٌ أو وزير، لا همَّ له إلا أن يُقلِّدَ ويُرائي، حتى إن بعضهم ليبلغُ أولادُهُ الحُلُمَ، وهو بعدُ لم يُسدِّدْ ديونَ عرسِهِ بأمِّهم. فبدلاً من أن يكونَ المهرُ والوليمةُ وتأسيسُ المنزل وسائلَ تعين على النكاح: فإذا بها عوائقُ تمنع منه. والنبي صلى الله عليه وسلم قد زَوَّجَ امرأة على نعلين، وَزَوَّجَ أخرى بالقرآن، وأجاز إحداهن بلا صداق، وكان يقول فيما رُوي عنه: «خيرهن

أيسَرُهُن صداقاً »، وكان يُجيز الوليمة بما تيسَّر من الطعام، ويُدخلُ العروسَ على ما تيسَّر من الأثاث، فقد دخلت عائشة رضي الله عنها عليه وليس في البيت إلا قدحٌ من لبنٍ ومتاعٌ لا يساوي خمسين درهماً، وأدخلَ ابنته فاطمة رضي الله عنها بجلدِ كبشٍ، ومتاعٍ قليل، ولم يكن لعلي رضي الله عنه بيتٌ يسكُنُهُ، حتى أعاره بعض الصحابة داره.

فاتقوا الله عباد الله، واعرفوا للدين حقَّهُ، وللنكاحِ مقاصدهُ، إيَّاكم والغلو، فإنما أهلك الناسَ الغلوُّ.

٤- مشكلة الطلاق وآثاره الخطيرة

الخطبة الأولى:

الحمدُ لله الذي خلقَ الزوجينِ الذَّكر والأنثى، وجعلَ بينهما مودةً ورحمة، وجعل ذلك من آياته العظيمة، الدالةِ على كمال عظمته وقدرته، أحمده وأستعينه وأستغفره، وأعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هاديَ له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كلِّه، ولو كره المشركون. أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله، وارجو اللهَ واليومَ الآخرَ، ولا تعثوا في الأرض مفسدين، ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللَّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا** ﴾.

لقد امتنَّ الله عز وجل على عباده المؤمنين، بأن خلقَ لهم من أنفسِهم أزواجاً ليسكنوا إليها، وجعلَ بينهم من المحبة والعطف والمودة، ما تدومُ به العشرةُ، وينقضي به الوطرُ، ويحصلُ به الولدُ، ويبقى النَّوعُ الإنساني على هذه الأرض، يخلفُ بعضهُم بعضاً، وفي هذا يقول الله عز وجل: ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾.

وقد وصف الله عز وجل هذه الألفةَ، والمودةَ التي تحصلُ بين

الـزوجين، ومـا ينـشأُ عـن هـذه المـشاعرِ الفياضـةِ مـن وحـدةِ الأرواحِ، وكـمال الامتـزاج البـدني والعـاطفي، وصـفها عـز وجـل باللبـاس، فقـال سـبحانه وتعالى: ﴿ **هُـنَّ لِبَـاسٌ لَّكُـمْ وَأَنـتُمْ لِبَـاسٌ لَّـهُنَّ** ﴾ ، إن هـذا مـن أبْلـغ الوصـف لحقيقـةِ الرابطـةِ الزوجيـةِ، فاللبـاس مـن صـفته أنـه يقـي صـاحبَهُ المكـروهَ مـن برد وحر، ويستُرُهُ عن أعينِ ا لناسِ، كما أنه لا يصلح لغير صاحبه.

أيهـا الإخـوة الكـرام: إن الإنـسان كثـيراً مـا يغفُـلُ عـن الـنعمِ، والبركـاتِ التـي يتفـضلُ الله بهـا عـلى عبـاده، ولا يتفكَّـرُ فيهـا، فـسبحان مـن خلـق كـلاً مـن الـزوجين موافقـاً للآخـر، ملبيـاً لحاجاتـه الجـسمية والنفـسية والعقليـة، وسـبحان مـن أودعَ فـيهما هـذه العواطـفَ والمـشاعر، وجعـل هـذه الـصلة بـين الـزوجين سـكناً للـنفسِ والأعـصاب، وراحـةً للجـسم والقلـب، واستقراراً للحياة والمعاش، وأُنْساً للأرواح والضمائر.

نعـم إنهـا بحـقٍ مـن أعظـمِ الـنعمِ والفـضائلِ الربانيـةِ عـلى عبـاده، ولكـنَّ هـذه النعمـة الربانيـة، والمنحـةَ الإلهيـة، لا يمكـن أن تُـؤتي ثمارَهَـا مـن الأُنـس والـسعادة، والمـودةِ والرحمـة، إلا إذا انـتهجَ كـلٌ مـن الـزوجين المـنهج الذي رَسَـمَهُ هـذا الـدينُ للعلاقـاتِ الزوجيـة، فقـام كـل مـنهما بواجباتـه تجـاه الآخر. وهنـا فقـط تـنعُمُ الأسرةُ بالـسعادة، والطمأنينـة، ويـنشأُ في هـذه الألفـةِ الذريةُ الطيبةُ بعيداً عن العقد، والصدمات النفسية المؤلمة.

أيها المـسلمون: إنَّ هـذه النعمـةَ التـي تقـدَّم وصـفُها يمكِـنُ أن تنقلـب نقمـــةً وجحـــيماً لا يُطـــاق، فيعـــاني الزوجـــان، آلام الـــصدود والحرمـــان، ووحـــشةَ القلـــوبِ والأرواح، ونفـــرةَ النفـــوس والأبـــدانِ، وتبـــدأ الأسرةُ في

خوضِ معاركَ من الصراعات والخلافات، فالكُلُّ يُطالبُ بحقوقه ويُعرضُ عن واجباته، فالزوجُ يُعرضُ عن زوجته، ويُسمعُهَا ما تكره، وهي الأخرى تهجرُ فِراشه، وترد عليه بقسوة، ولا تبالي بغضبه.

إنَّ هذه الآلامَ والأحزانَ، يمكنُ أن تكونَ نَتَاجَ إعراض الزوجين أو أحدِهما عن نهج هدي القرآنِ والسنةِ، الذي يضبط العلاقاتِ الأسرية، وَفْقَ منهجه العظيم المحْكم، الذي تولى الله عزَّ وجل وضعه لعباده المؤمنين، فجعله قرآناً يُتلى إلى يوم القيامة.

وإن المتأمل في القرآن الكريم يجدُ أنَّ اللهَ عز وجل قد فصَّلَ في أحكام الأسرة، والعلاقات الزوجية تفصيلاً دقيقاً لم يفصِّلْهُ في الصلاة والزكاة والصيام. وما ذلك إلا ليعلمَ كلٌ من الزوجين أن الذي يحكم بينهما، ويضعُ ضوابطَ نظام الحياة الزوجية إنما هو الله جل جلاله. فلا يحق لأحد الزوجين الإعراضُ عن أمر الله سبحانه وتعالى بأي حجة من الحجج، قال الله عز وجل: ﴿ **وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِينًا** ﴾.

أيها الإخوة: إنَّ دوامَ الألفةِ والمحبةِ بين الزوجين، واستقرارَ الأسرة في كل حين، قد لا يكون من طبيعة الحياة الزوجية، فالخلاف والنزاع، لابد أن يحصلَ بين الزوجين، ثم تعودُ الحياةُ بعد ذلك إلى مجراها الطبيعي، ولعل هذا مما يُلطِّفُ الحياة الزوجية، ويجدد روحَهَا.

ولكـنَّ الخطـرَ، المخـالِفَ للطبيعـة الأسريـة المـستقرة، أن تـدومَ هـذه الخلافـاتُ، وتـزدادُ هـذه المنازعـات، وتكثـر الاحتكاكـات بـين العـشيرْين حتـى تكـون سـمة الأسرة، وطبيعتهـا. وهنـا تكـونُ الأسرةُ قـد خرجـت عـن كونها أُنْساً، واستقراراً ورحمة، وأصبحت بؤساً، وشقاءً وعنتاً.

أيهـا الإخـوة: قـد يتحمـلُ الرجـلُ، وقـد تتحمـل المـرأةُ هـذه المعانـاةَ الطويلة، ويعيش كـلٌ مـنهما يكابـدُ أحزانَـهُ، وآلامَـهُ، بعيـداً عـن علـمِ الأولاد، فيتـصنَّعُ كـلٌ مـنهما للآخـر، حتـى لا يتـأثرَ الأولادُ بمـشاكلهما. ولكـن إذا اسـتمر الوضـعُ عـلى هـذا الحـال، ودامَ النـزاعُ بيـنهما، فإنـه لا يلبـث طـويلاً حتـى يظهـرَ لـلأولاد مـن وقـتٍ لآخـرَ في صـورة شـتائم، أو إعـراض، أو هجـر، أو تـركٍ للمنـزل. وربـما امتـدَّ بهـما الخـلاف والنـزاع، فأخـذ كـلٌّ واحـدٍ مـنهما يُعـبِّرُ عـن آلامـه وأحزانـه وشـكواه أمـام الأطفـال، فيكـشفُ كـلٌّ مـنهما عيوبَ صـاحبه، وربـما سـاقَ الأبَ شـدةُ الخـلافِ أن يتنـاولَ زوجتـه بالـضرب أمـامَ أولادهـا، وهنـا يكـونُ الأبُ قـد عـرَّضَ أولادهُ إلى خطـرٍ عظـيم، وصـدمةٍ نفـسيةٍ قويـة، قـد تـسوقُ بعـضَهم إلى الانـزواء، وفقـدان الثقـة بالنـاس، والإعـراض عـن المجتمـع، وربـما الهـروبِ مـن الأسرة، والانـضمامِ إلى عـصاباتِ الأحـداث، فقـد ثبـت أن أكثـرَ الأولادِ المـشاغبين، والـذين يقعـون تحـت طائلـةِ العقـاب، يـأتون مـن أسرٍ مفكَّكَـةٍ يكثـرُ فيهـا النـزاعُ بـين الزوجين.

وقد يستمر الـشقاق بيـنهما حتـى ينتهـي بـالطلاق، فيلقـي الرجـلُ عـلى زوجتـه وهـو غاضـب: الطـلاق بالثلاثـة، أو ربـما طلقهـا ألـفَ طلقـةٍ، دون علمٍ، أو روية.

إنَّ الطلاقَ أيها الإخوة ليس هو دائماً العلاجَ الصحيحَ للمشكلات الأسرية، بل إنَّ الصبرَ، والحكمةَ، وأخذَ الأمور بالروية، والتغافل عن الزلات، والتنازل بين العشيرَيْن، هو الحلُّ الصحيح. فقد يكون قرارُ الطلاق، أكثرَ شراً من بقاء الحياة الأسرية مع النزاع، وقد يكون هو الحلَّ الصحيح للأسرة المفكَّكَةِ المملوءة بالمشكلات، يقول الله عز وجل: ﴿ **وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا** ﴾، ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «لا يفرِك مؤمنٌ مؤمنةً (أي لا يبغض مؤمنٌ مؤمنةً) إن كره منها خُلُقاً رضيَ منها آخر»، فلابد أيها الإخوة، أن يكون في الزوجة شيءٌ من خيرٍ يقابلُ ما فيها من سوء. ولعل الله عز وجل أن يرزقَ منها ولداً صالحاً يعوِّضُ الأبَ سوء خلقِ الأم؛ فقد رُويَ أن رجلاً كان له ولدٌ كثيرُ البرِّ به، فعجبَ الناسُ من ذلك، وسألوه عن سبب كثرة برِّ ذلك الولد به، فقال: لقد صبرتُ على سوءِ خلقِ أمِّهِ سنينَ طويلة، فرزقنيَ اللهُ منها، وعوَّضني هذا الولدَ الصالح.

أيها الإخوة الكرام: إنَّ أبغضَ الحلال عند الله الطلاق، وما أحلَّ الله شيئاً أبغضَ إليه من الطلاق، في حين أن أحبَّ شيء إلى إبليس عليه لعنة الله هو الطلاق، فإن أحبَّ أعوانهِ إليه، وأقربَهُم منه منزلةً، من ينجحُ في التفريق بين العشيرَيْن، فعلى الزوج أن لا يلجأَ إلى الطلاق إلا بعد أن ييأسَ من إمكانية دوامِ الحياةِ الأسريةِ، وبعد أن يأخذَ بالأسباب الصحيحةِ للعلاجِ، وأهمُها أن يقوم هو بواجبه تجاه زوجته وأسرته، وأن

يكـون قـدوةً صـالحةً لهـم. وبعـد ذلـك يطالـبُ بحقوقـه، فـإن أبـت المـرأةُ إلا العصيان، فعليـه بـالوعظ والتـذكير بـالله، والتخويـف مـن غـضبه، فـإن عَجَـزَ فعليـه بـالهجر، فـلا يجامِعُهـا، ولا يـضاحِكُها، ويُعـرِضُ عنهـا، عـلى أن يكـون هجْرُهُ في البيـت. فـإن أبـت فعليـه أن يـضربَهَا ضرْبـاً غـيرَ مـبرِّحٍ، إن كـان مـن النوع الذي يضرب، وإلا أشعرَ أهلها بذلك ليتدخَّلوا بالإصلاح.

فـإن عَجَـزَ مـع كـلِّ ذلـك، ونَفِـدَ صـبرُهُ ألقـى عـلى زوجتـه طلقـةً واحـدةً، في طهـرٍ لمـا يُجامِعْهـا فيـه أو أن تكـون حـاملاً، ويُـشْـهدُ عـلى ذلـك. وعلى الرجـل أن لا يُخرجها مـن البيـت، ولا يجـوزُ لهـا أن تخـرجَ، بـل تقـضي عـدتها في بيـت الـزوج فهـي لا تـزالُ زوجتـه، يرثهـا وترثُـهُ، ولـه حـقُ إرجـاعهـا دون إذنهـا، أو إذن وليِّهـا، مـع الإشـهاد عـلى ذلـك. يقـول الله عـز وجـل: ﴿**يَـا أَيُّهَـا النَّبِـيُّ إِذَا طَلَّقْـتُمُ النِّسَاء فَطَلِّقُـوهُنَّ لِعِدَّتِـهِنَّ وَأَحْـصُـوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُـوا اللَّـهَ رَبَّكُـمْ لا تُخْرِجُـوهُنَّ مِـن بُيُوتِـهِنَّ وَلا يَخْـرُجْنَ إِلاَّ أَن يَـأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّـنَةٍ وَتِلْكَ حُـدُودُ اللَّـهِ وَمَـن يَتَعَـدَّ حُـدُودَ اللَّـهِ فَقَـدْ ظَلَـمَ نَفْـسَهُ لا تَـدْرِي لَعَـلَّ اللَّـهَ يُحْدِثُ بَعْـدَ ذَلِـكَ أَمْـرًا**﴾ . إن الحكمـة في عـدم خـروج المـرأة مـن بيـت زوجهـا بعـدَ الطـلاقِ الرجعـي : احـتمالُ رجـوع الـزوجِ إلى صـوابه، وندمِـهِ عـلى الطـلاق، فيُرجِـعُ زوجتَـهُ وتعـودُ الحيـاةُ إلى الأسرة مـن جديـد. أمـا مـا اعتـاده أكثـرُ النـساء عنـدما تـسمعُ بطلاقهـا لا ترفـعُ إلى فمهـا كوبَ ماءٍ إلا في بيـت أهلهـا، فـإن هـذا مـن الخطـأ الواضـح، بـل عليهـا البقـاء في بيت الزوجية تلبسُ، وتتزيَّنُ لزوجها لعلهُ أن يراجِعَهَا.

أيها الإخوة الكرام: هذا هو الطلاقُ في الإسلام، وليسَ هو التلاعبُ الذي يفعَلُهُ بعضُ الناس، فيطلقُ بالثلاثةِ، ويطلقُ في أثناء الحيض، ويُطلق في طهر جامعها فيه، وربما يحلفُ بالطلاق، فقد رُويَ أن رجلاً طلَّق زوجته بالثلاثة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم فقال عليه الصلاة والسلام: « أيُلعب بكتاب الله وأنا بين أظهُرِكُم ».

أقول هذا القول وأستغفر الله العظيم لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمدُ لله وكفى والصلاة والسلام على النبي الكريم المجْتبى، وعلى آله وصحبه أجمعين، أيها المسلمون: لقد وصفَ الرسولُ صلى الله عليه وسلم طبيعةَ تكوينِ المرأةِ النفسي، وأنه من الصعوبة بمكان استقامَتُها على منهج واحد في الحياة، فقال عليه الصلاة والسلام: « إنما المرأةُ كالضلع، إن أقمتها كسرتَها، وإن استمتعتَ بها استمتعت بها وفيها عوج »، وفي رواية أخرى قال عليه الصلاة والسلام: « إنَّ المرأةَ خُلقتْ من ضلع، لن تستقيمَ لكَ على طريقة، فإن استمتعت بها استمتعت وفيها عوج، وإن ذهبت تُقيمُها كسرتها، وكسرُها طلاقُها ».

إنَّ إحاطةَ الرجل، ومعرفته بطبيعة النساء، وما يجري عليهنَّ من أمور الحيض، والحمل، والنفاس، وطبيعة تكوينهنَّ النفسي: يجعلُ الرجلَ أكثرَ اتزاناً، وصبراً في تعامله معهن، فهن لا يستقمن على وتيرةٍ واحدةٍ،

كما أن عواطفهُنَّ، ومشاعرهُنَّ تتقلَّبُ بصورة كبيرة وسريعة، كما أن بلوغهنَّ منزلة العقل الكامل، وحسنَ التدبير نادرٌ جداً، فقد رُويَ عنه عليه الصلاة والسلام أنه كَمُلَ من الرجال كثير، ولم يكمُل من النساء إلا أربع.

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعاني في بعض الأحيان من زوجاتِهِ وهنَّ الطاهراتُ الطيبات، حتى كان عليه الصلاة والسلام يضطرُّ إلى هجرهن، فقد هجرهُنَّ شهراً كاملاً، وهَجَرَ بعضهنَّ أربعينَ يوماً، وهجرَ زينبَ بنتَ جحشٍ ثلاثةَ أشهر. وربما غضبت عليه إحداهنَّ فيصبرُ عليها، وربما هجرتهُ إحداهن فيصبرُ عليها. وقد روت السيدةُ عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها مرة: « إني لأعلمُ إذا كنتِ عني راضية، وإذا كنتِ عليَّ غضبى، قالت: فقلت: ومن أينَ تعرفُ ذلك ؟ قال: أمَّا إذا كنتِ عني راضية، فإنك تقولين: لا وربِّ محمد، وإذا كنت غضبى قلت: لا وربِّ إبراهيم، قالت: نعم يا رسول الله، والله ما أهجرُ إلا اسمك » .

أيها الإخوة: إذا كان هذا وضْعَ بيتِ النبوة، ووضعَ زوجاتِهِ الكريمات، فكيف بغيرهن، فلابد من مراعاةِ هذه الأحوال، وأخذِ الأمور بالروية، والمداراة، والصبر، فإن الله وَعَدَ الصابرين بالأجرِ الكريم والثوابِ يومَ القيامة، ﴿ **إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ** ﴾ .

ومن أعجب ما يُروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما لاقاه من بعضِ نسائهِ، أنه كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوجته عائشة رضي الله عنها خلاف، فأدخلا بينهما أبا بكر رضي الله

عنـه، فقـال رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم لعائـشة تتكلَّمـينَ أو أتكلَّـمُ؟ فقالت: بل تكلَّم أنت، ولا تقـل إلا حقـاً، فلطمهـا أبـو بكـرٍ حتـى دَمِـيَ فوهـا، وقال: يـا عـدوةَ نفسها، أوَ يقـولُ غـيرَ الحـق ؟ فاسـتجارت برسـول الله صـلى الله عليه وسلم وقعـدت خلـف ظهـره، فقـال لـه النبـي صـلى الله عليـه وسـلم: « لم ندْعُك لهذا، ولا أردنا منك هذا ».

لقـد ضربَ رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم المثـلَ الأعـلى لـلأزواج الـذين يرغبـون في إقامـة حيـاةٍ أسريـةٍ سـعيدةٍ، فـما أعجـبَ صـبرَهُ، وحكمتـهُ، صلى الله عليه وعلى آله وأزواجه صلاةً دائمة، وسلَّم تسليماً كثيراً.

ربنـا هـب لنـا مـن أزواجِنَـا وذريَّاتِنـا قـرة أعـين، واجعلنـا للمتقـين إمامـاً. اللهـم أصـلح ذات بيننـا، وألِّـف بـين قلوبنـا، واهـدنا سـبل الـسلام، وأخرجنا من الظلمات إلى النور، برحمتِكَ يا أرحم الراحمين.

اللهـم إنـا نعـوذ بـك مـن زوال نعمتـك، وتحـوُّلِ عافيتـك، وفجـاءَةِ نقمتـك، وجميـع سـخطك، اللهـم آمنـا في أوطاننـا وأصـلح أئمتنـا وولاة أمورنـا، واجعـل اللهـم ولايتنـا في مـن خافـك، واتقـاك، واتبـع هـداك طالبـاً رضاك يا ربَّ العالمين.

عبـاد الله إن الله يـأمر بالعـدل والإحـسان وإيتـاء ذي القربـى وينهـى عـن الفحـشاء والمنكـر والبغـي، يعظُكُـم لعلكـم تـذكرون، فـاذكروا الله يذكركم واشـكروه عـلى نعمـه الكثـيرة يـزدكم، ولـذكر الله أكـبر، والله يعلـمُ ما تصنعون.

٣- كيف قدم المسلمون صورة المرأة المسلمة للغرب؟

الخطبة الأولى:

إنَّ الحمدَ لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللَّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

على الرغمِ من انفتاحِ المسلمينَ على الثقافةِ الغربيةِ، وتأثُّرِهم بكثير من معطياتها الفكريةِ والسلوكيةِ: تبقى قضيةُ المرأةِ في بؤرة الصراع الثقافي بين عالمِ الشرقِ وعالمِ الغربِ، وهي نقطة الفصل بين الثقافتين العربية والغربية، وستبقى كذلك ما لم تنسلخ المرأةُ المسلمةُ عن دينها، وآدابها الشرعية، وأخلاقها الاجتماعية.

ولقد أدركَ الغربيون أنه ما لم تُحل قضيةُ المرأةِ المسلمةِ، من خلال تغيير

مفاهيمها، وتبديل أفكارها، وخلْخَلَةِ ثوابتها: فإن نجاح الغرب في تحقيق مآربه في العالمِ الإسلامي سوفَ يكونُ ضئيلاً، وستبقى جهودُهُ متعثِّرةً حتى تلقى المفاهيم الغربية مكانها في شخصية المرأة المسلمة، وتجدُ خططُهُ التطويريةُ موقعها في المجتمعات الإسلامية.

ولقد جنَّد الغربُ طاقاتِهِ السياسيةَ والاقتصاديةَ والإعلاميةَ منذ زمن طويل للوصول بالمجتمعات الإسلامية إلى مرحلة التقبُّلِ الفكري، والخضوعِ الاقتصادي، والتبعيةِ السياسية. وعلى الرغم من تعثُّر كثير من الجهود الغربية في تحقيق أهدافها بكفاءةٍ كافيةٍ في العالم الإسلامي: إلا أن جزءاً غيرَ يسير من جهوده حققَ أهدافَهُ في العديد من ميادينِ الحياةِ الإسلاميةِ المعاصرة. ولقد لحق المرأة المسلمة النصيبُ الأوفرُ من رياح التغيير والتبديل والتغريب، فلم يعد غريباً في بلاد المسلمين مشاهدةُ: المرأةِ المسلمةِ: الراقصةِ، والمغنيةِ، والممثلةِ، وعارضةِ الأزياءِ، وخادمةِ الفندقِ، وسكرتيرةِ المدير، وخلفية الإعلانات التجارية، فإذا بها صورةٌ مكررةٌ عن المرأة الغربية المضطهدة، لا فرق بينهما إلا في الأسماء والألوان.

لقد أخفَقَ المسلمونَ المعاصرون في تقديم نموذج المرأة المسلمة لعالم الغرب، حين قدَّموا للغرب صورةً مكررة للمرأة الغربية، لا جديد فيها، لقد عَجَزَ المسلمون أن يقدِّموا صورةَ الفتاةِ المسلمة البارة بوالديها، وصورة الأمِّ الصالحةِ الحنونِ على أولادها، وصورةَ الزوجة الناصحةِ الطائعةِ لزوجها، وصورة الجدَّة المبجَّلة في بيتها بين أولادِها وأحفادِها.

لقد عَجَزَ المسلمونَ أن يقدِّموا صورةَ المعلمةِ المسلمةِ المربيةِ، وصورة العالمةِ المتخصِّصَةِ، وصورةَ الطبيبة الناجحة، وصورة الأخصَّائية الاجتماعية المُصلحة. لقد أخفقنا إخفاقاً شديداً في إبراز نموذج تعليمنا الفريد، حين تمكَّنَ كثيرٌ من الفتيات السعوديات من بلوغ أعلى درجاتِ التعليم دونَ أن تضطر لخلع حجابِهَا، أو الاختلاطِ بالرجال، لقد عجزنا عن إبراز النموذج المثالي في أسلوب تشغيل النساء، بعيداً عن محكَّات الرجال، مراعينَ في ذلك طبيعتَهُنَّ الفطرية، وحاجاتِهِنَّ الاجتماعية.

أيها المسلمون : ما الخدمة التي نقدِّمُها للغرب حين نقدِّم له صورةَ المرأةِ المسلمة الكابتن، التي تستطيع أن تقود الطائرة، في الوقت الذي لم يسمح فيه الغرب حتى الآن لامرأة تقودُ طائرةَ رُكابٍ مدنية ؟.

وما الخدمة التي نقدِّمُها للغرب حين نقدم له الفتاةَ المسلمةَ المتسابقة المتحديةِ للرجال بسيارتها في مضمار سباق السيارات، في الوقت الذي لم تتمكن فيه المرأةُ الغربيةُ المتسابقة حتى الآن من الفوز على الرجال ؟.

وما الخدمة التي نقدِّمُها للغرب حين نقدِّم له المرأةَ السياسيةَ، ورئيسة الدولة، في الوقت الذي تتأخر فيه المرأة الغربية عن المناصب السياسية العليا، إلا شيئاً نادراً يسيراً، فهذه الولاياتُ المتحدةُ الأمريكية، لم تترشح فيها امرأة لقيادة البلاد، فضلاً عن أن تُختار للرئاسة والقيادة الكبرى.

وما الخدمة أيها المسلمون التي نقـدِّمُها للغـرب حين نعـرض لـه عـلى شاشـاتنا، وصـفحات مجلاتنـا صـورَ فتياتِنَـا المسلمات، متبرجـات بـزينتهن، في الوقـت الـذي يعـرِضُ فيـه الغـربُ عـلى شاشـاته ومجلاتـه أفحـشَ وأخبـثَ صورٍ للمرأة الغربية.

لقــد أثبــت الواقــع عجْزَنَــا الــشديدَ في تقــديم شيء جديــدٍ لعــالم الغـرب، لم نـتمكَّن للأسـف إلا مـن تقـديم الـصورةِ المكـررة التـي مقتهـا الغـرب، وملَّ مـن مـشاهدتها في مجتمعـه الخـاص. إن ممـا ينبغـي معرفتُـهُ: أن الغـربيين يحتقـرونَ المقلِّـد الـذي لا يحـترمُ ثقافتـه وتقاليـده الخاصـة، في الوقـت الـذي يحـترمُ المعتـزَّ بثقافتـه ويقـدِّرُهُ، حتـى وإن كـان مخالفـاً، أو محاربـاً لـه. إنَّ عـالمَ الغـربِ في انتظـار المُخلِّـصِ الناصـح الـذي يبـصِّرُهُ بعيوبـه، ويُرشِـدُهُ إلى طريـق الخـلاص مـن التيـهِ الفكـري، والـضيقِ الروحـي، والقلـقِ النفـسي، الــذي اعتــصرَهُم، وبــدَّدَ طاقــاتِهم الفكريــةَ والروحيــة في دروب مــن الـضلالاتِ الكنـســية، والوثنيـةِ، والإلحاديــــة. إن عـالم الغـرب ينتظـر منَّـا – معــشر المــسلمين – الجديــد النــافع في العقيــدة والأخــلاقِ والاقتــصادِ والسياسةِ، فماذا قـدَّمنا لـه؟ كيـف سـوف نلقـى الله تعـالى وقـد فرَّطنـا في تبليغ رسالته للناس، وإقامةِ الحجَّةِ عليهم؟ بـل كيـف سـوف نلقـى ربنـا عـزَّ وجـل وقـد صـددنا النـاسَ عـن سـبيله بتناقـضِنَا في أخلاقِنَـا وسـلوكِنَا، حـين قـدَّمنا الإسلام العظيمَ في ثوبٍ مشَّوهٍ من عفَنِ ممارساتِنَا، وقبيحِ أفعالِنَا.

أعــوذ بـالله مـن الـشيـطان الرجيـــم، بـسم الله الـرحمن الـرحيم:
﴿ **سَبَّحَ لِلَّـــهِ مَـا فِي الـسَّمَاوَاتِ وَمَـا فِي الأَرْضِ وَهُـوَ الْعَزِيـزُ الْـحَكِيمُ * يَـا أَيُّـهَـا**

الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُون كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ ﴾.

أقول ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه.

الخطبة الثانية:

الحمد لله والصلاة على سيِّدنِا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد فإنَّ خير الكلام كلام الله ، وخير الهدي هدي محمدٍ صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكلَّ محدثةٍ بدعة، وكلَّ بدعة ضلالة، وكلَّ ضلالة في النار .

أيها المسلمون : إنَّ أفضلَ ما نقدِّمُهُ للغرب هو الصورةُ الصادقةُ عن دينِنَا، بجمالها وكمالِها، فإنَّ الغربَ لا ينقصُهُ شيءٌ من زخرف الحياة الدنيا وبهرَجِهَا، لا ينقصه تبرُّجُ النساء، ولا عرضُ مفاتنهن، ولا ينقُصُهُ مسالكُ بعضهن الصبيانية، أو اندفاعهن الاسترجالي، وإنما ينقصه نموذج الشخصية المسلمة للرجل والمرأة، ينقُصُهُ الإيمانُ الذي تسكنُ به النفس، ويطمئنُ له القلب، تنقُصُهُ الأخلاقُ التي ترتفعُ به عن الرذائل، وسفاسفِ الأمور، وترتقي به في درجاتِ الكمال الإنساني، ومراتبِ السموِّ الاجتماعي.

أيها المسلمون : صورتان واقعيَّتان لفتاتينِ مسلمتينِ، إحداهُمَا عربية، والأخرى أمريكية، فأما الفتاةُ العربيةُ فقد كانت متحجِّبةً حين تقدمت إلى إحدى الجامعات العربية للدراسة، فاشترطوا عليها نزع

حجابهـا، فبـادرت للأسـف إلى نزعـه لتـدرُسَ في الجامعـة، متذرِّعَـةً بأنهـا مضطرة معـذورة، وأمـا الفتـاةُ الأمريكيـةُ، فقـد لامـسَ الإيـمانُ شـغاف قلبهـا، ومـلأَ جوانـبَ روحِهَـا، فلـم تتمالـك نفـسَهَا حتـى أعلنـت إسـلامَهَا، ولبسـت حِجَابَهَـا، معتـزةً بـدينها، فخيَّرهـا صـاحبُ العمـلِ بـين حِجَابِهَـا، وبـين وظيفتها، ولم يكن لها مـوردٌ غـيرَ هـذه الوظيفـة، ولـيس لهـا في مـدينتها أقربـاء، سوى ابنتها الصغيرة التـي تعـيشُ معهـا، ومـع ذلـك، ورغـم اضـطرارها: عـلا الإيمان في قلبهـا، وسـمت الأخـلاق في نفـسِها، وأبـتْ نـزعَ حجابهـا، فطُـردتْ مـن عملهـا، ومكثـت أيامـاً بـلا مـورد، حتـى فَنِـيَ زادُهـا، وأشرفـت عـلى الهـلاك، ومـع ذلـك لم تُبْلِـغْ أحـداً مـن الجاليـة المـسلمة في مـدينتها، حتـى تفطَّنـت إحـدى النـساءِ المـسلماتِ إلى حالهـا بطريـق الـصُّدفِة، حـينَ دخلـت مطبخ شِقَّتها فلم تجد فيه شيئاً يأكُلُهُ ذو كبد.

إنهـا صـورتان متغايرتـان متناقـضتان لثبـات الأخـلاق ورُسُـوخِها، ولهشاشتها وأُفُولها.

إنـه درسٌ في الثبـاتِ عـلى المبـادئ والقـيم، يأتينـا مـن أقـصى الغـربِ، ليقولَ لنا: لو عرفنا الإسلامَ لطبَّقناه أفضلَ منكم !!

٤- مشكلات الإجازات الصيفية

الخطبة الأولى:

الحمدُ لله الذي جعلَ الأُنسَ في ذكْره، والخيرَ في أمره، والفلاحَ في نهجه، أحمده على نعمه الكثيرة، وآلائه الجسيمة، وكرَمِهِ العظيم، ما سَأَلَهُ مُستغيثٌ إلا أغاثه، ولا استجارَ به خائفٌ إلا أجاره، الخيرُ في يديه، والشرُّ ليس إليه. أشكُرُهُ على كلِّ نعمةٍ أنعمَ بها علينا في قديم أو حديث، أو سرٍ أو علانية، أو خاصةٍ أو عامة. فهو أحقُ من شُكر، وأحقُّ من عُبد، وأحقُّ من ذُكر، فهو صاحبُ الفضلِ الأولِ والآخِرِ، وصاحبُ النعمةِ ظاهِرِها وباطِنِها، فالخيرُ من فيض إحسانه، والجودُ من كريم إنعامه. أتمَّ بفضله على المؤمنينَ النعمة، وحفظ برحمته الصالحينَ من النقمة، فألهَمَهُم حِفظَ الزمانِ من الإهدار، ووفَّقَهُم إلى اغتنام تعاقبِ الليلِ والنهار، حتى استقرَ في نفوسِهِم أنَّ الوقتَ هو الحياة، وأن الزمانَ رأسُ المال، فكان الوقتُ عندهم أثمنَ من الدراهم، والساعاتُ في حسِّهم أجلَّ من الكرائم، فكانوا على أوقاتِهِم أحرصَ منهم على أموالهم، يخافونَ من لصوصِ الأوقاتِ أشدَّ من خوفهم من لصوصِ الأموالِ، أوقاتهم محسوبة، وأزمانُهم مضبوطة، لكلِّ وقت فريضة، ولكلِّ زمانٍ وظيفة. حتى إذا ملَّ أحدُهُم من طولِ زمانِ الجدِّ، ودخلت عليه السَّآمةُ من شدَّةِ الضبط: تلهَّى في بعض أوقاته بشيء من المباح، يُجدِّدُ به روحَهُ، ويُنشِّطُ به ذهنَهُ، فأكلَ من لذيذ الطعام، وشربَ من باردِ الشراب، ونظرَ في الخُضْرةِ، وتفكَّهَ بشيءٍ من النكتة، وتندَّر بشيء من الطرفة. حتى إذا استجمعَ قواهُ

في بدنه، وانشرح قلبُهُ في صدره، وتيقَّظتْ ملكاتُهُ في عقلِهِ: عاد من جديد إلى حياة الجدِّ والضبط. وهكذا المؤمنُ في حياته دائمُ الجد، حتى إذا احتاجَ إلى شيء من الترويح أخذ منه بقدر ما يجدِّدُ به نشاطه، ويدفعُ عنه السَّآمةَ والرتابة. وفي هذا القدر ضِمْنَ حدِّ المباح لا حرج في ذلك على المؤمن، فقد كان السلفُ من الصحابة رضي الله تعالى عنهم ومَنْ بعدهم يتعاطون شيئاً من ذلك دون نكير، وقد أقرَّهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك، كما جاء في حديث حنظلة بن الربيع الأسدي رضي الله عنه حيث يقول: « كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فَوَعَظَنَا فذكر النار، ثم جئتُ إلى البيت فضاحكتُ الصبيانَ، ولاعبتُ المرأةَ، فخرجتُ فلقيتُ أبا بكرٍ، فذكرتُ ذلك له، فقال: وأنا قد فعلت مثل ما تذكر، فلقينا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: يا رسول الله نافقَ حنظلة، فقال: مه؟ فحدَّثتهُ بالحديث، وقال أبو بكر: وأنا فعلتُ مثل ما فعل، فقال: يا حنظلةُ: ساعةً وساعةً، لو كانت تكونُ قلوبُكم كما تكونُ عند الذكر لصافحتكُمُ الملائكةُ حتى تُسَلِّمَ عليكم في الطريق ». إنها صورةٌ من صور الواقعيةِ في التعامل مع النفسِ البشرية حينَ تُقبلُ وحين تُدْبِرُ، فلا تُتركُ لتتعمَّقَ في الجديةِ المفرطةِ حتى تخرجَ عن طبيعتها الإنسانية، ولا تُهملُ حتى تتفلَّتَ من واجباتِها المُلزمةِ حتى ترتكسَ في حمأةِ طبيعتها الحيوانية. إنها منهجُ الوسط الذي جاء به الإسلام، بين الإفراط والتفريط.

أيها الإخوة: إن هذا النهج الاعتدالي، والمسلكَ الوسطَ الرباني لم يَرُقْ – للأسف– لغالب الناس، فبعضهم وهُمُ القِلَّةُ اختارت طرفَ التزمُّت والتشدد، فلم يعد للترفيه البريء إليها سبيلٌ، ولم يعد للترويحِ

المباحِ إليها طريقٌ، حتى استوحشت أرواحُهُم، وقست أخلاقُهُم، وتحجَّرت طباعُهُم. فأتْعبوا أنفسَهُم بنهجِ الشدةِ، وآذوا من تحتهم بمسلكِ القسوة. فنفَّروا ولم يُبشِّروا، وعسَّروا ولم يُيَسِّروا.

وأما الصنفُ الآخرُ من الناس، وهم الكثرةُ الغالبةُ. لم يعرف الجدُّ إلى حياتِهم سبيلاً، ولم يعرف الحزمُ إلى سلوكِهم طريقاً، فالتفلُّتُ نهجُهُم، والتفريطُ أسلوبُهُم. لا ينضبطُ أحدُهم إلا تحتَ سيف السلطان، ولا يجتهدُ إلا فيما يَدُرُّ عليه المال. إذا سألتهُ عن الحياةِ اختصرَهَا في نكتةٍ، وإذا سألتَهُ عن الزمانِ فسَّره في شهوة، فالدنيا في نظره لَعِبٌ ولهو. إذا كَثُرَ مالُهُ سارعَ في الشهوات، وإذا قلَّ مالُهُ تحسَّر على فوات الملذات. أحبُّ أوقاتِهِ إليه حينَ يحيا بلا تكاليف، وأسعدُ أزمانِهِ إليه حينَ يتصرَّفُ بلا رقيب. فالعبثُ نهجُهُ، واللهوُ أُنسُهُ.

أيها الإخوة: إنَّ بعض الناس لا يُميِّز بين مجالات الترفيه: ما يُباح منها، وما لا يُباح، ولا يفرِّق بين أنواعِها: ما يضرُّ منها، وما لا يضر. فتراه ينطلق يتخيَّرُ منها ما يشاء، دون أن يراجعَ دينه، فيسألَ أهلَ العلم، أو حتى يستفتي قلبَهُ، أو يراجع ضميره.

ولقد دأَبَ كثيرٌ من الناس في فترات الإجازات الصيفية على الوقوع في كثير من المحاذير الشرعية، والمخالفات السلوكية، ظناً منهم أنَّ زمنَ الإجازةِ الصيفية يجوزُ فيه ما لا يجوزُ في غيره، فالنساء والأولاد يحتاجونَ إلى شيء من الترفيه يُخفِّفُ عنهم عناءَ طولِ السنة الدراسية، وجهد المدرسة، وربُّ الأسرةِ يحتاجُ إلى شيءٍ من الاستجمامِ بعد جهد

أشْهُرٍ متواصلةٍ من العمل. فتحت وطأةِ هذه الحاجاتِ النفسيةِ والاجتماعيةِ: يندفعُ الآباء نحو وسائل الترفيه، ومواقِعِ الاستجمام دون رويَّةٍ، فتراهُ يجلبُ لهم من وسائل الترفيه واللهو ما لا يُستحسَنُ، ويتركُ لهم حريةَ تعاطي بعض السلوكياتِ الأخلاقيةِ التي لا تليق، ويسمحُ لهم بالتخفُّف من بعض الفرائضِ الشرعيةِ والواجباتِ الدينية. وكأنَّ الإجازةَ الصيفيةَ إعلانٌ عن رفع الأقلام عن المكلَّفِين، وإخبارٌ عن التجاوز عن المخالفين، وحجةٌ تَكُفُّ الناصحينَ والمصلحينَ.

ولعلَّ من أعظمِ المظاهر التي ارتبطتْ بالإجازاتِ الصيفيةِ: السَّفرَ إلى المناطقِ السياحية، حيث الخضرةُ، وبرودةُ الجوِ، والخدماتِ الترفيهية، والأسواقُ التجاريةُ، ونحوها من أسباب جذب السُّياح والمصطافين. ولئن كان مبدأُ السَّفر في أصله مباحاً شرعاً إلا أنه يصبح مكروهاً أو ربما محرَّماً بحسب ما يُخالطُهُ من المنكرات، وبقدر ما يرتبط به من المحرمات، بحيث يصبح السَّفر إثماً على صاحبه، ووبالاً على أسرته، كأن يسافر إلى بلاد الكفار، التي ليس للإسلام فيها سلطانٌ، أو يسافرَ إلى بلادٍ تُعلَنُ فيها المنكرات، وتُشاعُ فيها الموبقات، أو يحضُرَ مواقعَ الصخب واللهو، والتبرجِ والسفور، حيث يُشاهِدُ تعاطيَ الكبائرِ، وإباحةَ الصغائرِ. فيُعرِّضُ نفسَهُ وأهلَهُ للفتنة والشهوة، ويجعلُ من دينه موضعاً للسخرية والاستهزاء، والله تعالى يقول: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكَفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلاَ تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾، ويقول أيضاً: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ

يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلاَ تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ ، ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: « أنا بريءٌ من كلِّ مسلم يُقيمُ بينَ أظهُرِ المشركينَ »، ويقول أيضاً: « لا تُساكنوا المشركين ولا تُجامعوهم، فمن ساكَنَهُم أو جامَعَهُم فهو مثلُهم»، ويقول أيضاً: «من أقامَ مع المشركينَ فقد برئت منه الذِّمَّة»، ويقول أيضاً: «برئت الذمةُ ممن أقامَ مع المشركينَ في ديارهم»، ويقول أيضاً: «من جامعَ المشركَ وسَكَنَ معه فإنه مِثْلُهُ». وقد سُئل الإمامُ أحمد رحمه الله عن قومٍ من المسلمينَ يسكنونَ مع قومٍ كافرين إلا أنهم ظاهرينَ عليهم بدينهم؟ فقال رحمه الله: « إن كانت أحكامُ أهلِ الإسلامِ ظاهرةً عليهم، وكانوا هم أقوى، فأرجو أن لا يكونَ بذلك بأسٌ، وإذا لم يكونوا، فلا يسكنْ بين ظهراني قومٍ يحكمونَ بغيرِ حكمِ الإسلام». وقد سُئل شيخُ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في زمنه في القرن الثامن الهجري عن سفرِ الرجلِ بأهلِهِ للنزهةِ والفرجةِ في مكانٍ يُشاهدُ فيه المنكر ولا يستطيعُ إزالته؟ فقال: «ليس للإنسان أن يحضرَ الأماكن التي يَشهدُ فيها المنكرات ولا يمكنُهُ الإنكار، إلا لموجبٍ شرعيٍّ مثلَ أن يكون هناكَ أمرٌ يحتاجُ إليه لمصلحة دينه أو دنياه، لابدَّ فيه من حضوره، أو يكونَ مُكْرَهاً، فأما حُضورُهُ لمجرد الفرجةِ، وإحضارِ امرأته تُشاهِدُ ذلكَ فهذا مما يقدحُ في عدالته ومروءَتِهِ إذا أصرَّ عليه». فاتقوا الله عباد الله، واحرِصوا على ما ينفعُكم، وتجنَّبوا ما يضرُّكم. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ

فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾. أقول ما سمعتم وأستغفر الله تعالى لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمدُ لله وليِّ المؤمنين، وخالق الخلق أجمعين، ورازق الأولينَ والآخِرينَ، وأشهدُ ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، بلَّغَ الرسالةَ، وأدَّى الأمانةَ، ونصحَ الأمة، فجزاه الله عن أمته خير ما جازى نبياً عن أمته، وصلى الله عليه وعلى آله صلاةً دائمةً إلى يوم الدين، أما بعد:

فإنَّ السَّفرَ إلى مواقعِ الفسادِ لا تقتصرُ أضرارُهُ على الناحية الأخلاقية أو الدينية فحسب، بل تتعدى ذلك إلى النواحي الاقتصاديةِ والسياسيةِ، لما في ذلك من تقوية أهلِ الباطلِ بالمالِ الذي يُجلَبُ إليهم، وتكثيرِ سوادِهم، وإعانتِهم على منكراتهم.

أيها الإخوة: كيف يسوغُ لرجلٍ يُؤمنُ بالله واليومِ الآخرِ، يعتقدُ بحرمةِ الخمرِ أن يحضرَ المواقعَ التي يُباع فيها الخمرُ ويُشرب، وكيف يسوغ له، وهو يعتقدُ حرمة التبرج والسفور، أن يحضرَ الأماكن التي يُشاهد فيها النساءَ المتبرجات المتهتكات، وكيف يسوغ له وهو يعتقدُ حرمةَ الملاهي والمعازف، أن يحضرَ التجمعاتِ التي يسمعُ فيها اللهوَ والطربَ وفاحشَ القول ، وكيف يسوغُ له وهو يعتقدُ وجوب إنكار المنكر بيده

أو بلسانه أو بقلبه، أن يحضرَ مواقعَ المنكراتِ بأهلِهِ وأولادِهِ وهو مُنشرحُ الصدرِ، مُبتهجُ النفسِ. إنها أسئلةٌ كثيرةٌ، لابدَّ للمسافرِ أن يسألَها نفسَهُ قبل أن يرحل، وأن يراجع فيها ضميرَهُ قبل أن يُغادر، ولْيعلم أن الواجبات الشرعية، والالتزاماتِ الأخلاقيةَ: لا تُنسخُ بالسفر.

أيها الإخوة: استمعوا إلى ما يقُولُهُ أحدُ المفكرين الغربيين، وهو يحذِّر بني قومِهِ البريطانيين من السفر إلى إيطاليا، وذلك في القرن السادس عشر الميلادي عندما كانت بريطانيا فيها بقيةٌ باقيةٌ من الأخلاق العرفية يقول: «إني لأعتقد أن الذَّهاب إلى إيطاليا خطرٌ، وأيُّ خطر، إني أعرفُ رجالاً غادروا إنجلترا ممن عُرفوا فيها بالحياةِ البريئةِ، عادوا من إيطاليا وقد رغبت نفوسُهُم عن الاستقامةِ، ولم يعودوا إلى ما كانوا عليه قبلَ سفرِهِم إلى الخارج. وكنت أنا نفسي ذاتَ مرةٍ في إيطاليا، وأحمَدُ اللهَ أني لم أمكث فيها إلا تسعةَ أيامٍ فقط، ومع ذلك رأيتُ في هذا الوقتِ القصيرِ في مدينةٍ واحدةٍ من الإباحيةِ والمجونِ والإثمِ ما لم أُشاهِدْهُ في تسعِ سنواتٍ في بريطانيا».

فإذا كان هذا كلامَ رجل لا يؤمنُ بالله ولا باليومِ الآخِرِ عن بلادٍ لا تختلفُ كثيراً عن بلاده في دينها وعقيدتها فماذا تُراه يقولُ المسلمُ عن تلك البلادِ في هذا الزمان، فاتقوا الله عباد الله، ولا تستعينوا بنعمةِ الله على معصيتِهِ، فإنَّ قوماً عصوا الله تعالى فأذلَّهم بالفقر، وأضرَّهم بالزلازل، وأشعل بينهم الفتن.

سادساً: التربية العقلية:

١– التوجيه الاسلامي للعقل البشري.

٢– أهمية التفكُّر في حياة الإنسان.

٣– خطر التمادي في اتباع الهوى.

٤– قضية فصل الدين عن الحياة.

١- التوجيه الإسلامي للعقل البشري

الخطبة الأولى:

الحمدُ لله الذي خلقَ الإنسانَ، وأبدعَ في صنعته العقلَ والجنَان، أحمدُه وأستعينه وأستغفره، وأعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادَي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أكملُ الخلقِ عقلاً، وأحسنَهُم نظراً، وأنضجَهُم فهماً، فصلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد فاتقوا الله عبادَ الله فيما خوَّلكمُ الله تعالى من القوى الجسدية، والملكاتِ العقلية، والسلامةِ النفسية، فإنها من أعظم النِّعم التي تفضَّلَ بها اللهُ تعالى على عباده، فإنَّ من سَلِمَ لهُ عقلُهُ من الآفات المفسدة، وسَلِمَ لهُ قلبُهُ من الشُّبَه المُضلَّةِ والأهواءِ المُخلَّة، وسَلِمَ لهُ جسدُهُ من الأمراضِ المُهلكة: فقد جُمع له الخيرُ من كلِّ جوانبه، وكملت له النعمةُ من كلِّ أطرافها، وأصبحت مسؤوليةُ الشكرِ عليه من أعظمِ الواجباتِ، وأثقلِ المهمات.

أيها المسلمون: إن نعمَ الله تعالى كثيرة، وفضائلَهُ على عباده لا تُعد، ولعلَّ في التذكير بواحدةٍ منها ما يدلُ على غيرها، وينبِّهُ لما سواها. فنعمةُ الصحةِ العقليةِ، والسلامةِ الذهنيةِ من آفات الخبَلِ والجنون، أو النقصِ والضمور: من أجلِّ نعم الله تعالى على العبد، ومن أعظمِ فضائِلِهِ الموجبةِ للشكر والحمد. فالعقلُ جماعُ الأمر والرأي، يحفظُ صاحبه من التورط في

المهالِكِ، ويحبِسُهُ عن السقوط في المهاوي، ويمنعُهُ من التردي في الرذائل. به يعرف الخيرَ من الشرِ، والقبيحَ من الحسنِ، وبه يدركُ ويفكِّر، ويحفظُ ويتذكَّرُ، وبه يتعلمُ ويعرف، ويتخيلُ ويُبدع.

ولكم أن تنظروا أيها الإخوة إلى من فقدَ هذه النعمة، فحُرِمَ خيرها كيف يتخبط في دروب الحياة، فلا يفقهُ من أمورها شيئاً، ولا يعرف لمصلحته درباً، إلا أن يعطف عليه الناس، فيُصلحوا من شأنه، ويرحموا ضعفَهُ، يقول الله تعالى مبيناً هذه النعمة: ﴿ **وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ الْسَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** ﴾، ويقول أيضاً: ﴿ **قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ**﴾، ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: « كرمُ الرجلِ دينُهُ، ومروءَتُهُ عقلُهُ، وحسَبُهُ خلُقُهُ »، ويقول الحسن البصري رحمه الله: « لا يَتمُّ دينُ الرجلِ حتى يَتمَّ عقلُهُ »، ويقول يوسف بن أسباط رحمه الله: «العقلُ سِراجُ ما بَطنَ، وزينةُ ما ظهر، وسائسُ الجسد، مِلاكُ أمرِ العبد، لا تصلحُ الحياةُ إلا به، ولا تدورُ الأمورُ إلا عليه»، وفي القديم قالت الحكماء: «من لم يكن عقله أغلب الأشياء عليه: كان حتفُهُ وهلاكُهُ في أحبِّ الأشياءِ إليه».

أيها الإخوة: إنَّ أعظمَ نعمةٍ يُعطَاهَا العبدُ بعد الإسلام: صحةُ العقل، فإن مدار الشريعة عليه، إذ لا تكليف بغير عقل، فمن ذهب عقلُهُ سقطَ عنه التكليف، وإنما رُكِّبَ العقلُ في المكلَّفينَ حتى يكونوا به مسؤولينَ، وبناءً عليه مخاطبينَ. ولهذا جاء الخطاب القرآني موجهاً

للعقلاء، كما قال الله تعالى: ﴿ **وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ**﴾ ، وقال أيضاً: ﴿ **إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾ ، وقال أيضاً: ﴿ **لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلا تَعْقِلُونَ**﴾. بل وحتى التوجيه القرآني إلى النظر في آيات الله تعالى الكونية، والاعتبارِ بالأحداث التاريخية، والاتعاظِ بتقلبات الحياة الدنيا: اختصَّ بها العقلاءُ من الناس، ممن يستطيع أن يُدركَ الآيةَ، ويفهمَ الموعظةَ، يقول الله تعالى: ﴿ **وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ**﴾ ، ويقول أيضاً: ﴿ **وَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلا تَعْقِلُونَ**﴾ ، ويقول سبحانه وتعالى عن هلاك الأمم السابقة: ﴿ **وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الأَلِيمَ**﴾ ، ويقول أيضاً: ﴿ **أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَواْ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ**﴾ .

وأما عن آياته سبحانه وتعالى المبثوثةِ في الكون، فهي الأخرى للعقلاء من بني آدم، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ **وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالْنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالْنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**﴾، وقال أيضاً: ﴿ **وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالأَعْنَابِ تَتَّخِذُون مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُون**﴾، وقال أيضاً: ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاء مَاء فَيُحْيِي بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**﴾ . وكذلك الاعتبار بالموتِ والحياةِ، وتقلباتِ الحياةِ الدنيا فإنما يُدركُها العقلاءُ كما قال سبحانه

وتعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّى مِن قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلاً مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ، وقال أيضاً: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴾.

أيها الإخوة: إذا كان ضعفاءُ العقولِ معذورينَ من التأمل والتدبر في آيات الله تعالى المقروءةِ والمنظورةِ، فما بالُ العقلاء، الذين يُدركونَ كلامَ الله تعالى، ويفهمونَ خطابَهُ، ويعقلونَ أمرَهُ، فما بالُهُم يُعرضون عن الحق، ويصمُّون آذانهم عن السماع، بل ما بالُهُم يُعاكِسونَ مرادَ الله تعالى، ويصدون عن سبيله.

أيها الإخوة: إنَّ عقلَ الإنسان كملكةٍ وموهبةٍ ربانية: لا قيمةَ له في حدِّ ذاتِهِ كجهازٍ إذا لم يستخدمْهُ صاحبُهُ في الفهم عن الله تعالى، واستيعابِ خطابِهِ، ومن ثَمَّ تطبيقِ أمره. كما أنَّ أداءَ العقلِ البشري في عمارةِ الأرضِ، واستخراجِ كنوزِها، وفهمِ السنن الطبيعية كلُّ ذلكَ لا قيمةَ له، ولا مكانةَ له في ميزان الحق، إذا لم يكن على منهج الله تعالى في كتابِهِ، وطريقة رسوله في سنته.

أيها الناس: ما قيمةُ أعقل العقلاء، وأذكى الأذكياء إذا لم يهدِهِ عقلُهُ إلى اتباع الحق، ونبذ الباطل. إنَّ إنشاءَ المنشآتِ، واختراعَ الآلات، وتطويرَ المبتكراتِ لا قيمةَ له بغير الإيمان الصحيح والعمل الصالح. فما قيمة عَالِمِ الشرق الذي أبدعَ السيارة، وأتقن الآلة حين يعبدُ بوذا، وما قيمة عَالِمِ الغربِ الذي صَنَعَ الطائرةَ، واخترعَ القاطِرَةَ حين

يعبد عيسى. وما قيمةُ أذكياء التاريخ الإنساني الذين عَمَروا الأرضَ حينَ يعبدون فرعونَ، أو كسرى، أو قيصر. أليس مصيرُ هؤلاءِ يوم القيامةِ أن يقولوا: ﴿ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ . أليسوا ممن قال الله تعالى فيهم: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾، نعم غافلونَ عن الحقائقِ الكبرى، عن الهدف من عمارة الأرضِ، غافلونَ عن الله تعالى والدارِ الآخرة، فلم تُغنِ عنهم عقولُهُم شيئاً إذْ كانوا من أصحاب السعير.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ وَعْدَ اللَّهِ لا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ * يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾.

أقول هذا القول وأستغفر الله تعالى لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمدُ لله على نعمِهِ، والشكرُ له على عطاياه وكرمِهِ، أحمده وحده لا شريك له، وأشهد أن لا إله إلا هو الإله الحق المبين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، خاتم النبيين، ورسولُ الناس أجمعين. صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أيها الإخوة: إنَّ دينَ الإسلامِ جاءَ بمبدأ الحريةِ الإنسانيةِ في أسمى صورها، وأعلى مراتبِهَا، ابتداء من حرية المعتقد: ﴿ **لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ**﴾، وانتهاءً بكل نشاطٍ إنسانيٍ مقبولٍ شرعاً وعُرْفاً. ومن مبادئ هذه الحرية، التي جاء بها الإسلام: حرية الفكرِ والنظرِ، حيث وجَّهَ الإسلام العقل البشريَّ ضمنَ حدودِ عالمِ الشهادة، لينظر، ويتفكَّر، ويعمل، ويطوِّرَ، وجَّهَهُ ليكتشفَ سننَ الله تعالى في الطبيعة، حتى يُسخِّرَهَا في عمارةِ الأرض، وازدهار الحياة، وزوَّدَهُ بالحواس، فأمدَّه بالنظر، وشقَّ له السمعَ، وأعطاهُ القدْرَةَ على التذوقِ والشمِ واللمسِ، حتى يتمكن بمجموع هذه الحواسِ والعقل المدركِ أن يستفيدَ من مدَّخراتِ الكونِ التي أعدَّها الله تعالى له، وهيَّأها لاستخدامه، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ **اللَّهُ الَّذِي سخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾. ولكنَّ الإنسانَ إذا ما اكتشف شيئاً من هذه السنن الربانية، أو المدخرات الكونية، فطوَّرَ شيئاً منها حتى طارَ في السماء، أو غاصَ في أعماقِ البحار، أو خرَقَ الجبال: فإذا به يتنكَّرُ لصاحب الفضل، ويتعالى على مُسبغ النعم جلَّ جلاله، حتى قال قائِلُهُم: «إنما كانَ الإنسانُ القديمُ يعبدُ الله عندما كان متخلفاً مُحتاجاً إلى الله، أما اليومَ وقد تمكَّنَ من العلمِ فلا حاجة له إلى إلهٍ يعبده». وكأنَّهُم بقولهم هذا يظنونَ أنهم ينتزعونَ العلمَ من الله انتزاعاً، ويغتصبونَ منه كنوزَ الأرضِ اغتصاباً، ﴿ **أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ**﴾.

أيها الإخوة: إن الإسلام وهو يوجِّهُ الطاقةَ العقليةَ إلى عمارة الأرض، واكتشافِ سُننها لا يسمَحُ للعقلِ البشري – مهما بلغ من النجاح

والإبـداع – أن يخـرجَ عـن حـدودِهِ المرسـومةِ، وقدراتِـهِ المحـدودة، كـما قــال الله تعـالى: ﴿ وَلاَ تَقْـفُ مَـا لَـيْسَ لَـكَ بِـهِ عِلْـمٌ ﴾، وقـال تعـالى: ﴿ وَمَـا أُوتِيتُم مِّـن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾، وقال أيضاً: ﴿ وَمَـا بِكُـم مِّـن نِّعْمَـةٍ فَمِـنَ اللَّـهِ﴾ ، فهـو محـدودٌ بعـالمِ الـشهادةِ، فالغيـبُ محجـوبٌ عنـه، ومـا اكتـشفَهُ مـن العلـوم والمعـارف، ومـا توصَّـلَ إليـه مـن المخترعـات لا يعـدو شـيئاً في علـم الله تعـالى، وعظـيمِ قدرتِهِ وسعَةِ ملْكِهِ.

كما أنه مع كـلِّ ذلـك لا يخـرجُ عـن فـضل الله وكرمـه حـين مكَّنـه مـن الاسـتمتاع بكنـوز الأرض، ومخترعـات العقـل، ﴿ وَإِن تَعُـدُّواْ نِعْمَـةَ اللَّـهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّـهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ .

أيهـا المـسلمون: ومـع أن الإسـلام يحـدُّ للطاقـــة العقلـــية حـدوداً لا تتخطاهــا، ويرسـمُ لهـا معـالمَ لا تتجاوزُهَــا، فإنــه مــع ذلــك يمنــع كــلَّ معوِّقـاتِ النمـو العقـلي الـسليم حتـى تبقـى الطاقـةُ العقليـةُ سـليمةً لاسـتقبال التكــاليف الربانيــة، والقيــامِ بــالعمارةِ الأرضــيةِ، ولهــذا حــرَّمَ الإســلامُ المسكراتِ والمخـدرات، وجعـل المحافظـة عـلى العقـل مـن ضروريـات الـدين التي جاءَ للمحافظـة عليهـا. وأمـر مقابـل ذلـك بالتنميـة العقليـة، فحـثَّ عـلى العلـم والـتعلم، وأمـر بـالنظر والتعقُّـل، وذمَّ الهـوى الـذي يطمـسُ العقـل، ويُـضلُّ عـن سـبيل الله، ونهـى عـن الجمـود العقـلي عـلى مـا كـان عليـه الآبـاء والأجداد، مما يخالِفُ الحقَ، كـما قـال الله تعـالى: ﴿ وَإِذَا قِيـلَ لَهُـمُ اتَّبِعُـوا مَـا أَنـزَلَ اللَّــهُ قَـالُواْ بَـلْ نَتَّبِـعُ مَـا أَلْفَيْنَـا عَلَيْـهِ آبَـاءَنَا أَوَلَـوْ كَــانَ آبَـاؤُهُـــمْ لاَ يَعْقِلُـونَ شَـيْئاً وَلاَ يَهْتَـدُونَ * وَمَثَـلُ الَّـذِينَ كَفَـرُواْ كَمَثَـلِ الَّـذِي يَنْعِـقُ بِـمَا لاَ يَـسْمَعُ إِلاَّ

دُعَاء وَنِدَاء صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ﴾.

نعـوذ بـالله مـن الخـذلان، اللهـم إنَّـا نـسألك علـماً نافعـاً، وعمـلاً صالحاً، اللهـم إنـا نعـــوذ بـك مـن علـمٍ لا ينفـعُ، وقلـبٍ لا يخـشـعُ، وعـين لا تدمَعُ، ودعوةٍ لا يُستجاب لها.

ألا وصـلوا عـلى البـشير النـذير، صـاحبِ المقـامِ المحمـودِ، والحـوض المـورود، ﴿ **إِنَّ اللَّــهَ وَمَلاَئِكَتَـهُ يُـصَلُّونَ عَـلَى النَّبِـيِّ يَـا أَيُّهَـا الَّـذِينَ آمَنُـوا صَـلُّوا عَلَيْـهِ وَسَـلِّمُوا تَـسْلِيمًا** ﴾. اللهـم صـلِّ عـلى محمـد وعـلى آل محمـد كـما صـليت على إبـراهيم وعـلى آل إبـراهيم في العـالمين إنـك حميـد مجيـد. اللهـم ارض عـن الـصحابة والقرابـة والتـابعين ومـن تـبعهم بإحـسان إلى يـوم الـدين، وعنـا معهـم برحمتـك يـا أرحـم الـراحمين، اللهـم أعـزَّ الإسـلام والمـسلمين، وأذلَّ الشرك والمشركين ودمِّر أعـداء الـدين، واجعـل اللهـم هـذا البلـد آمنـاً مطمئنـاً وسـائر بـلاد المـسلمين، اللهـم آمنـا في أوطاننـا وأصـلح أئمتنـا وولاة أمورنـا، واجعـــل اللهـم ولايتنـا في مـن خـافك واتقـاك واتبـع هـداك طالبـاً رضـاك يا رب العـالمين، اللهـم وفقنـا لمـا تحبـه وترضـاه مـن الأقـوال والأعـمال، اللهـم حبب إلينا الإيـمان وزينـه في قلوبنـا، وكـره إلينـا الكفـر والفـسوق والعـصيان، واجعلنا يا ربنا من الراشدين.

عبـاد الله إن الله يـأمر بالعـدل والإحـسان وإيتـاء ذي القربـى وينهـى عـن الفحـشاءِ والمنكـرِ والبغـي يعظكـم لعلكـم تـذكرون، فـاذكروا الله يـذكركم، واشـكروه عـلى نعـمه يـزدكم، ولـذكر الله أكـبر والله يعلـم ما تصنعون.

٢- أهمية التفكر في حياة الإنسان

الخطبة الأولى:

الحمدُ لله الذي أنارَ بالفكرِ العقولَ، وأيقظَ بالنظرِ النفوسَ، ونبَّه بالتأمل القلوب. أحمده وأشكره على كل نعمة أنعم بها في قديمٍ أو حديث، أو سرٍ أو علانية، أو خاصة أو عامة. فهو أحق من شُكر، وأحق من عُبد.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسَلَهُ بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، فأحيا به القلوب، وبصَّر به العقول. فعاد الناس أحياءً بعد موات، وعقلاءَ بعد جنون، ومبصرينَ بعد عمى. فالحمد لله على نعمه، والشكر له على آلائه. أما بعد:

فاتقوا الله عبادَ الله وارجوا الله تعالى واليومَ الآخرَ، ولا تعثوا في الأرض مفسدين.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ ، ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ .

أيها الإخوة الكرام: إنَّ من أهمِّ وأحقِّ ما أصلحَ العبدُ من نفسِهِ: فكرَهُ وخواطرَهُ وهمَّه وإرادته. فإن التفكرَ مفتاحُ الأنوار، ومبدأ

الاستبصار، ومصيدةُ المعارف والأفكار، وهو ضياءُ الإيمان ونورهُ، وحقيقته: التأملُ وإعمالُ الخاطرِ في الأمور، وهو ما يقعُ للإنسان من التردد في القلب مع الاعتبار . فكُلُّ أمرٍ تدبَّرتَهُ، وتأمَّلتَهُ: فقد تفكَّرت فيه. وأمرُ الحياة والممات، وأمر الدنيا والآخرة: لا يمكنُ أن يستقيمَ شأنُ المؤمن في كلِّ ذلك إلا بالتفكر، فهو يَدُ النفس التي ينالُ بها المتفكِّرُ المعلومات، كما ينالُ بيد جسمه المحسوسات.

ورغمَ أنَّ ميادين التفكر واسعةٌ بحيث يصعبُ حصرُها في مجال واحد، فإنَّ مجاريَها وفروعَها وأنواعَها كلَّها تجري في اتجاه واحد، وتتدفَّقُ نحوَ غايةٍ واحدة، لتتجمَّعُ في نهاية الأمر في ساحةِ الله تعالى الذي خلقَ كلَّ شيء جلَّ جلاله. فكلُّ تفكُّرٍ سليمٍ في أيِّ شأنٍ من شئون الحياة، أو في أي باب من أبواب الوحي: لابد أن يُؤدي في نهايةِ المطافِ إلى الإيمانِ بالله تعالى، ومحبتِهِ، وخشيتِهِ، ومن ثمَّ إلى طاعتِهِ وعبادتِهِ.

فالمعارف الكونية التي بثَّها الله تعالى في جنبات هذا الكون من الأفلاك والكواكب، والبحار والأنهار، والجبال والأشجار، والسَّحاب والأمطار، والحيوان والنبات، والجواهر والمعادن كلُّ ذلك لا يعدو أن يكون آياتٍ تدلُ على الخالق المبدع، وإشاراتٍ تشير إلى الواحد الأحد. فكما أنَّ المؤمنَ يسترشد بآيات الله تعالى المقروءَةِ في كتبه المنزلة، فإنه أيضاً يستدل بآياته المنظورَةِ في كونه على وحدانيتِهِ، وكمالِهِ، وعظمتِهِ، ففي كلِّ شيء له آية تدلُ على أنه واحد.

والناظرُ في كتاب الله تعالى يجدُ التوجيه نحو التفكُّر واضحاً في

كثير من الآيات، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الألْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾، وقوله أيضاً: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاء رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ﴾، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا﴾ .

أيها الإخوة: ما أقبحَ الإنسانَ الذي لا يعرفُ من الحياة إلا أن يجوعَ فيأكُلَ، وينعُسَ فينامَ، ويشتهيَ فيُجَامعَ، ويغضبَ فيخاصمَ. ثم لا يتعدى هذه السلوكيات إلى ما يكونُ به إنساناً، وإنما يقبَعُ في مسالك تشبه مسالك الحيوان، فلا يتخطاها إلا إلى مزيد من الشهوات والمُتَع الحسِّية التي تحصرُهُ في دائرة الماديات. فإن قُدِّر له أن يفكِّر، فلا يفكِّرُ إلا في الشهوة، فإن نظر فإنه لا ينظر إلا للمتعة، وإن عمل فإنه لا يعملُ إلا للذة. حتى تستحوذَ عليه الشهواتُ، وتملِكَ زِمامَهُ الملذات. فلا يكونُ له همٌّ إلا فيها، ولا فِكْرٌ إلا لها، ولا عملٌ إلا من أجلها. فما يزال كذلكَ يتنقَّلُ من شهوة إلى شهوة، ومن لذة إلى لذة، فما يستفيقُ إلا بداعي الموت، يهدِمُ لذاته، ويبدد آماله. حين تكونُ التسبيحةُ أغلى عنده من كنوز الأرض، وتكونُ الركعتان في حسِّهِ أجلَّ ما في الوجود. وعندها يُدركُ حقارةَ نفسِهِ، وسفاهة رأيه، وضعفَ نظره. حين لا ينفعُهُ نظرٌ صحيح،

ولا عملٌ صالحٌ، وإنما يُقَال لـه: ﴿ **كَـذَلِكَ أَتَتْـكَ آيَاتُنَـا فَنَـسِيتَهَا وَكَـذَلِكَ الْيَـوْمَ تُنسَى**﴾.

أيهـا الإخـوة: لقـد أدرك الـسلف الـصالح أهميـةَ التفكـر والنظـرِ، فنبَّهـوا عـلى ذلـك، فهـذا ابـن عبـاس رضي الله تعـالى عـنهما يقـول: «التفكُّـرَ في الخير يدعو إلى العمـل بـه، والنـدمُ عـلى الـشَّر يـدعو إلى تركـه »، ويقـول عمـر ابـن عبـد العزيـز رحمـه الله: « الفكـرةُ في نعـم الله عـز وجـل مـن أفـضل العبـادة»، ويقـول الحسن البـصري رحمـه الله: «تفكُّـر سـاعةٍ خـيرٌ مـن قيـام ليلـة»، وقـال أيـضاً: «مـن لم يكـن كلامُـهُ حكمـةً فهـو لغـو، ومـن لم يكـن سكوته تفكـراً فهـو سـهو، ومـن لم يكـن نظـرُهُ اعتبـاراً فهـو لهـو»، وقـال مـرةً: «إن مـن أفـضل العمـلِ الـورعَ والتفكُّـرَ»، وقـال وهـب بـن منبـه رحمـه الله: «ما طالت فكـرَةُ امـرئ قـطُّ إلا عَلِـمَ، ومـا علـمَ امـرؤٌ قـطُّ إلا عَمِـلَ». وقـال بـشر الحـافي رحمـه الله: «لـو تفكَّـرَ النـاسُ في عظمـةِ الله مـا عَـصَوا اللهَ عـزَّ وجل».

أيها الإخـوة: لم تكـن لتخفـى عـلى الـسلف ميـادينُ التفكُّـرِ المتنوعـةُ، ومجالاتُهـا المختلفـةُ. ولكـنهم أدرَكُـوا أنَّ كـلَّ تفكـرٍ لا يـؤدِّي إلى القـربِ مـن الله تعـالى فهـو باطـل، فعملـوا عـلى تحريـر قلـوبهِم مـن الطَّمـع، وتخلـيصِ عقـولهِم مـن الـترف. فوجَّهـوا طاقـاتِهم الروحيـةَ والعقليـةَ للانتفـاع بهـا في تزكيـة الـنفس مـن الـشوائب، وتطهـير القلـبِ مـن القبـائح، وحفـظِ الجـوارحِ مـن المثالـب. فجنَّـدوا قـواهم المختلفـة، وملكـاتِهم المتنوعـةَ للاعتبـار بآيـات الله تعـالى المقـروءة في كتابـه، أو المنظـورةِ في كونِـهِ، مـع الاسـتفادة مـن مواقـفِ الحياةِ الدنيا وتقلباتِهَا. فما تمـرُّ علـيهم آيـةٌ مـن آيـات الله تعـالى إلا وجـدوا فيهـا

حكمةً، ولا يمرُّ بهم موقفٌ من مواقفِ الحياةِ إلا وجدوا فيه عبرةً. فقد كان جلُّ أوقاتِ بعض السلف تمضي في النظر والتفكيرِ؛ فقد سُئلت امرأةُ أبي ذر رضي الله عنه: عن عبادته، فقالت: «كان نهاره أجمع في ناحية البيت يتفكر». وسُئلت أمُّ الدرداء: ما كان أفضلُ عبادة أبي الدرداء رضي الله عنه؟ فقالت: «التفكُّرُ والاعتبار».

بكى أميرُ المؤمنينَ عمرُ بنُ عبد العزيز يوماً، فقيل ما يُبكيكَ؟ قال: «فكَّرتُ في الدنيا ولذَّاتِها، فاعتبرتُ منها بها، ما تكادُ شهواتُها تنقضي حتى تكدِّرَهَا مرارتُها، ولئن لم يكن فيها عبرةٌ لمن اعتبر، فإنَّ فيها موعظةً لمن ادَّكر». وجلس مرة أبو شُريح رحمه الله يبكي، فقيل ما يُبكيكَ؟ قال: «تفكرت في ذَهَابِ عمري وقلَّةِ عملي واقتراب أجلي». وقال أبو سليمان الداراني رحمه الله: «إني لأخرجُ من منزلي فما يقع بصري على شيءٍ إلا رأيت لله فيه نعمةً، ولي فيه عبرة».

أقول هذا القول وأستغفر الله تعالى لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء وسيِّدِ المرسلين نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

فإنَّ أنفعَ مجاري الفكر وأعظَمَهَا على الإطلاق ما كان في مصالحِ الآخرةِ وفي طرقِ اجْتلابها، وفي دفع مفاسد الآخرة وفي طرق اجتنابها. ثم

التفكُّرُ في مصالح الدنيا وطرق تحصيلها، وفي مفاسدِها وطرق تقليلها، وعلى هذه المصالح دار فكر العقلاء. فالمتفكر في أمر الآخرة وعظمتها، وهوان الدنيا وحقارتِها أورثَهُ ذلك رغبةً في الآخرة وزهداً في الدنيا. والمتفكِّر في قصرِ الأملِ وضيق الوقت أورثَهُ ذلك جداً واجتهاداً في اغتنام الوقت وبذل الوسْع. والمتفكر في وعدِ الله تعالى بالثواب، وما أعدَّه لعباده الصالحين: أورثه ذلك شوقاً ولهفةً لما عند الله، فلو اطَّلعت قلوبُ الصالحينَ بفكرها إلى ما ادَّخره الله تعالى لها في الغيب من الخير والنعيم: لم يطِبْ لهم في الدنيا عيشٌ، ولم يقرَّ لهم فيها قرار. وكذلكَ المفرِّطُ في جنب الله تعالى، لو تفكَّر فيما توعَّد الله تعالى به العصاةَ من العذاب والنَّكال، وسوء المآل: لانخلعَ قلبُهُ، واشتدَّ حزنُهُ، وعظُمَ همُّه، فلا يقرُّ له قرار، ولا يهنأُ بطعامٍ أو شرابٍ حتى يُحدث لله توبةً، ومن غَيِّهِ أوبةً.

أيها الإخوة الكرام : إن الحازمَ العاقلَ لا يترك مواقف الحياة تمر بغير اعتبار، ولا يغفُلُ عن آيات الله تعالى بغير ادِّكار. فنهارٌ يحول، وليلٌ يزول، وشمسٌ تجري، وقمرٌ يسْري، وأناسٌ يحيونَ، وآخرونَ يموتونَ.

ما خلقَ الله تعالى هذا باطلاً، وإنما وراءَ ذلكَ حشرٌ ونشرٌ، وثوابٌ وعقابٌ. فليتفكر العبد في ذنوبه، ثم لْينظرْ في الموت وسكراته، ثم فيما بعده من سؤالِ منكرٍ ونكير، وعذابِ القبرِ وأهوالِهِ، ثم لْيتفكرْ في نفخةِ الصورِ، وهولِ المحشرِ عند اجتماع الخلائق وازدحامِهم، ثم مناقشةِ الحسابِ، ثم الصراطِ ودقَّتِهِ وعظيمِ خطره. ثم لْيتفكر في أيِّ فريق هو:

من أصحابِ اليمين الناجينَ، أم من أصحابِ الشمالِ الهالكينَ. ثم لْيتفكَّر في هولِ جهنَّمَ ودركاتِهَا، وعِظَمِ مقامِعِهَا وسلاسِلِهَا وأغلالها، وقبيحِ زقُّومها وصديدها، وأنواع العذاب فيها، ولْيتصوَّر أشكالَ زبانيتها، وقسوةَ قلوبِهِم، وكيفَ أنَّ الناسَ فيها يصيحون فلا مُجيب، ويستغيثون فلا مُغيَثَ. كلَّما نضجت جلودُهُم بُدِّلوا جلوداً غيرها، وكلَّما أرادوا الخروج أُعيدوا فيها. ثم لْينظرْ العاقلُ مقابلَ ذلك الشقاء: ما أعدَّهُ الله تعالى لعبادِهِ الصالحينَ من النعيم المقيم، والبهجةِ والفرحةِ، والرحمةِ والفضلِ، والرضا والسرور. ثم لْينظر لنفسه ماذا يختار : الجنةَ أو النار.

اللهم ربَّ السماواتِ والأرضِ نسألك بوجهك العظيم أن تجعلنا من أصحاب الجنة، اللهم ربَّ جبريلَ وميكائيلَ وإسرافيلَ نعوذ بك من النار. اللهم اجعلنا بفضلك من السعداء، ولا تجعلنا يا ربنا من الأشقياء. اللهم اجعلنا من الذين إذا أحسنوا استبشروا، وإذا أساءوا استغفروا.

أكثروا من الصلاة والسلام على خير البرية فقد أمركم الله تعالى بذلك: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** ﴾.

٣- خطر التمادي في اتباع الهوى

الخطبة الأولى:

إنَّ الحمدَ لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هاديَ له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. أما بعد:

فإن كلَّ محدثةٍ بدعة وكلَّ بدعةٍ ضلالة، وكلَّ ضلالةٍ في النار.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ .

أيها المسلمون: داءٌ عظيم، وبلاءٌ جسيم، وفتنةٌ كبيرة ، من نجا منها فقد نجا، ومن وقع فيها فقد هلك، حذَّر الله تعالى منها ، وحذَّر منها رسولُهُ صلى الله عليه وسلم، ألا وهي الهوى، شرُ داءٍ خالطَ القلب، وأقبحُ صفةٍ ظهرت على السلوك، إذا تمكَّن من المرء: أذهب عقلَهُ، فلا يعرف من الموازين العقليـة، والضوابطِ الفكريةِ إلا ما وافق هواه،

فلا يُبْصِرُ بعينيه إلا ما يهوى، ولا يسمع بأذنيه إلا ما يحب، فيُعميه الهوى عن استبصار الحق، والنظر في العواقب، ويُصِمُّهُ عن سماع الخير، والإذعان للحق. فهو كالبهيمة في تصرُّفاتها تسعى أبداً لإشباع شهواتها، وتحقيق ملذاتها. حتى إذا ملأ قلبَهُ الهوى، فملَكَ جوارحَهُ: قلَّ حياؤه من الله تعالى، فأقحم نفسه في معاصيه، فلا يُميِّزُ بين حلالٍ أو حرام، ولا يفرِّقُ بين حق أو باطل. وكثرتْ مع ذلكَ جُرْأتُهُ مع عباد الله، فلا يعرفُ لأحدٍ حقاً عنده، أو حرمةً يتجنَّبُهَا، فإذا به لا يبالي بأعراضِ الناس وحقوقهم، فيطعن في هذا، ويشتم هذا، ويأكلُ مال هذا، فينطلق في الحياة كالمسعور لا يلوي على شيء، إلا ما كان منفعةً له، بإكْثار ماله، أو راحةِ نفسهِ. فأما دينُ الله تعالى، وحدودُهُ، ومحارمُهُ فآخرُ ما يفكِّرُ فيه، وأما حقوقُ الناس، وأعراضُهُم، وحرماتُهُم، فلا يكترث لها، ولا تخطُرُ له ببال فلاحقاً اتبع، ولا باطلاً اجتنب، ولا خيراً فعل، ولا شراً ترك، ولا معروفاً أسْدى، ولا منكراً أنكر، يقولُ الله تعالى في أمثال هؤلاء ممن استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم أسباب النجاة، وأوقعهم في أسباب الهلاك، يقول سبحانه وتعالى: ﴿ **وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِيَ آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَـكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ * سَاء مَثَلاً الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُواْ يَظْلِمُونَ * مَن يَهْدِ اللّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَن يُضْلِلْ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ * وَلَقَد**

ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَـئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ .

أيها الإخوة: لو كانت داعيةُ الهوى تنتهي بصاحبها، عند حدِّ الخطأ فيقع فيه ثم يعود بعد ذلك إلى صوابه ويتوب، فإن الأمر في ذلك هيِّنٌ، وإنما المشكلةُ تكمنُ في تداعى الأهواء، حينما تكثرُ موارِدُهَا، وتتوسعُ منابِعُهَا، فلا يكاد أحدهم يخرجُ من فتنةٍ إلا ويقع فيما هو أشدُّ منها، فما يزالُ كذلك تتقاذفُهُ الأهواءُ، وتتداعى عليه الفتن،حتى تُسيطرَ على عقلِهِ الشبهات، وتسيطرَ على قلبه الشهوات، فتصبحُ كالرَّانِ، تُغلِّفُ قلبَهُ وعقلَهُ، فلا يعرف معروفاً، ولا ينكر منكراً، إلا ما أُشربَ من هواه. فإذا بالعقائدِ الباطلةِ، والنحلِ الفاسدةِ تجدُ لها في عقله موقعاً، وإذا بالانحرافات الخلقية، والقبائحِ السلوكية تجد لها في قلبه موطِئاً، فلا يَركنُ عقلُهُ إلا للمذاهب الهدامة، والمبادئ الباطلة، ولا يأنَسُ قلبُهُ إلا بالملاهي المنكرةِ، والمناظِرِ المحرمَةِ. فإذا تمكَّنَ منه الهوى على هذا النحو، وبلغَ مبْلغَهُ من عقلِهِ وقلبِهِ: انطلق في الأرض بالفساد، فما من معْلَمِ خيرٍ إلا وضعه، وما من معْلَمِ شر إلا رفعه، يبتهج للمنكر، ويألَمُ للمعروف، فإذا تكلَّمَ تكلَّمَ بالباطل، وإذا سكت سكت عن الحق، وإذا أَعْطى أعطى في شهوة، وإذا منعَ مَنَعَ عن خير. فإذا كانت الدولة للباطل كان رأساً في كلِّ شرٍ، وإذا كانت الدولةُ للحق كان ذنباً في كل خير.

وعن هذه الشاكِلةِ من خلق الله تعالى يقول المولى عزَّ وجل: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ * وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ ، ويقولُ سبحانه وتعالى عن آخِرِ مراتبِ الضلالِ التي ينحطُّ إليها أهل الأهواء، حين لا يعرفون من الحياة إلا الهوى، يقول عنهم سبحانه وتعالى: ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾ ، نعم من هذا المؤهَّلُ لإنقاذ هؤلاء من دركات الضلال، وظلماتِ الغيِّ إنه الله تعالى، هو وحدَهُ القادر على إنقاذهم، من خلال منهجه القويم، وشِرْعتِهِ المباركة، التي أنزلها ليُخرجَ الناسَ من الظلمات إلى النور، ومن الضلالةِ إلى الهدى. إنه المنهج القويم، وهو السبيلُ الوحيدُ الذي ينجو به الناسُ من الغواية، وسلطان الهوى، فلا سبيل إلا بالاتباع، ولا نجاة إلا بالانقياد، وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ ، ويقول أيضاً: ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ عَمَّا جَاءكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً ﴾، ويقول أيضاً: ﴿ فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ

وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّـهُ مِن كِتَابٍ﴾ .

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم محذِّراً من الهوى: «إن مما أخشى عليكم شهواتِ الغيِّ في بطونِكُم وفروجِكُم ومُضِلاتِ الهوى»، ويقول أيضاً: «وأمَّا المُهلكات: فشحٌ مطاع، وهوىً مُتَّبع، وإعجابُ المرءِ بنفسه»، ويقول أيضاً: «ألا إنَّ منْ قبلكم من أهلِ الكتابِ افترقوا على ثنْتينِ وسبعينَ ملَّةً، وإنَّ هذه الملة (يعني الإسلام) ستفترق على ثلاثٍ وسبعين، ثنتان وسبعونَ في النار، وواحدةٌ في الجنة، وهي الجماعة، وإنه سيخرجُ من أمتي أقوامٌ تَجارى بهم تلكَ الأهواء، كما يتجارى الكَلَبُ بصاحبه، لا يبقى منه عرقٌ ولا مِفْصلٌ إلا دخله ». ويقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه: «إن أخوفَ ما أخافُ عليكم اثنتان: طولُ الأمل، واتباع الهوى، فأما طولُ الأملِ فيُنسي الآخرة، وأما اتباع الهوى فيصُدُّ عن الحق ».

ألا فاتقوا الله عباد الله، واحذروا الهوى والأهواء، وادعوا بقلوبٍ مخلصةٍ: اللهم إنا نعوذ بك من منكرات الأخلاق والأعمال والأهواء، اللهم استعملنا في طاعتك وجنِّبنا يا ربنا بفضلك معصيَتَكَ إنك سميعٌ قريبٌ مجيبٌ.

أقول هذا القول وأستغفر الله تعالى لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمدُ لله يُوفِّقُ من شاء إلى مرضاته، ويُضلُّ من شاء عن رحماتِهِ، أحمدُه وأشكره، وأعبده، وأتوكَّلُ عليه، لا إله إلا هو، يأمر بالعدل، ويحكُمُ بالقسط، فالحق فيما أمر، والباطلُ فيما نهى. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه، والمُحذِّرُ من نيرانه، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

أيها الإخوة: لم يذكر اللهُ تعالى الهوى في موضعٍ من كتابه إلا ذمَّهُ، ولا ذكرَهُ رسولُهُ صلى الله عليه وسلم إلا حذَّر منه، وما سُمِّيَ هوىً إلا لأنَّهُ يهوي بصاحبه في دركاتٍ لا يعلم مداها إلا الله. فالعاقل ينهى نفسه عن لذةٍ يعقُبُهَا ألم، وشهوةٍ تُورثُ ندماً، ورغبةٍ يتبعُهَا حسرة، فإن النار حُفَّت بالشهواتِ والملذات، كما أن الجنةَ حُفَّت بالمكاره والصعوبات. فالداء كلُّ الداء في اتباع الهوى، والشفاء كلُّ الشفاء في مخالفة الهوى. ولن يكمُلَ أحدٌ حتى يقدِّمَ دينه على هواه، فيكونُ هواه تبعاً لدينه، فإنَّ أعدل الناس من أنصفَ عقلَهُ من هواه، وكان له من عقله رقيبٌ على شهواته وأهوائه، سُئل أحدهم: «من أصحُّ الناس عزْماً؟ قال: الغالِبُ لهواه»، وقيل أيُّ الجهاد أفضل: «قال: جهادُك هواك».

أيها الإخوة المسلمون: إذا تقرَّرَ خطرُ الهوى، فإنَّ على العاقل أن يجاهد نفسه، وأن يدافعَ هواه، وأن يتمرَّنَ على ذلك، ولْيستعن بالله، ثم لـيُمعِنِ النظرَ في حقارة أهل الأهواء، وانحطاطِ مكانتِهِم، ولْيرتفعْ بنفسه

عـن خـسيس أحـوالهم، وقبـيح طِبَـاعِهِم، ولْينظـرْ إلى مواقـع هـزائمهم أمـامَ الـشَّهوات، وأمـاكنِ مـصارعِهِم عنـد الملـذات، وسـفاهَةِ عقـولِهِم أمـام الشبهات، فـلا عزيمـةٌ تحكُمُهُـم، ولا عقـلٌ يـضبطُهُم. فهـم أسرعُ مـا يكونـون إلى مهـالِكِهِم، وأبعـدُ مـا يكونـونَ عـن مـصالِحِهِم، حتـى إن البهيمـةَ العجـماءَ أهـدى مـنهم إلى مـصلحتها، وأبعَـدُ مـنهم عـن مفـسدَتِها، يقـول عبـد الله بـن مـسعود رضي الله عنـه: «إنكـم في ممـرِّ الليـلِ والنهـار، في آجـالٍ منقوصـةٍ، وأعـمالٍ محفوظـة، والمـوتُ يـأتي بغتـةً، فمـن زرعَ خـيراً فيوشـكُ أن يحـصدَ رغبــةً، ومــن زرعَ شراً فيوشــكُ أن يحـصدَ ندامــةً، ولكـل زارع مــا زرع». فاتقوا الله عباد الله واحرصوا على ما ينفعُكُم، وتجنبوا ما يضرُّكُم.

أكثروا من الصلاة والسلام على خير الأنام.

٤- قضية فصل الدين عن الحياة

الخطبة الأولى:

الحمدُ لله المتفرِّدِ بالملكِ والملكُوت، القاهرِ بالسطوةِ والجبروت. أحمدُهُ وأشكره، وأستغفره وأتوب إليه، لا إله إلا هو، يُحيي ويُميت، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير. الأرض في قبضتِهِ، والسماواتُ تحتَ سلطانِ سطوتِهِ، والإنسانُ مقهورٌ بقدرِهِ ومشيئتِهِ. فالخلقُ في عجزهم مُسَرْبلون، وضمن سلطانِ قهرِهِ يعملون، وتحتَ مشيئتِهِ يتقلَّبون . لا أحدَ يصلُ إلى خيرٍ إلا بفضلِهِ، ولا أحدَ يتضرر بشرٍ إلا بعْدلِهِ. الخلقُ فقراءُ إليه، وأمرهم في يديه، لا منجا منه إلا إليه. وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسولُهُ، صاحبُ الحوضِ المورود، والمقام المحمود، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله وارجو الله تعالى واليومَ الآخرَ ولا تعثوا في الأرض مفسدين.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ .

أيها الإخوة الكرام: إنَّ من أشدِّ أنواعِ البلايا والرزايا التي ابتُلِيَتْ بها هذه الأمَّةُ في عصرها الحديث: معالجتَها لقضاياها خارجَ نطاقِ دينها، وبعيداً عن روحِ شريعتها. بحيث يكونُ الدين مجرَّد علاقةٍ باردةٍ بين العبد وربِّهِ، محصوراً في زوايا المساجد، وترانيمِ المتنسِّكينَ، مغلقاً عليه في ثنايا الكتب والمكتبات، لا واقعَ له في حياةِ الناس، وصراعِ الحياة. بحيث ينبري لصناعة الحياة، وإعمار الدنيا من يظُنُّ أن الشريعةَ غيرُ ملزمةٍ له، وإنما جاءت الشريعة لعصورٍ قد مضت، وإلى أممٍ قد خلت. فعصرُ السياراتِ والطائراتِ ليس كعصر الخيول و البغال والنوق . وكأنَّ مُنزلَ الشريعة – سبحانه وتعالى– لا يعلمُ بواقع البشرية وتطوُّرِها، وتعقُّد الحياةِ المستقبلية وتشعُّبها، ﴿أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ .

أيها الإخوة: إنَّ هذهِ الصيحاتِ التي يُطلقها بعض الناس تصريحاً أو تلميحاً، بحيث يعلنونَ قصورَ الشريعةِ عن مواكبة تطور الحياة المعاصرة، ويرفضون معالجة قضايا الأمَّةِ من الزاوية الدينية، إنَّ هؤلاءِ وأشباهَهَم إنما ينخُرونَ ما بقيَ من جسد الأمة الإسلامية المنهلكة، ويضربون بمعاولِ الهدم آخرَ حصونِهَا المشيَّدة، حتى لا يبقى للأمة بعد ذلك دينٌ صحيحٌ تلوذُ به، أو عقيدةٌ واضحةٌ تجتمع عليها. إنَّ هذه الفئةَ من الناس، ممن ملأ الحقدُ قلوبَهُم، حتى فاضَ

على ألسنتِهـم وأقلامِهـم، لا يستحيونَ من وقتٍ إلى آخر، وبمناسبة وبغير مناسبة: أن يلمِزُوا الدينَ من قريب أو بعيد بالنواقِصِ والرزايا، ووصفِ الشريعةِ بالقصور والضمور. فتراهم يتندَّرون بأقوال الفقهاء، ويستهزئون بفتاوى العلماء، ويرفضون أن يكون للدين دخْـلٌ في السياســة أوالاقتصـادِ أو التربيةِ والتعليم أو العاداتِ والتقاليد أو العقود والمعاملات. إنما الدينُ في تصورهم محصورٌ في زاوية الشعائر التعبدية لمن أحبَّ أن يتعبَّد أو يتنسَّك، بشرط أن لا يتعدى هذا المتعبِّدُ بدينِهِ مقامَ العبادةِ في محرابه إلى غيرها من شؤون الحياة. فهو في صلاته يسجُدُ ويركعُ لله تعالى، وينضبطُ بأحكامِ الصلاةِ وآدابها كما جاء في الدين، أما حين يخرجُ من صلاتِهِ إلى واقع الحياة العامة، فإنه لا يجدُ غضاضةً في أن يركَعَ ويسجُدَ لغير الله تعالى، من خلال انصياعه وطاعته لما يخالفُ دينَهُ، وأصول عقيدته. فتراه لا يبالي في شؤونِ حياتِهِ العامةِ أن يتبع النظريات الباطلة، والنحَلَ الفاسدة في ميدان التربية والاقتصاد، والسياسة والقانون، والعقودِ والمعاملات، معتقداً أنه لا دخل للدين فيها.

أيهـا الإخـوة المسلمون : إنَّ الـدينَ هـو إرادةُ الله الـشرعيةُ، المتـضمنةُ لأمـره ونهيِـهِ، وحلالِـهِ وحرامِـهِ، ومـا أحبَّـهُ لعبـاده، ومـا كَرِهَـهُ لهـم. فهـو سـبحانه وتعـالى إنـما يتـصرف في ملكِـهِ وسـلطانه، فهـو مالـكُ الملـك، وخـالقُ الخلق. فالذي يـرى أن الـدين لا علاقـة لـه بـبعض جوانـبِ الحيـاة؛ إنـما ينتـزعُ هــذه الجوانــب مــن ســلطانِ الله تعــالى، ويغتــصبُها مــن إرادةِ الله الــشرعية، ليضَعَهَا في سلطان آلهـةٍ أخـرى، مـن أهـواءِ النـاسِ وشـهواتِهم، وسـدنةِ الفكـر

والفلسفة، ممن نَصَبُوا أنفُسَهُم أنداداً لله تعالى، وآلهةً تُطاعُ فيما يخالفُ أمرَ الله تعالى ونهيَهُ.

أيها المسلمون: إنَّ صفةَ الإسلام لا تُعطى للشخص لمجرد انتسابه لأهل الإسلام في بطاقتِهِ الشخصيَّةِ، وإنما الإسلامُ: استسلامٌ لله تعالى ظاهراً بالطاعة والانقياد، وباطناً بالإيمان وسلامة الاعتقاد، فهذا المسْلِمُ، حتى وإن جاء ببعض الأخطاءِ والذنوب، فهو يعلم أنه مخطئٌ في حقِّ ربِهِ عز وجل، مقصرٌ في جنْبِ مولاهُ تبارك وتعالى. أما من ظنَّ أنه غيرُ ملزمٍ بالشريعة، أو أنها لا تصلحُ للحياة المعاصرة، أو أنها تصلحُ لأشياءَ ولا تصلحُ لغيرها، فهذا هو المنافق، حتى وإن ادَّعى الإسلام، أو أظهرَ بعضَ العبادات، فإن الله تعالى غنيٌ عن عبادته، فما قيمةُ صلاتِهِ التي يؤدِّيها وهو يعتقدُ أنَّ دينَ الله تعالى لا علاقة له بشؤون الحياة العامة، وما قيمةُ زكاته التي يؤدِّيها، وهو يعتقد انه لا علاقة للدين بالاقتصاد، وما قيمة صيامِهِ الذي يُؤدِّيه، وهو يعتقدُ أنَّه لا علاقة للتربية بالدين. إنَّ هذا الصنفَ من الناس لا حظَّ له في الإسلام، فكما أنَّ الدخولَ في هذا الدين سهلٌ، فإن الخروجَ منه سهلٌ أيضاً. والله سبحانه وتعالى غنيٌ عن عبادةِ أوليائِهِ المتقين فضلاً عن عبادةِ أعدائِهِ المفرِّطين ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ * إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ * وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ** ﴾.

فاتقوا الله عباد الله، واعرفوا لله تعالى عظمتَهُ، واعرفوا لهذا الدين مكانتَهُ، فإنما أنزلَ اللهُ دينه رحمةً بكم، وفضلاً منه عليكم، فمن عَمِلَ

وشَكَرَ، وعَدَهُ بالزيادة والفضل، ومن أعرضَ وكَفَرَ، فقد توعَّده بالانتقام والتنكيل.

اللهم إنا نعوذ بك أن نرتدَّ على أعقابنا بعد إذ هديتنا، اللهم ثبتنا على دينك، وأمتنا وأنت راضٍ عنا غير غضبان.

أقول ما سمعتم وأستغفر الله تعالى لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمدُ لله الواحدِ في عليائِهِ، المتفرِّدِ بكبريائه، الناصرِ لأوليائه، القاهرِ لأعدائه. أحمده على ما هدانا إليه من الصواب، ونعوذ به من مسْلكِ أهل العذاب. اللهم إنا نبرأُ إليك من كلِّ متكبِّرٍ جبار، ونعوذ بك من كلِّ طاغية غدَّار. اللهم أنت ملاذنا في كلِّ الأحوال، وأنت غايتنا من كلِّ الآمال. اللهم اهتك سترَ المنافقينَ الفاجرينَ، وثبِّت المؤمنينَ الصادقينَ. اللهم أصلح منا القلوبَ، واغفر لنا الذنوبَ، برحمتك يا أرحم الراحمين.

أيها الإخوة المسلمون: إن أغلى ما يملِكُهُ المسلمُ هو دينُهُ وعقيدتُهُ، فإذا تطرَّقَ إليهما الفساد بالنحل الباطلةِ والمذاهبِ الساقطةِ، فماذا يبقى بعد ذلك للمسلم في هذه الحياة؟

إنَّ الناس كُلَّهم يموتونَ بأسباب متنوعة، وعلى أحوالٍ مختلفةٍ، إلا أن الجميعَ يُسأل عن دينه وعن عقيدته، ولن ينفعَ أحداً جاهُهُ

ولا سلطانُهُ، حينَ يقدَمُ على ربه عز وجل فقيراً من الصالحات، مُثْقلاً بالمعاصي والموبقات . حين اتَّخَذَ دينه لعباً ولهواً، وغرَّته الحياةُ الدنيا بزينتها، وظنَّ بربه أسوأَ الظنون.

أيها الإخوة: إنَّ الناظر في أحوال هؤلاءِ، وما تبثُّهُ ألسنتُهُم، وما تخطُّهُ أقلامُهُم: ليهولُهُ حجمُ جُرْأتِهِم على الدين، وقبيحُ موقفهم من الثوابت الاعتقاديةِ، والمبادئ الشرعية. ومع هذا يتظاهرونَ بالإيمان، ويحلفون على سلامة عقيدتهم، وصفاء طويَّتهم. والعجيبُ في أمرِ هؤلاءِ المنافقينَ أنهم يستخدمونَ أسلوبَ الحَلِفِ حتى مع ربهم عز وجل حين يلقونه وهو عليهم غضبان، حيث يقول عنهم سبحانه وتعالى: ﴿**يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ * اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمِ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُوْلَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ**﴾.

فاتقوا الله عباد الله واعلموا أنَّ المؤمنَ من صَلَحتْ طويتُهُ واستقامت سيرتُهُ، وأنَّ المنافق من فسدت طويتُهُ، واعوجَّت سيرته. وبين هذا وذاك من أخذ من هذا بطرف ومن هذا بطرفٍ، فَخَلَطَ عملاً صالحاً وآخر سيئاً. فما غلبَ عليه منهما فهو في حكمه. اللهم ثَبِّتْ قلوبنا على دينك، ووفقنا إلى طاعتك، وأصلح بواطننا وظواهِرَنا يا أرحم الراحمين.

سابعاً: التربية الجهادية:

١-الجهاد في سبيل الله.

٢-مواقف جهادية من التاريخ الإسلامي.

٣-سنة الله في النصر والتمكين.

٤-تعظيم دماء المسلمين.

٥-تعظيم حرمة مكة المكرمة.

١- الجهاد في سبيل الله

الخطبة الأولى:

الحمدُ لله مُعزِّ المجاهدينَ الصابرينَ، ومُذلِّ الكافرينَ والمرتدين، أحمدُهُ وأستعينه وأستغفره، وأعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل، فلا هاديَ له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كلِّه ولو كره المشركون.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّن اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ .

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ ﴾.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ * إِلاَّ تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلاَ تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ .

﴿انْفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ .

ويقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم: «الجهادُ واجبٌ عليكم مع كلِّ أميرٍ براً كان، أو فاجراً». ويقول أيضاً: «جاهدوا بأيديكُم وألسنتِكُم وأموالِكُم ». ويقول أيضاً: «من ماتَ ولم يَغْزُ، ولم يُحدِّثْ به نفسَهُ، مات على شعبةٍ من النفاق»، ويقول أيضاً: «ما تركَ قومٌ الجهادَ إلا عمَّهُمُ اللهُ بالعذاب».

أيها المسلمون: إنَّ الجهادَ في سبيل الله عز وجل، هو فريضةُ الله على المسلمين، وقَدَرُ الأمَّةِ منذُ فجرِ الإسلام أن تُبتلى، إما بأعدائِها من الخارج، أو بأبنائها من الداخل. وإن الناظرَ في أحوالِ المسلمين اليوم، ليجدُ عُمقَ ما انحَدَرْنا إليه من الذِّلَّةِ والصَّغار، والهوانِ على الناس، بتركِنَا الجهادَ في سبيل الله، فإن من لم يدْعُ، لابدَّ أن يُدعى، ومن لم يغزُ لابدَّ أن يُغزى، وهذه سنَّةُ الله عز وجل في عباده، وما ترك قومٌ الجهاد إلا أذلَّهُمُ الله، وكَتَبَ عليهِمُ الصَّغار، وقذفَ في قلوبهم الوهنَ وحبَّ الدنيا، ونزعَ من قلوبِ أعدائهمُ المهابَةَ منهم. حتى ترى بعضَ الشعوب الإسلاميةِ تعيشُ تحت حُكْمِ الطاغوت، وتُحكَمُ بالحديد والنار، وتُذلُّ في كرامتها، وتنتهكُ أعراضُها، ثم لا تجدهم ينتفضُونَ مُدافعين عن كرامتهم، وأعراضهم، كأنَّهم جثثٌ هامدةٌ، لا تحرِّكُها الزلازلُ، والنكبات. وأصبحَ الدمُ المسلمُ أرخصَ الدماءِ، يُسفكُ في كلِّ مكان، يقتَّلونَ أفراداً وجماعاتٍ، لا باكيَ لهم، ولا ناعيَ لهم، حتى أصْبحنا كالأيتامِ على مائدةِ اللئامِ والأوباش.

ووالله الـذي لا إلـه إلا هـو، لا مخـرج لهـذه الأمَّـةِ مـن هـذا الـذُّلِ، والـصَّغَار، والـضياع إلا بالجهـاد الـذي يُرعِـبُ الأعـداء، ويُزلْـزِلُ عروشَـهُم. ولنا في الـسلف الـصالح القـدوةُ في ذلـك، فهـذا المغـيرةُ رضي الله عنـه يخاطـبُ عامل كـسرى وهـو عـلى أربعـينَ ألفـاً مـن الفـرس فيقـول: «نحـن أنـاسٌ مـن العرب، كنَّا في شقاءٍ شـديد، وبـلاءٍ شـديد، نمـصُّ الجلْـدَ والنـوى مـن الجـوع، ونلبسُ الـوبَرَ والـشعر، ونعبـدُ الـشجرَ والحجَـرَ، فبينـما نحـنُ كـذلكَ، إذ بعـثَ ربُ الـسماوات ورب الأرضـينَ إلينـا نبيـاً مـن أنفـسنا، نعـرفُ أبـاهُ وأمَّـهُ، فأمَرَنـا أن نقـاتلَكُم حتـى تعبـدوا الله وحـده، أو تُـؤدُّوا الجزيـةَ، وأخبَرَنَـا أنَّ من قُتل منَّا صارَ إلى الجنةِ في نعيمٍ لم يُرَ مثلُهُ، ومن بقيَ مَلَكَ رقابكم».

هكـذا أيهـا الإخـوةُ الكـرام يُعلِنُهـا هـذا المجاهـدُ الفـذُ في وجـهِ قائـدِ الفـرسِ، بكـل شـجاعةٍ وصراحـة، هكـذا عـزةُ الجهـاد تفعـلُ في نفـوسِ المجاهدينَ، لا يأبهونَ بأعدائهم، فاللهُ معهم، ولن يخذُلَهُم.

ولْـيعلَمِ الجنـدُ الـذين يـدافعون عـن هـذه الجزيـرة العربيـة، أنهـم يـدافعونَ عـن بقيـةِ الإسـلام، فلـم يعـدْ لـشريعة الإسـلام في الأرضِ مـلاذٌ إلا هذه البلاد، يقـول عليـه الـصلاة والـسلام: « إنَّ الإسـلام بـدأ غريبـاً، وسـيعودُ غريباً كما بدأ، وهو يـأرِزُ بـين المـسجدينِ كـما تـأرِزُ الحيَّـةُ في جحرهـا »، أي أنـه يلجأُ إلى موضـع المـسجدين بمكـة المكرمـة، والمدينـة المنـورة. وفي وروايـة قـال عليـه الـصلاة والـسلام: «إن الإيـمانَ ليـأرزُ إلى المدينـةِ كـما تـأرزُ الحيـةُ إلى جحرهـا»، فهـذه الـبلادُ مـلاذُ الإسـلام الأخـير، ومـأواهُ عنـدما يـتخلى عنـه النـاس، ويزهـدونَ فيـه، فمـن للإسـلام إن لم يقُـم أهـلُ هـذه الـبلاد بحفظـهِ

والدفاعِ عنه؟ فإن الله قد اختاركم لهذه المسؤولية، فسينظُرُ كيف تعملون.

وليبْشر المرابطونَ، والمدافعونَ عن هذه البلاد، بالأجر والمثوبة عند الله، والعزِّ في الدنيا: يقول عليه الصلاة والسلام: «رباطُ يومٍ في سبيل الله، خيرٌ من الدنيا وما عليها»، ويقول: «رباطُ يومٍ في سبيل الله خيرٌ من ألف يومٍ فيما سواهُ من المنازل»، ويقول أيضاً: «عينانِ لا تمَسَّهما النارُ، عينٌ بكت من خشيةِ الله، وعينٌ باتت تحرسُ في سبيل الله».

وسُئِلَ عليه الصلاة والسلام: « ما يعدِلُ الجهادَ في سبيل الله؟ قال: لا تستطيعونَهُ، فأعادوا عليه مرتينِ أو ثلاثةً، كلُّ ذلك يقول لا تستطيعونه، ثم قال: مثلُ المجاهد في سبيل الله كمثل الصائمِ القائمِ القانتِ بآيات الله، لا يفتُرُ من صلاةٍ ولا صيام حتى يرجعَ المجاهدُ في سبيل الله»، وقال أيضاً عليه الصلاة والسلام: «إنَّ في الجنةِ مائة درجةٍ أعدَّها اللهُ للمجاهدينَ في سبيل الله، ما بين الدرجتينِ كما بين السماءِ والأرض».

وأما في فضْلِ الشهادة في سبيلِ الله، يقول عليه الصلاة والسلام: «للشهيدِ عندَ الله سَبْعُ خصال: أن يُغفرَ لهُ في أولِ دَفعةٍ من دمِهِ، ويرى مقعدَهُ من الجنة، ويُحلى حلَّةَ الإيمان، ويُجارَ من عذابِ القبر، ويأمنَ من الفزعِ الأكبر، ويُوضعُ على رأسِهِ تاجُ الوقار، الياقوتَةُ منه خيرٌ من الدنيا وما فيها، ويتزوَّجُ ثنتين وسبعينَ زوجةً من الحورِ العين، ويشفَعُ في سبعينَ إنساناً من أقاربه». هذا فضلُ الله إليه يُؤتيهِ من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

أيها الإخوةُ الكرام: هناكَ شرطٌ لازمٌ لتحقيق هذا الأجر عند الله عز وجل، وهو أن يكون قصدُ المجاهدِ إعلاءَ كلمةِ الله، والدفاعَ عن الإسلام، والرغبةَ فيما عند الله، وأن لا يكون قصدهُ العلوَ في الأرض بغير الحق، أو الفساد فيها، أو الدفاعَ عن التراب، بل يكونُ دفاعُهُ عن الإسلام، وشهادة أن لا إله إلا الله، وأن يكون الدين كلُّه لله عزَّ وجل، في غير ضرَّاء مُضرَّة، ولا فتنةٍ مُضَّلة.

اللهم يا أرحمَ الراحمين، ويا أكرم الأكرمين، اللهم أنت القويُّ ونحنُ الضعفاء، وأنت الغنيُّ ونحن الفقراء، اللهم نسألك نصرَكَ الذي وعدتنا، اللهم لا تخذلنا في يومٍ نحبُّ فيه نُصرتك، اللهم نسألكَ الشهادةَ في سبيلك خالصةً لوجهك الكريم، لا نفاق ولا رياء ولا فتنة . اللهم شتت شمل الأعداء، وفرِّق جمعهم، وانصرنا عليهم يا رب العالمين، أقول هذا القول وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمدُ لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، سيِّدِنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

فيقول الله عز وجل في كتابه العزيز: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفاً فَلاَ تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ * وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفاً لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاء بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ * فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ**

اللَّـهَ رَمَى وَلِيُبْـلِـيَ الْـمُؤْمِنِينَ مِنْـهُ بَـلاءً حَسَناً إِنَّ اللَّـهَ سَـمِيعٌ عَلِـيمٌ * ذَلِكُـمْ وَأَنَّ اللَّـهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ﴾ .

ويقـول عـزَّ وجـل أيـضاً: ﴿**يَـا أَيُّهَـا الَّـذِينَ آمَنُـواْ إِذَا لَقِيـتُمْ فِئَـةً فَـاثْبُتُواْ وَاذْكُـرُواْ اللَّـهَ كَثِـيرًا لَّعَلَّكُـمْ تُفْلَحُـونَ﴾** ، ويقـول الرسـول الكـريم عليـه الصلاة والسلام: «يـا أيهـا النـاسُ لا تتمنَّـوا لقـاء العـدو، واسـألوا الله العافيـة، فـإذا لقيتمُـوهُم فاصـبروا، واعلمـوا أنَّ الجنـةَ تحـت ظـلالِ الـسيوف ». وحـذَّرَ عليـه الـصلاة والـسلام مـن الفـرارِ مـن سـاحة ا لمعركـة، وجعـل التـولِّيَ يـومَ الزحـفِ مـن الـسبع الموبقـات؟ وبـيَّنَ عليـه الـصلاة والـسلام أن مـا يجـدهُ الشهيدُ من مسِّ القتل، كما يجِدُهُ أحَدُكُم من مسِّ القرصةِ.

أيها الإخوة الكـرام، أيهـا المؤمنـون: إنَّ أمَّـةَ الإسـلام، هـي أمـةُ الجهـاد، وهـي أمـةُ الابـتلاء، ولا مجـال للفـرار مـن الحقـائقِ، فالتـاريخُ شـاهدٌ عـلى ذلـك، ولم تخـرج الأمـة مـن أزماتِهـا المتلاحقَـةِ عـبر التـاريخ، إلا بالوحـدةِ والجهـادِ والـصبرِ، فـالحملاتُ الـصليبيةُ، والجحافـلُ التتريـةُ، والهجـماتُ المغوليـة كلُّهـا تحطَّمـت أمـام كتائـب المجاهـدينَ الـصادقينَ مـن أبنـاء هـذه الأمـة. ولم تُعقـم أرحـامُ النـساءِ بعـدُ، فهـؤلاءِ المجاهـدون في هـذا العـصر في كثـير مـن البـــلاد قـد ضربـوا لنـا مـثلاً حيـاً في أنَّ النـصر مـن عنـد الله، وأنَّ هذه الأمةَ لا يزالُ فيها الخير، والقوة، حتى تقومَ الساعةُ.

أيهـا المؤمنـون: إن الجهـادَ في مفهـومِ هـذا الـدين، لا ينتهـي بمجـرَّدِ تحريـرِ الأرض، أو ردِّ العـدو الغاشـم، بـل هـو فريـضةُ الأمـة وواجِبُهـا، وروحُهـا، وسرُّ بقائِهـا، لا ينتهـي حتـى يـسودَ سـلطانُ الإسـلام الأرضَ

كلَّها، وحتى لا تكـونَ فتنـةٌ، ويكـونَ الـدين لله وحـده. فالجهـادُ مـاضٍ إلى يـوم القيامةِ، يُعَزُّ به المؤمنـون، ويُـذلُّ بـه المجرمـون، يقـول عليـه الـصلاة والـسلام: «لا تزال طائفةٌ من أمتي يقـاتلونَ عـلى الحـقِ ظـاهرينَ عـلى مـن نـاوأهُم، حتـى يُقاتلَ آخِرُهُم المسيحَ الدَّجَّال».

ونختـمُ الكـلامَ بـذكرِ كتـاب عمَـرَ بـنِ الخطـابِ رضي الله عنـه لجيـشِهِ الضَّارِبِ في بـلادِ الفـرسِ وقائِـدِهم حيـث قـال: «أمـا بعـد، فـإني آمُـرُكَ ومـن معـكَ مـن الأجنـاد بتقـوى الله عـلى كـلِّ حـال، فـإن تقـوى الله أفـضلُ العُـدَةِ على العدو، وأقـوى المكيـدةِ في الحـرب، وآمُـرُكَ ومـن معَـكَ، أن تكونـوا أشـدَّ احتراساً من المعاصي مـنكم مـن عـدوِّكُم، فـإنَّ ذنـوبَ الجيشِ أخـوفُ علـيهم مـن عـدوِّهم، وإنـما يُنـصرُ المـسلمون بمعـصيةِ عـدوهم لله، ولـولا ذلـك لم تكـن لنـا بهـم قـوة، لأنَّ عـدَدَنا لـيسَ كعـددهم، ولا عـدتُنا كعُـدَّتِهم، فـإن استوينا في المعـصيةِ كـانَ لهـم الفـضلُ في القـوة علينـا، واعلمـوا أنَّ علـيكم في سـيركم حفظـةً مـن الله (وهُـمُ الملائكـة) يعلمـونَ مـا تفعلـون، فاسـتحيوا مـنهم، ولا تعملـوا بمعـاصي الله وأنـتم في سـبيله، ولا تقولـوا: عـدوُّنا شرٌ منـا، فلـن يُـسَلَّطَ علينـا، فـرُبَ قـومٍ سـلَّطَ اللهُ علـيهم شراً مـنهم، واسـألوا الله العـونَ عـلى أنفُـسِكُم كـما تـسألونه النـصر عـلى عـدوِّكُم، أسـألُ اللهَ ذلـك لنـا ولكم».

أكثروا من الـصلاة والـسلام عـلى خـير البريـة أجمعـين، فقـد أمـرَكُم اللهُ بـذلك فقـال عـز وجـل: ﴿**إِنَّ اللَّـهَ وَمَلائِكَتَـهُ يُـصَلُّونَ عَـلَى النَّبِـيِّ يَاأَيُّهَـا الَّـذِينَ آمَنُـوا صَـلُّوا عَلَيْـهِ وَسَـلِّمُوا تَـسْلِيمًا**﴾، اللهـم صـلِّ وسـلم وبـارك عـلى نبينـا محمـد وعـلى آلـه وصحبـه أجمعـين، وارض اللهـم عـن الـصحابـة والتابعـين، ومـن تبعهـم بإحـسان إلى يـوم الـدين، وعنـا

معهم برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم أعزَّ الإسلامَ والمسلمين، وأذلَّ الشرك والمشركين، ودمِّر أعداء الدين من الكفار، والمرتدين، وسائر الكفرة المعاندين، اللهم اشدُدْ وطأتك عليهم، اللهم أرنا فيهم عجائبَ قدرتك، اللهم أنزل بهم بأسك الذي لا يُردُّ عن القوم ا لمجرمين، اللهم وارفع رايةَ الجهاد في سبيلك، واجعلها راية صدق وحق ، لا نفاق ولا رياء. اللهم آمنا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا وأيدهم بالحق يا رب العالمين، واجعل اللهم ولايتنا في عهد من خافك واتقاك، واتبع هداك طالباً رضاك يا ربَّ العالمين.

اللهم من أرادنا وأراد المسلمينَ وهذه البلادَ بسوء، فاجعل له في نفسه شُغْلاً، وردَّ كيدَه في نحره، وسلِّط عليه من يسومُهُ سوءَ العذاب، بعدلك يا رب العالمين، اللهم ونجِّ الضعفة والمساكين من الدمار والهلاك يا رب العالمين.

اللهم أنت نصيرُنا، وأنت وليُّنا، بك نجُول، وبكَ نصُول، وبك نقاتل، اللهم مُنْزِلَ الكتاب، ومُجْريَ السحاب، وهازمَ الأحزابِ، اهزِم حزب الشيطان، وانصرنا عليهم يا أرحم الراحمين. ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من القوم الظالمين. اللهم لا تفرق هذا الجمع إلا بذنب مغفور، وعملٍ متقبلٍ مبرور، وتجارةٍ لن تبور، واغفر لنا في جميع الأمور، يا عزيزُ يا غفور.

ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

٢- مواقف جهادية في التاريخ الإسلامي

الخطبة الأولى:

الحمدُ لله الذي أعزَّ المؤمنينَ بالجهاد، وقَمَعَ الكافرينَ بالفساد، رفعَ أولياءَهُ المتقين، وحطَّ أعداءَهُ الفاجرين. شرعَ الجهادَ لإقامة حجَّتِهِ، وأمرَ بالقتالِ لإعلاءِ كلمتِهِ. أمرَ المجاهدينَ بالكفاحِ، ووعدَهُم بالفوزِ والفلاح، المقتولُ منهم في رحمته، والناجي منهم في فضلِهِ ومنَّتِهِ. أرواحُهُم في ذات الله تعالى رخيصةٌ، ونفوسُهم في سبيل مرضاتِهِ قليلةٌ. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، نصرَ عبده وهزمَ الأحزابَ وحده، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله خيرُ الخلقِ أجمعين، وإمامُ المجاهدينَ المتقِينَ. أرسله ربُّه عزَّ وجلَّ بالهدى والنور، وأيَّده بالمؤمنين، فأقامَ الدينَ، ونشر الحق، وجاهدَ في الله حق جهاده، حتى أتاه اليقين، فصلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد فإن الله تعالى يقول:

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ ﴾، ويقول أيضاً: **﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾**،

ويقول أيضاً: ﴿ وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ، ويقول سبحانه أيضاً: ﴿ انفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ .

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم: « أُمرتُ أن أقاتلَ الناسَ حتى يقولوا لا إله إلا الله »، ويقول أيضاً: « رأسُ الأمر الإسلام، وعَمُودُهُ الصلاة، وذِروةُ سنامِهِ الجهاد»، ويقول أيضاً: «إنَّ في الجنَّةِ مائةَ درجةٍ أعدَّها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتينِ كما بين السماء والأرض»، ويقول أيضاً: «تكفَّلَ اللهُ لمن خرج في سبيله لا يُخرجُهُ إلا جهادٌ في سبيلي، وإيمانٌ بي، وتصديقٌ برسلي، فهو عليَّ ضامنٌ أن أُدخِلَهُ الجنة، أو أَرجِعَهُ إلى منزله الذي خرجَ منه بما نالَ من أجرٍ أو غنيمة، والذي نفسُ محمدٍ بيده، ما من كَلْمٍ يُكْلَمُ في سبيل الله – يعني ما من جُرحٍ يُجْرَحُ في سبيل الله – إلا جاء يومَ القيامة كهيئته يوم كُلِمَ، لونُهُ لونُ الدم، وريحُهُ ريحُ المسك. والذي نفسُ محمدٍ بيده، لولا أن يَشُقَّ على المسلمينَ ما قعدتُ خلاف سريةٍ تغزو في سبيل الله أبداً، ولكن لا أجدُ سَعَةً فأحمِلُهُم، ولا يجدون سعةً، ويشُقُّ عليهم أن يتخلَّفوا عني، والذي نفسُ محمدٍ بيده لوددتُ أن أغزوَ في سبيل الله فأقتَلَ، ثم أغزو فأُقتلَ، ثم أغزوَ فأقتلَ». ولما سُئل عليه الصلاة والسلام عن خير الناس قال: «رجلٌ مُمسِكٌ عِنانَ فرسِهِ في سبيل الله، يطيرُ على متنِهِ، كلَّما سمعَ هيعةً أو فزعةً

طار عليه: يبتغي القتلَ أو الموتَ مظانَّهُ». ولما سأله معاذُ بن عفراء رضي الله عنه فقال: «يا رسول الله ما يُضحكُ الربَّ من عبده؟ قال: غمْسُهُ يدَه في العدوِ حاسراً، فألقى درعاً كانت عليه، وقاتَلَ حتى قُتِلَ».

أيها الإخوة المسلمون: إنَّ هذه النصوصَ القرآنيةَ، والتوجيهاتِ النبويةَ، كانت ولا تزال تفعلُ فعلها في نفوسِ المسلمين، فتُحيي فيهم محبة الجهاد، وتربيهم على حبِّ الاستشهاد، حتى ظهرَ من بعض المسلمين من المواقف البطولية، والأعمالِ الاستشهادية ما يعجبُ منه التاريخ، ويستغربُ له الزمان. فهذا أسدُ الله وأسدُ رسولِهِ صلى الله عليه وسلم حمزةُ بنُ عبد المطلب قاتلَ يومَ أحدٍ بسيفين، ففعل في المشركين ما فعلَ حتى قُتل، ومَثَّلَ به المشركون، فوقفَ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: « لولا جَزَعُ النساءِ لتركتُهُ حتى يُحشرَ من حواصلِ الطير وبطون السباع ». وهذا عبد الله بن عمرو بن حرام يقول لولده جابر رضي الله عنه: « إني معرِّضٌ نفسي للموت، وما أراني إلا مقتولاً في أول من يُقتل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم»، فكان أوَّلَ من يُقتل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان أوَّلَ شهيد يومَ أحدٍ، أظلَّتْهُ الملائكةُ يومها حتى رُفع، وكلَّمهُ ربُّهُ بلا واسطة. وهذا سعدُ بنُ الربيع يسقط يومَ أحدٍ متأثِّراً بجِراحه، ومع ذلكَ يبعثُ إلى قومِهِ رسالةً يقولُ فيها: «إن سعداً يقولُ لكم: إنه لا عذرَ لكم عند الله إن خُلِصَ إلى نبيِّكُم ومنكم عينٌ تَطْرِف ». وهذا عبد الله بن جحش صاحبُ الهجرتين، وأولُ أمير في الإسلام، لما خرجَ يومَ أحدٍ دعا ربه فقال: «اللهم أقسمُ عليك أن

نلقى العدوَّ، فإذا لقينا العدوَّ أن يقتلوني، ثم يبقروا بطني، ثم يمثِّلوا بي، فإذا لقيتُك سألتني فيمَ هذا، فأقول فيكَ». فكان كما دعا. وهذا عمرو بن الجموح رضي الله عنه يُصِرُّ على الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم رغمَ عرْجَةٍ كانت فيه، ثم يدعو عند خروجه فيقول: « اللهم لا تردني ». فلما سمعَ النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «قوموا إلى جنَّةٍ عرضُها السماوات والأرض» قام وهو يعرجُ ويقول: «والله لا قحزنَّ عليها في الجنة»؛ يعني لأثبنَّ عليها في الجنة، فقاتل حتى قُتل . وهذا خيثمةُ بن الحارث وولده سعدٌ يقترعان على الخروج يوم بدر، فقال خيثمةُ لولدِهِ سعدٌ: «آثرني بالخروج وأقم مع النساء، فقال: يا أبت لو كان غيرَ الجنةِ لآثرتُكَ به». فخرج سعدٌ فقتلَ يوم بدر، وخرج أبوه خيثمةُ فقتل يومَ أحد. وهذا جعفرُ بن أبي طالب رضي الله عنه يوم مؤتة، عَقَرَ جواده، وحملَ الرايةَ فقاتلَ بها حتى قُتل، فإذا به نحوٌ من خمسين ضربةً ليس شيءٌ منها في قفاه.

وفي يومِ اليمامةِ خرجَ أبو عقيل عبد الرحمن بن ثعلبة الأنصاري رضي الله عنه: فجُرحَ وحُمِلَ للعلاج، فلما سمعَ مناديَ الأنصار يصيحُ بهم: خرج يزحفُ حتى قُتل. وهذا زيد بنُ الخطابِ أخو عمر بن الخطاب رضي الله عنهما خرج يوم اليمامة بلا درع، فلما كانت المعركةُ قال: «يا أيها الناس عَضُّوا على أضراسِكُم، واضربوا في عدوِّكم، وامضوا قُدُماً، والله لا أتكلَّمُ حتى يهزمَهُمُ اللهُ، أو ألقى اللهَ فَأُكَلِّمَهُ بحجَّتي»، فقاتل يومها

حتى قتل. وهذا سالمٌ مولى أبي حذيفةَ رضي الله عنهما حفرَ لنفسه حفرةً يومَ اليمامة ومعه رايةُ المسلمين فوقفَ فيها يقاتلُ حتى قُتل. وهذا البراء ابن مالك الأنصاري رضي الله عنه البطل الذي لا يهابُ الموت، لما تحصَّنَ مُسَيلِمَةُ الكذاب في حديقته، وعَجَزَ المسلمونَ عن اقْتحامِ أسوارِ الحديقةِ: قال لهمُ البراءُ: « يا معشرَ المسلمينَ ألقوني إليهم »، فحملوه على رماحِهِم حتى ألقوهُ من فوقِ الأسوارِ فأخذَ يُقاتلُهُم وحدَهُ حتى فتحَ بابَ الحديقةِ، وقد أصيبَ رضي الله عنه بثمانينَ جرحاً. وفي معركةَ أجنادين بأرض فلسطينَ تأخَّر المسلمونَ فقامَ هشامُ بن العاصِ رضي الله عنه فقال: «يا معشرَ المسلمينَ أنا هِشَامُ بنُ العاص أمِنَ الجنَّة تفرون» ، فقاتل حتى قُتل، فوقع في مكانٍ ضيِّق فمرت عليه الخيول فقطَّعت جسدَهُ رضي الله عنه. وهذا البطلُ عبد الله بنُ الزبير بن عبد المطلب رضي الله عنه أسلَمَ بعدَ الفتح، وكان يحبُّ المبارزة لا يصبرُ عنها، ففي إحدى المعارِك مع الروم وُجدَ رضي الله عنه مقتولاً بين عشرةٍ من الروم قد قتلهم، والعجيبُ أنهم وجدوا سيفَهُ لاصِقاً بيده، قد صبَّ عليه مادة صمغيةً حتى لا يفلُتَ منه.

أيها الإخوة: إنها صورٌ يعجزُ اللسانُ أن يعبِّرَ عنها، ولكنها حقائقُ وعجائبُ أخرجها هذا الدين.

أقول ما سمعتم وأستغفر الله تعالى لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمـدُ لله المتفـرِّد بالملـكِ والملكـوت، المخـتص بـالعزَّة والجـبروت، الناصرِ لأوليائِـهِ، المنتقمِ مـن أعدائِـهِ. أحمـده وحـده لا شريـك لـه، وأسـتغفره وأتوب إليه ، ولا حول ولا قوة إلا به. أما بعد:

فـإنَّ أمَّـةَ الإسـلام لم تُخلَـقْ لتـزول، ولم تُوجـد لتنتهـي، بـل هـي الأمـةُ الـشاهدةُ الباقيـةُ إلى آخـر الـدهر، لا ينقـضي خيرهـا، ولا يـزولُ أثرُهـا، فهـذا العطـاءُ الجهـادي لم ينقطـع بـانقراض جيـل الـصحابة أو التـابعين بـل هـو مستمرٌ في كـلِّ جيـلٍ حتـى عـصرنا الحـديث. فهـذا التـابعي البطـل علبـاءُ بـن جحش العجلي شاركَ في معركَـةِ القادسـية، وقبـل بدايـةِ المعركـةِ بـرَزَ لـه رجـلٌ مـن المجـوسِ فبـارزه، فـضربَ علبـاءُ صـدر الرجـل فـشقَّهُ، وضربَ الرجـلُ بطـنَ علبـاءٍ فخرجـت أمعـاؤهُ، فأخـذَ يعـالجُ أمعـاءَهُ حتـى يرجعَهَـا إلى بطنِـهِ فَعَجَـزَ عـن ذلـك، فمـرَّ بـه رجـلٌ مـن المـسلمين فقـال : « يـا هـذا أعنِّـي عـلى بطني »، فأعانـه وحـزمَ بطنَـهُ، فـإذا بـه يأخُـذُ سـيفَهُ ويزحـفُ تجاه العـدو مـرَّة أخـرى دون أن يلتفـتَ إلى الـوراء ويتقـدَّمُ خُطُـواتٍ، ثـم يقـضي نحبـه ميتـاً في سبيل الله. وهـذا البطـلُ عـلي بـن أسـد، شـاركَ في بعـض المعـارك البحريـة مـع الروم، ولما تقابلـت سـفنُ المـسلمينَ مـع سـفن الـرومِ قـال الرجـلُ: «لا أطلـبُ الجنَّـةَ بعـد اليـوم»، ثـم اقـتحمَ عـلى إحـدى سـفنِ الـروم وحـدَهُ، وأخـذَ يُقـاتلهم، فانحـازوا إلى إحـدى جهـات الـسفينة، فاختـلَّ توازُنهـا، فانكفـأت بهـم في المـاء وغـرِقَ الجميـعُ. وهـذا المجاهـدُ عمـرُ المختـار الـسنوسي الليبـي جاهدَ الاستعمارَ الإيطـالي عـشرينَ سـنة، قـام فيهـا بـأكثرَ مـن مـائتينِ وخمـسينَ

معركـةً حتـى أُسِرَ في نهايـةِ المطــافِ وأُعـدِمَ وهـو ابـن ثـلاثٍ وسـبعينَ سـنةً. وهذا عزُّ الـدينِ القـسام جاهـدَ الفرنـسيين، ثـم الإنجليـز، ثـم اليهـودَ في أرضِ فلـسطين والـشام حتـى قُتِـلَ رحمـه الله. وهـذا الـشابُ الفلـسطيني رائـدُ زكارنة، لم يتجاوز التاسعةَ عـشرةَ مـن عمـره، اختفـى عـن النـاس أربعـة أشـهرٍ ثم فاجأ العَالَمَ بـأوَّلِ عمليـةٍ فدائيـةٍ مـن نوعهـا في أرضِ فلـسطينَ؛ حيـث فجَّـر سـيارةً ملغومـةً فقتـلَ سـبعةً مـن اليهـود وجـرحَ اثنـينِ وخمـسينَ ومـاتَ بيـنهم رحمه الله. وهـذا الـشابُ عـمادُ عقـل الـذي لم تكـن رصاصـاتُهُ لتخطـئَ صـدور وظهـورَ ورؤوسَ اليهـود، فقـد أَزعَجَهُـم دهـراً مـن الـزمن، وحـاصروه أكثـرَ من مـرةٍ بالطـائرات والمـصفَّحات ولكـن دون جـدوى، حتـى حُـوصر في آخـرِ مـرةٍ وضُـربَ بالـصواريخِ فلـما عثـروا عليـه أفرغـوا في رأسـه سـبعينَ رصاصـةً انتقاماً منه.

أيهـا الإخـوة: إنهـا بطـولاتُ الإسـلامِ وعطـاءُ هـذا الـدين الـذي أراد الله تعـالى لـه البقـاءَ والـدوامَ بعـز عزيـز أو بـذل ذليـل. فليعمـلِ الأعـداءُ مـا شـاءوا، وليـدبِّروا مـا أرادوا، فـإن الله تعـالى مـن ورائهـم محـيط، وهـو القائـل في كتابـه العزيـز: ﴿ **وَإِن تَـصْبِرُواْ وَتَتَّقُـواْ لاَ يَـضُرُّكُمْ كَيْـدُهُمْ شَـيْئًا إِنَّ اللَّـهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ** ﴾.

٣- سنة الله في النصر والتمكين

الخطبة الأولى:

إنَّ الحمدَ لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هاديَ له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهدُ أن محمداً عبده ورسوله، أتقى البريةِ أجمعين، ورسولُ ربِّ العالمين، أرسلَهُ بالهدى ودين الحق، فبلَّغَ الرسالة، وأدَّى الأمانة، ونصح الأمة، حتى تركَهَا على المحجَّةِ البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك. أما بعد:

فإنَّ أصدقَ الحديثِ كتابُ الله، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ صلى الله عليه وسلم، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكلَّ محدثةٍ بدعة، وكلَّ بدعة ضلالة، وكلَّ ضلالة في النار.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ .

أيها المسلمون: إنَّ الناظرَ في صفحات التاريخ الإنسانيِّ الطويل: يجدُ أمماً اختصها الله تعالى بالخير، وحبَّبَ إليها الرشدَ، فلا تعملُ إلا على هدى، ولا تنقاد إلا للحق، ولا تتطلَّعُ إلا إلى الآخرة. وفي الجانب الآخر يجدُ الناظرُ في هذا التاريخ صفحاتٍ أخرى لأممٍ اختصها الله تعالى بالشَّر، وكرَّه إليها الخيرَ، فلا تنقاد إلى الحق، ولا تعملُ على هدى. فأُمَمُ التوحيدِ التي مرَّت عبر التاريخِ الإنساني، منذ أوَّلِ الخليقَةِ: اختصَّها الله تعالى بالخير، وحَبَاها بالفضل، فكانت مفتاحاً لكلِّ خير، ومغْلاقاً لكلِّ شر، فما زالت أممُ التوحيد تتوارثُ الفضائِلَ، وتتناهى عن القبائح، ترثُ الأجيال المؤمنةُ من سَلَفها الصالح: فعلَ الخيراتِ، وتركَ المنكراتِ، فلا تَضُرُّهُم مخالفةُ المخالفين، ولا ضلالُ الضالين، ولا شركُ المشركين. فهم على طريقِ الهدى سائرون، وبنهج الأنبياء مُقْتَدون، وبنور الوحي يستضيئون. حتى إذا أرادَ اللهُ تعالى فناءَ الدنيا، ونهايةَ العالَمِ: ختمَ النبواتِ بسيِّدِ الخلق، وحبيبِ الحقِّ محمدٍ صلى الله عليه وسلم، وختمَ معه الأممَ بأمةِ الإسلام، فجعلهم أئمةَ الناس، وساداتِ الخلق، حتى خصَّ جُملتهم بالفضائل، ونزَّه مجمُوعَهم عن الرذائل، فما من فضيلة خصَّ الله تعالى بها أمةً من الأممِ السابقة إلا وهي موجودةٌ في أهل الإسلام، وما من رحمةٍ أنعمَ بها سبحانه وتعالى على أمة من الأمم إلا جعلَ في أمَّةِ الإسلام أضعافَها، حتى نالت بفضل الله تعالى محاسِنَ الأولينَ، وفضائِلَ الآخرينَ، فلم يفتْها خيرٌ في السابق أو اللاحق.

ولئِن كانت أمَّةُ الإسلام اليومَ على غير هذا المعنى في واقع حياتها: فإنها مدعوةٌ في كلِّ حينٍ إلى العودةِ إلى مكانتها، والصعود إلى قمَّتها، والرجوعِ إلى موقع قيادتها. فدينها محفوظٌ من التبديل، وثرواتها متوافرة كثيرة، وشعوبُها خلْقٌ بلا عدد. فليس على الأمة سوى أن تُعدِّلَ ما بنفسها، فتبادرَ إلى الحق لتأخذه بقوة: ﴿ **وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾. هذا وعدٌ من الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم ولأمَّتِهِ من بعده فهم خُلفاءُ الأرض، وأئِمَّةُ الناس، وأوصياء الله على خلْقِهِ، لا تصلحُ الدنيا إلا بهم، ولا تنعمُ الحياة إلا على أيديهم.

ولقد تحقَّقَ هذا الوعدُ الرباني للأمة الإسلامية في زمنها الأول بعد أن كانت مستضعفةً ذليلةً، فقويت بفضل الله تعالى، وعزَّت بدينه. فلما أن تُوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتولى بعدَه خلفاؤُهُ الراشدونَ في أقلَّ من ثلاثين عاماً من البعثةِ حتى كانت دولةُ الإسلامِ تُظلُّ الأرضَ، وتنشر النور، وتهدي الضال.

أيها الإخوة: إن أمَّةَ الإسلامِ هي الأمةُ الوحيدة اليوم، التي تحملُ وثيقةً صحيحةً عن ربِّ العالمين، فليسَ في الأرض أمَّةٌ من الأمم تستطيع أن تهتدي إلى الحق إلا عن طريق أمَّةِ الإسلام، فهي الأمَّةُ الوحيدةُ المؤهلةُ

لهداية الناس، ومن ثمَّ قيادَتِهم بأمر الله تعالى نحو الحقِ والخير. وها هي أُمَمُ الأرض اليوم، رغمَ تقدُّمِ كثيرٍ منها في النواحي التقنيَّةِ والماديةِ: تتخبَّطُ في دروب الضلال الروحي، فلا تهتدي إلى شيء.

فإذا جازَ لعبدةِ الصُّلبانِ، والأوثانِ، والطواغيتِ أن يُحرزوا لأُمَمِهم التقدمَ المادي، ويحقِّقُوا لشعوبِهم السبقَ الحضاري: أفلا يكونُ ذلك ممكِناً لأمة التوحيد؟ إلا أن تقدُّمَ الأمة المسلمة في الميدان الحضاري المادي مربوطٌ بازدهار عقيدتها، ومرهونٌ بسلامةِ سلوكها، فلن يتحقَّقَ لها التقدمُ المطلوبُ إلا في ظلِّ دينها، ورحمةِ شريعتها. وما كانَ اللهُ تعالى ليبدِّلَ سنةً أجراها في كونِهِ من أجلِ تقاعسِ المسلمينَ وتخاذلهم، ولو كان ذلك ممكناً لكانت أمَّةُ الإسلام أحقَّ الأممِ بنصر الله تعالى وتمكينه بغير عمل؛ لكونها أقربَ الأممِ إلى الحقِ، وأحبَّ الأمم إلى الله تعالى. ولكن اقتضت سنَّتُهُ أن يُعطيَ المؤمنينَ من الدنيا بقدر إيمانهم وعملهم، ثم تكونُ لهم الآخرةُ خالصةً من دون غيرهم. وأمَّا الأممُ الكافرةُ فإنَّ الله تعالى يفتحُ عليهم من كنوز الدنيا بقدْرِ جدِّهم فيها، حتى إذا كانت الآخرةُ لم يكن لهم فيها نصيب. فهذه أُمَمُ النصارى كيفَ كان حالُهم قبل مائتي سنة، قبل أن يأخذوا بأسباب التفوق المادي؟ وهذه أمَّةُ اليابانِ كيفَ كانَ حالُهُم قبل مائة عام؟ بل أين كانت أمَّةُ اليهودِ قبل خمسين عاماً؟ فإنَّ العبرةَ كلَّ العبرةِ في خبرِهم، فهم على قلَّتهم، وتفرُّقِهم في الأرض: أقبحُ شعوبِ الدنيا، وأرذلُ خلقِ الله تعالى، وأبغضُ الناسِ إلى الناس، حتى لا تكادَ تجدُ أحداً يُحبُّهُم، أو يستلطِفُهُم، فما زالوا منذ قرونٍ متطاولةٍ يقاومونَ الفناء والإبادة، فقد تسلَّطت عليهم كثيرٌ من شعوبِ

الـدنيا بالقتـل والتنكيـل، في فـترات متعـددةٍ مـن تـاريخهم الطويـل، ابتـداءً بالفراعنـةِ، والآشـوريين، والكلـدانيين، والرومـان، والنـصارى الأوائـل، والمـسلمون فـيما بعـد. ومـروراً في العـصور المتوسـطةِ بـالإنجليزِ والفرنـسيينَ، والأسبانِ، والقيـاصرةِ في روسـيا، حتـى ختـمَ الألمـانُ آخـرَ مـآسي اليهـود قبـل سـتين عامـاً. ومـع كـلِّ هـذه النكبـاتِ المتلاحقـة، وأعـمالِ الإبـادةِ الجماعيـة والتنكيـل، صـمدَ اليهـودُ أمـامَ أسـباب الفنـاء، وتحوصـلوا وتـشرذموا، وأخـذوا بأسـبابِ التمكـين في الأرض – ضـمن سـنة الله تعـالى – فعملـوا وجَدُّوا، وخاضـوا كـلَّ مفـازةٍ خطـيرةٍ، وطريقـةٍ حقـيرةٍ: ليـصلوا إلى مـآربهم. فلما انقضى القـرنُ العـشرونَ حتـى أصـبحَ لهـم دولـةٌ تـتكلَّمُ باسـمهم، وأصـبحَ لهم كيانٌ يعمـل بـأمرِهم. وأحـرزوا مـع ذلـك قـدْراً مـن التقـدم المـادي الـذي يُـؤهلُهُم للـصَّفِ مـع الـدولِ المتقدمـة، إلى جانـب تنفُّـذِهم في كثـيرٍ مـن سياسـات الـدول، ودخـولِهم في اقتـصادياتِ العـالم، ومـواردِهِ الحيويـة. كـلُّ ذلك رغم مـا كـانوا عليـه عـبر غالـب فـترات تـاريخهم مـن المهانـة والاحتقـار والـضياع. فهـم مـع كـل هـذا لم يخرجـوا عـن سـنَّةِ الله تعـالى الـذي أَذِنَ لهـم بـالتفوُّق في آخـر الزمـان، كـما أن سـنَّتَهُ لـن تفوتَــهُم في إبـادتهم عـلى أيـدي المـسلمين مـن جديـد، حـين يكـونُ المـسلمون عـلى مـستوى ديـنهم: عقيـدةً وسـلوكاً. أعـوذ بـالله مـن الـشيطان الـرجيم: ﴿ **وَقَـضَيْنَا إِلَى بَنِـي إِسْرَائِيـلَ فِي الْكِتَـابِ لَتُفْـسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَـرَّتَيْنِ وَلَـتَعْلُنَّ عُلُـوًّا كَبِـيرًا * فَـإِذَا جَـاء وَعْـدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَـا عَلَـيْكُمْ عِبَـادًا لَّنَـا أُوْلِي بَـأْسٍ شَـدِيدٍ فَجَاسُـواْ خِـلاَلَ الـدِّيَارِ وَكَـانَ وَعْـدًا مَّفْعُـولاً * ثُـمَّ رَدَدْنَـا لَكُـمُ الْكَـرَّةَ عَلَـيْهِمْ وَأَمْـدَدْنَاكُم بِـأَمْوَالٍ وَبَنِـينَ وَجَعَلْنَـاكُمْ أَكْثَـرَ نَفِـيرًا * إِنْ أَحْـسَنتُمْ أَحْـسَنتُمْ لأَنفُـسِكُمْ وَإِنْ أَسَـأْتُمْ فَلَهَـا فَـإِذَا**

جَاء وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوؤُواْ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُواْ الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيرًا * عَسَى رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ .

أقول هذا القول وأستغفر الله تعالى لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمدُ لله الذي لا يُحمَدُ على مكروهٍ سواه، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن سيِّدنا محمداً رسول الله، صاحبُ المقام المحمود، والحوضِ المورود، والشفاعة الكبرى صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

فإنَّ الناظرَ في أحوالِ المسلمينَ اليوم يجد أن الأمة غيرُ جادةٍ في الأخذِ بأسباب النَّصرِ والتمكين، سواءٌ كان ذلك في أمر دينها، أو في أمر دنياها. كما أنَّ الأسبابَ التي أُتخذت للإصلاح لا ترقى لحجم الانحرافات التي وصلت إليها الأمَّةُ في شؤون دينها، وشؤون دنياها. وما لم تتنبَّهِ الأمَّةُ لحالها، وتتيقَّظْ للخطرِ فإنَّ تردِّيَ الأوضاعِ سوفَ يكون عامًّاً لا يكادُ ينجو منه أحد، خاصةً في السنواتِ القادمةِ التي يخطِّطُ فيها الغربيون واليهود للسيطرةِ الكاملةِ على اقتصادياتِ العالم، وموارِدِ الطاقة، ووسائلِ الإنتاج والتسويق. وما سوف يرافقُ ذلك من السيطرةِ

التامةِ على وسائلِ الإعلامِ والاتصال والدعاية. بحيث يتحكَّمونَ في أرزاق الناس من جهة، ويصوغونَ فكْرَهُم وتوجُّهاتِهِم من جهة أخرى. دونَ أن يكونَ لأصحابِ الحق، أصحابِ الرسالةِ الخالدةِ أيُّ دورٍ يقومون به، سوى أن يكونوا أُجرَاءَ مخلصينَ لقوى التسلُّطِ والطغيان، يأتمرون بأمرِهِم، ويعملون في مصالِحِهم.

أيها الإخوة: لا تظنوا أن الله تعالى غافلٌ عن كيد هؤلاء، وإنما يُمهِّد لهم ضمن سنته، حتى إذا أخذهم لم يُفلتهم، كما قال في كتابه العزيز: ﴿ **فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُواْ بِمَا أُوتُواْ أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ * فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ وَالْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾. وهذه السنة لا تتحقق إلا حين يكون أولياء الله تعالى قد أفرغوا وُسْعهم في الأخذ بالأسباب، واستقاموا على أمر الله، وعندها يأتي الله تعالى بالفرج والتمكين.

٤- تعظيم دماء المسلمين

الخطبة الأولى:

الحمدُ لله الكريمِ المنان، العظيم الجبَّار، أمرَ بالوحدةِ والائتلاف، ونهى عن الفُرقةِ والاختلاف، وأمرَ بتعظيم دماءِ المسلمين.

أحمَدُهُ وأستعينه وأستغفره، وأعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، ومن سوء أخلاقنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هاديَ له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن سيِّدَنا محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كلِّه، ولو كره المشركون . أما بعد:

فاتقوا الله أيها المسلمون، وأصْلحوا ذات بينكم، فإن فسادَ ذاتِ البين، هي الحالقة، التي تحلقُ الدين، وتذهبُ به. وقد وصف الله عزَّ وجلَّ حال المؤمنين فقال: ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ** ﴾ ، وقال: ﴿ **وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ** ﴾ . ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «المسلم أخو المسلم، لا يظلِمهُ ولا يُسْلمُهُ، من كان في حاجَةِ أخيه كان الله في حاجته، ومن فرَّجَ عن مسلم كربة، فرَّجَ اللهُ بها عنه كربةً من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً، ستره الله يوم القيامة»، ويقول أيضاً: «المؤمنُ مرآةُ المؤمن، والمؤمن أخو المؤمن ، يكفُّ عليه ضيعَتَهُ، ويحوطُهُ من ورائِهِ»، ورُوي عنه أيضاً أنه قال:

«مثلُ المؤمنِ وأخيهِ كمثل الكفَّين، تُنقِّي أَحَدُهما الأخرى»، ويقول أيضاً: « مثلُ المؤمنينَ في تـوادِّهم وتـراحُمِهم وتعاطُفِهم مثلُ الجسد، إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائرُ الجسد بالسهر والحمى»، ويقول: «المؤمنُ للمؤمنِ كالبنيان، يشدُّ بعضُهُ بعضاً»، ويقول: «المؤمنونَ كرجلٍ واحد، إن اشتكى رأسُهُ تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر»، وفي رواية: «المؤمنونَ كرجلٍ واحد إن اشتكى رأسُهُ اشتكى كلُّه، وإن اشتكى عينُهُ اشتكى كلُّه».

أيها المسلمون: إنه ليس من أمةٍ لديها من نصوص شرْعِها الآمرةِ بالوحدةِ والائتلاف، ونبذِ الفرقةِ والاختلاف، كما هو لأمة الإسلام، فالنصوصُ من كتابِ الله، وسنَّةِ رسوله صلى الله عليه وسلم كثيرةٌ لا تكادُ تُحصى، ومع هذا نجد واقعَ المسلمينَ اليوم يعاكسُ تماماً ما أمرَ اللهُ به ورسوله صلى الله عليه وسلم. فتجد الاختلافَ على جميعِ المستويات، وفي جميعِ طبقاتِ الناس، حتى لكأنها أمّةٌ لم تعرفِ الوحدةَ من قبل، ولم تعرفِ الرحمَةَ، ولم تعرف أنها من خير أمةٍ أُخرجت للناس. فعلى مستوى الحكومات تجدُ التطاحُن والاقتتال، على أعلى المستويات، وتجدُ المكائِدَ والدسائس على أشدِّها، في حين يسلَمُ العدوُ الحقيقي، وينعمُ بالأمانِ والسلام، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول للمسلمين: «سبابُ المسلمِ فسوق، وقتاله كفر».

وإذا جئتَ لتنظرَ في حالِ الشعوبِ، فإنّكَ تجدُ الفرقةَ والاختلاف، والعصبية القبلية، والوطنية الممقوتة الضيقة على أشدها. وكأن هذه

الشعوب لم تسمع لقولِ رسول الله صلى الله عليه وسلم: « دعوها فإنَّها مُنْتنة»، وقوله: « أبدعوى الجاهلية وأنا بينَ أظهركم». فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم الافتخار بالقبيلة أو العشيرة، أو الوطن – بغير حق – من دعوى الجاهلية الأولى.

وإذا جئتَ لتنظرَ في حال أهل البلد الواحد، بل المدينةِ الواحدةِ، لتجد الاختلاف والتدابر والتقاطع كأشدِّ ما ترى. فأكلُ أموال الناس بالباطلِ، وشهادةُ الزور، والغِشُّ في المعاملات، والتنافسُ في الباطل، والتعصُّبُ للفرق والأندية بغير حق. وكأنَّ هؤلاءِ الناس، لم يسبق لهم أن سمعوا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «المسلمُ من سَلِمَ المسلمونَ من لسانِهِ ويده»، وقوله: «المؤمنونَ هيِّنونَ ليِّنُونَ، كالجملِ الأنِف، إن قيدَ انقاد، وإن أُنيخَ على صخرةٍ استناخ»، وقوله: «المؤمنُ يألفُ ويُؤلَفُ، ولا خيرَ فيمن لا يألفُ ولا يُؤلَفُ، وخيرُ الناسِ أنفعُهم للناس». وقوله أيضاً عليه الصلاة والسلام: «المؤمن من أمِنَهُ الناسُ على أموالهم وأنفُسِهم، والمهاجرُ من هجرَ الخطايا والذنوب». فأينَ واقعُ المسلمينَ اليوم، من هذه النصوصِ، وكيفَ يلقونَ ربهم غداً، وقد فرَّطوا في دينهم، واتخذوه وراءَهُم ظهرياً ؟ وقد عابَ اللهُ اليهودَ والنصارى، أنهم نسوا حظاً مما ذُكِّروا به، فأغرى الله بينهم العداوةَ والبغضاءَ فتجدهم أحزاباً متناحرة، يُكفِّرُ بعضهم بعضاً، إلا أنهم لا يُظهِرونَ ذلك، مع وجودِ العدوِ المشتركِ بينهم، وهو الإسلام.

أما واقعُ المسلمين اليوم، فإنَّه على عكسِ ما يدعو إليه القرآنُ والسنة، من وجوب نبذِ الخلافاتِ، وتوحيد الصفوف، لمواجهة العدوِّ المشترك. فتراهم يثيرونَ الخلافاتِ بينهم، ويوقدون نيران الحروب، من أجل العصبيات، والحزبيات، دون النظر إلى الخسائر، والمعاناة، التي يلقاها الشعوب.

أيها المسلمون: إن هذا هو قَدَرُ الأمَّةِ، بسبب تفريطها في جنب الله، ونبذها كتاب الله، وسنَّةَ رسوله صلى الله عليه وسلم، فقد رُويَ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « يا معشر المهاجرين، خِصالٌ خمسٌ إن ابتُليتم بهن، ونزلن بكم، أعوذ بالله أن تُدْرِكُوهن: لم تظهرِ الفاحشةُ في قومٍ قطُّ، حتى يُعلنوا بها، إلا فشا فيهمُ الأوجَاعُ، التي لم تكن في أسلافِهم، ولم ينقصوا المكيالَ والميزانَ، إلا أخذوا بالسنين (أي بالقحط والفقر)، وشدَّة المؤنةِ، وجورِ السلطان، ولم يمنعوا زكاةَ أموالهم، إلا مُنِعُوا القطرَ من السماء، ولولا البهائم، لم يُمطروا، ولا نَقَضُوا عهدَ الله، وعهدَ رسوله إلا سُلِّط عليهم عدوٌّ من غيرهم، فيأخُذُ بعض ما في أيديهم، وما لم تحكمْ أئمَّتُهم بكتاب الله، إلا جُعل بأسُهُم بينهم ». وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهذا حالُ المسلمين اليوم، شاهدٌ على تفريطهم في الحكمِ بما أنزلَ اللهُ، حيث أعرضوا عنه إلى دساتير الشرق والغرب، فأباحوا ما حرَّم اللهُ، وحرموا ما أحلَّ الله، بغير إذن من الله، فسلَّطَ الله بعضهم على بعض، فأخذوا يسفكونَ دماءَهُم، ويستحلُّون أعراضَهم، ويستبيحون أموالهم.

وقد أشار سبحانه وتعالى في كتابه العزيز إلى هذا النوع من العقاب، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ **قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ** ﴾، أي يجعلُكُم فِرَقَاً وأحزاباً متناحرة، فيُذِيقُ بعضَكُم بأس بعض، كما هو الحاصلُ في كثير من بلاد المسلمين اليوم. وفي الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « سألت ربي عز وجل أربعاً، فأعطاني ثلاثاً ومَنَعَني واحدة، سألتُ اللهَ أن لا يجمَعَ أمتي على ضلالة فأعطانيها، وسألتُ الله أن لا يُظهرَ عليهم عدواً من غيرهم فأعطانيها، وسألتُ اللهَ أن لا يُهلِكَهُم بالسنين، كما أهلك الأممَ قبلهم فأعطانيها، وسألتُ اللهَ عزَّ وجلَّ أن لا يَلْبِسَهُم شيعاً، وأن لا يُذيقَ بعضَهُم بأسَ بعض، فمنعْنِيهَا ». فهذا عقَابُ الأمَّةِ إذا فرَّطت في جنب الله عز وجل.

أيها المسلمون: هذا قضاءُ الله سبحانه وتعالى في أمَّةِ الإسلام، حين تُفرِّطُ في دينها، وحينَ تستبدِلُهُ بآراء الرجال، وحين تُعرض عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقد أشارَ عليه الصلاة والسلام إلى أن سبب الفرقةِ بين الأحبةِ إنما هو بسبب الذنوب والمعاصي، فقد رُوي عنه أنه قال: « والذي نفسُ محمدٍ بيده، ما تَوادَّ اثنان، فيُفَرَّقُ بينهما إلا بذنبٍ يُحدثُه أحدُهما »، أي بذنبٍ أحدثه أحدُهُما يُفرِّقُ الله بينهما بسبب ذلك الذنب، فكيف بالذنوب الكبيرة، والموبقات العظيمة، التي خاضت فيها الأمَّةُ، وحاربت بها شرع الله عز وجل، وأعرضت بها عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، كيفَ بموالاةِ كثير من الناس للكفار، وإلقاءِ المودةِ إليهم، واتخاذِهم بطانةً من دون المسلمين، كيفَ بالبدع والخرافات التي

وقع فيها كثير من المسلمين، كيف بمظاهر الشرك الأكبر والأصغر، التي وقعت في كثير من المجتمعات الإسلامية، كيفَ بالتفريطِ في جانبِ الأمرِ بالمعروفِ والنهي عن المنكر، الذي يُعدُّ صَمَّام الأمان، لحفظ الأمة من الزوال، قال الله تعالى: ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ * كَانُواْ لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ * تَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ * وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ والنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَااتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاء وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾.

بارَكَ الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول هذا القول، وأستغفر الله لي ولكم من كل ذنب وخطيئة، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن نبيناً محمداً عبده ورسوله، بلَّغ الرسالة، وأدَّى الأمانة، ونصح الأمة، وتَرَكَها على المحجَّة البيضاء، لا يضلُّ عنها إلا هالك. أما بعد:

فإن الله عزَّ وجلَّ رفعَ قدرَ المؤمنين، وجعلَ منزلة المسلم، منزلةً عظيمة، وهدَّدَ من قتلَ مسلماً بغير حقٍ بالنار، فقال سبحانه وتعالى:

﴿ **وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا** ﴾ ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « لزوال الدنيا أهونُ عند الله من قتلِ رجلٍ مسلم» ، وقال: «قتلُ المؤمن أعظمُ عند الله من زوال الدنيا» ، وقال أيضاً: «لو أنَّ أهلَ السماواتِ وأهلَ الأرض، اجتمعوا على قتل مسلم، لكبهُمُ اللهُ جميعاً على وجوهِهِم في النار» ، وقال أيضاً: « كلُّ ذنبٍ عسى الله أن يغفره، إلا الرجلَ يموتُ مشركاً، أو يقتلُ مؤمناً متعمداً » ، وقال أيضاً: « لن يزال المؤمنُ في فسحةٍ من دينه، ما لم يُصِبْ دماً حراماً »، وقال أيضاً: « يأتي المقتولُ، مُعَلَّقاً رأسهُ بإحدى يديه، مُلبِباً قاتلَهُ باليد الأخرى، تشخبُ أوداجُهُ دماً، حتى يأتي به العرشَ، فيقولُ المقتولُ لربِّ العالمين: هذا قتلني، فيقولُ اللهُ عز وجل للقاتل: تَعِسْتَ، ويُذهبُ به إلى النار ».

والعجيبُ أنَّك مع هذه النصوصِ القاطعةِ، وهذا التهديد والوعيدِ، تجدُ كثيراً ممن لا خلاقَ لهم، يقعون في سفكِ الدماء، واستباحةِ الحُرُمات، ثم بعد ذلك يزعمون الإسلام والإيمان، ويتبجَّحُونَ بحمايةِ الدين والعقيدة.

أين هؤلاء من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: « من أعانَ على قتلِ مؤمنٍ بشطرِ كلمة، لقيَ اللهَ عز وجل مكتوبٌ بين عينيه: آيسٌ من رحمة الله »، وأين هم من قوله عليه السلام وهو يطوفُ بالكعبةِ ويقول: « ما أطيبَكِ، وأطيبَ ريحَكِ، ما أعظَمَكِ، وأعظمَ حُرمَتَكِ، والذي نفسُ محمدٍ بيده، لحرمةُ المؤمنِ، أعظمُ عند الله حُرمةً منك، مالُهُ، ودمُهُ، وأن نظنَّ به إلا خيراً ».

وأعجب من ذلك أن حرَّم رسول الله صلى الله عليه وسلم مجرد الإشارة إلى المسلم بالسلاح، فقال عليه الصلاة والسلام: « من أشار إلى أخيه بحديدة، فإنَّ الملائكةَ، تلعَنُهُ حتى يَدَعَهُ، وإن كان أخاهُ لأبيه وأمِّهِ »، وقال أيضاً: « من رمانا بالنبل، فليس منا »، فإذا كان الرامي بالنبلِ ليس من المسلمين بحق، فكيف بمن يُمطِرُ المسلمينَ بالمواد الفتاكَةِ، والقنابلِ المدمِّرة، إنه بلا شك أعظمُ جُرْماً، وأكبرُ إثماً.

أيها المسلمون : اعلموا أنه ليس في الدنيا شيءٌ أكرمَ على الله تعالى من المؤمن، لهذا حرَّم كلَّ ما يُؤذيه، وأمرَ بكلِّ ما يُصلحه، فحثَّ الإسلامُ على إصلاحِ ذاتِ البين، لأنَّ فسادَ ذات البين هي سبب الحروب، والاقتتالِ بين المسلمين، فقال عليه الصلاة والسلام: « ألا أخبركم بأفضلَ من درجةِ الصِّيامِ والصلاةِ والصدقة ؟ قالوا : بلى يا رسول الله، قال: صلاحُ ذات البين »، كما أباح الإسلامُ الكذبَ لإصلاح ذاتِ البين. وحرَّم الرسول صلى الله عليه وسلم سوءَ الظَّنِّ بالمسلمين فقال عليه السلام: «إيَّاكُم والظنَّ، إيَّاكُم والظنَّ، إيَّاكم والظنَّ، فإنَّ الظنَّ أكذبُ الحديث، ولا تناجَشوا، ولا تحاسدوا، ولا تنافَسوا، ولا تباغَضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخواناً ». كما حرَّم الإسلامُ السعيَ بالنميمةِ والإفسادَ بين الناس فقال عليه الصلاة والسلام: « ألا أُخبِرُكُم بخياركم وشراركم ؟ قالوا : بلى يا رسول الله، قال: خيارُكُم الذين إذا رُأوا ذُكر اللهُ، وشرارُكُم المشاؤونَ بالنميمةِ، المفرِّقُونَ بين الأحبةِ، الباغون للبراءِ العنت ».

قال الله تعالى: ﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾.

اللهمَّ أصلح ذاتَ بيننا، وألِّف بين قلوبنا، واهدنا سبل السلام، وأخرجنا من الظلمات إلى النور برحمتك يا أرحم الراحمين. اللهمَّ أصلح أحوال المسلمينَ في كلِّ مكان، واحقن دماءَهُم، وولِّ عليهم خيارهم يا أكرمَ الأكرمين، اللهم وفِّق ولاة أمورنا إلى ما تحبه وترضاه، واجعل عملهم في رضاك يا رب العالمين. اللهم صلِّ وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

عباد الله إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكرِ والبغي يعظكم لعلكم تذكرون.

٥- تعظيم حرمة مكة المكرمة

الخطبة الأولى:

الحمدُ لله الذي رفعَ قدر البيتِ وجعلَهُ مثابةً للناس وأمناً، أحمده وأستعينه وأستغفره، وأعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هاديَ له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أفضلُ من عظَّمَ البيتَ، وأقامَ الشعائرَ، وبيَّنَ السننَ، فصلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

فاتقوا الله عبادَ الله، وارجوا اللهَ واليومَ الآخرَ ولا تعثوا في الأرض مفسدين.

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ * فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ .

﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْناً وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ * وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَـذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ .

﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ .

﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَـٰذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ .

أيها الإخوة الكرام: هذه مكةُ وهي بكةُ، والحرَمُ، والبلدَةُ، والمسجدُ الحرام، وهي: البلدُ الأمينُ، وأمُّ القرى، التي عظَّمها الله تعالى، ورفَع قدرَهَا، واختارها على سائر البقاع؛ لتكونَ ملاذاً للناس وأمناً، تهفو إليها الأفئدةُ من كلِّ مكان، حتى ما يكادَ يراها أحدٌ إلا ويشتاق إليها، ولا يشبعُ منها. حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «والله إنكِ لخيرُ أرضِ الله، وأحبُّ أرضِ الله إلى الله، ولولا أني أُخرجتُ منكِ ما خرجتُ»، وقال مرة: «ما أطيبَكِ من بلدٍ، وأحبَّكِ إليَّ، ولولا أنَّ قومي أخرجوني منكِ ما سكنتُ غيرَكِ». وقالت السيدة عائشة رضي الله عنها: «لولا الهجرةُ لسكنتُ مكةُ، فإني لم أرَ السماءَ بمكانٍ أقربَ إلى الأرضِ منها بمكة، ولم يطمئنَّ قلبي ببلدٍ قطُّ، ما اطمأنَّ بمكة، ولم أرَ القمرَ بمكانٍ أحسنَ منه بمكة».

أيها الإخوة الفضلاء: في مكةَ الكعبةُ المشرَّفةُ: صرَّةُ الأرض، وقبلَةُ الخلقِ، وفيها الحجرُ الأسود، يمينُ الرحمن، تنحطُ عنده الخطايا والذنوب، ويشهدُ يومَ القيامة لمن استلمهُ بحق. الصلاةُ فيها بمائةِ ألف صلاة. أفضلُ مُعْتَكَفٍ للعاكفين، وأعظمُ جوارٍ للمجاورين. عندها ماءُ زمزمَ خيرُ ماءٍ على وجه الأرض، من شربَهُ للطعامِ شبعَ، ومن شربه للريِّ رويَ، ومن شَربَهُ للشفاء سَلِمَ بإذن الله تعالى.

أيها الناس: إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ ما أجازَ شدَّ الرحال للعبادة إلا لبيتِهِ الحرامِ والمسجدين، ولم يُلزمْ خلقَهُ القدومَ إلى أرض سوى مكةَ والمشاعرِ: ﴿ **وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ**﴾ . ومن رحمته سبحانه وتعالى بخلقه أن جعلَ البلدةَ حَرَمَاً آمناً، يأمنُ فيه الخلقُ جميعاً: الصالحُ والفاسق، والطَّيرُ والدواب، والشجر والحجر، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن هذا البلدَ حرَّمهُ اللهُ يومَ خلقَ السماواتِ والأرضَ، فهو حرامٌ بحرمةِ الله إلى يوم القيامة، وإنَّهُ لا يحلُّ القتالُ فيه لأحدٍ قبلي، ولم يحلَّ لي إلا ساعةً من نهار، فهو حرامٌ بحرمة الله إلى يوم القيامة، لا يُعْضَدُ شوكُهُ – يعني لا ينزع – ولا يُنفَّرُ صيده». وقال أيضاً: « إنَّ مكةَ حرَّمها الله، ولم يُحرِّمها الناس، فلا يحلُّ لامرئٍ يؤمن بالله واليومِ الآخرِ أن يسفكَ فيها دماً، ولا يعضِدُ فيها شجرة». فجعل سبحانه وتعالى حدودَ المسجدِ سياجاً لحرمةِ الكعبةِ المشرفة، وجعلَ حدودَ الحَرَمِ سياجاً مُحرَّماً للمسجد، وجعل المواقيتَ حولَ مكةَ سياجاً آخرَ لتعظيم مكة. فلا يقربُها أحدٌ إلا وقد أمِنَ واستسلمَ لله تعالى، فأمِنَهُ الناسُ، وأمنَ هو منهم. فلا يحلُّ حملُ السلاحِ فيها، ولا الاستمتاعُ بلقْطَتِها، ولا أكلُ صيدها، ولا تجويعُ أهلِها باحتكار الطعام، فإنَّ إيذاء الناسِ في الحرم من الإلحاد، بل إن الذي يهمُّ فيها بالسيئةِ تُكتبُ عليه. فالسيئةُ فيها عظيمةٌ، ليست كسائرِ البلاد، فإنَّ من يعصِ السُّلطانَ في دارهِ ليس كمن يعصيهِ في غير داره. يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «لا يحلُّ لأحدٍ أن يحمل السلاح بمكة ».

ويقـــــول عمـرُ بـن الخطـاب رضي الله عنـه: «يـا أهـلَ مكـة لا تحتكـروا الطعامَ بمكةَ، فإن احتكار الطعام بمكةَ إلحادٌ».

وإنَّ مـن مظـاهر تعظـيم البيـت: حُرْمَـةَ دخـولِ الكفَّـار إليـه، فـلا تحـلُّ مكـةُ ليهـودي أو نـصراني أو مجـوسي، فالكفـار نجـسٌ لا يقربونهـا، قـال الله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلاَ يَقْرَبُواْ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَـذَا** ﴾. وقـال رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم: «لا يحـجُ بعـد هـذا العـامِ مـشركٌ». فمُنـع منهـــا الكفـارُ حتـى تبقـــى خالـصةً لأهـل التوحيـد، بـل إن رســول الله صلى الله عليـــه وسـلم أمـرَ بتطهـــير الجزيـرة مـن كـلِّ كـافرٍ – لا ضرورة في بقائـــه- حتـى يخلُـصَ الحـرمُ وحِمـاهُ للمـؤمنين؛ فـإن الكفـار لا يقدِّرون الحرمات.

ومــن فـضلِ الله تعـالى ورحمتِـهِ بهـذه البلـدة وأهلِهـا: أن جعلهـا عـلى الـدوام في سـلطان مـن يُعظِّمُهـا حتـى مـن الكفَّـار، ولم يجعلهـا قـطُّ تحـتَ سـلطانِ الجبـابرةِ العتـاة، فهـذا حالُهـا مـن أولِ الـدَّهر، فـإنَّ الحبـشةَ لمـا أرادوا البيـت بـسوءٍ: أخـذهُمُ اللهُ، وجعلهـم نكـالاً وعـبرةً لغـيرهم . ولمـا جـاءَ المستعمرونَ الأوربيُّـونَ، فـسيطروا عـلى العـالم الإسـلامي: حَجَـبَ الله عـنهم هـذه الـبلاد، وأعتقهـا مـن سـلطانهم. وأمـا في مـستقبلِ الحيـاةِ فإنهـا محميـةٌ بسلطان الله تعالى الـذي حفَّهـا بالملائكـة مـن كـلِّ صـوبٍ ونَقَـب. قـال رسـول الله صلى الله عليـه وسـلم: «المدينـةُ ومكـةُ محفوفتـانِ بالملائكـةِ، عـلى كـلِّ نَقَـبٍ منهـا ملـكٌ، لا يـدخلُها الـدجالُ ولا الطـاعون». فحتـى الـدجال، الـذي يَعُـمُّ سـلطانُهُ الأرض كلَّهـا: لا يـستطيعُ هـذه البلـدة. وكـلُّ جيشٍ يُحـاول غزوهـا:

فإنَّ مصيرَهُ الخسفُ؛ قال عليه الصلاة والسلام: « يغزو جيشٌ الكعبة، فإذا كانوا ببيداءَ من الأرضِ يُخسَفُ بأولهم وآخِرِهم ». فلابد أن يبقى هذا البيتُ معْلَماً من معالم التوحيد، شامخاً، حتى إنه سوف يُحَجُّ بعد يأجوجَ ومأجوج، ويحُجُّه عيسى بنُ مريمَ عليه الصلاة والسلام. ولن يُخَرَّب البيتُ، ويُهدمَ إلا في آخرِ الزمانِ، قُبيل قيامِ الساعةِ على يد ذي السُّويْقتينِ من الحبشة. أما قبلَ هذا: فإنَّ هذا البيتَ في حمىَ الله تعالى وسلطانِهِ المنيع.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿ **أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ * أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ * وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ * تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ * فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ** ﴾ .

بارَكَ اللهُ لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإيَّاكُم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. أقول هذا القول وأستغفر الله لي ولكم، من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمدُ لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين نبينا وسيِّدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.

﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم**

مُّسْلِمُونَ﴾ ، **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾** ، **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾** .

أيها الإخوة: لقد كان للسلف الكرام مع هذا البيت شأنٌ عظيم، فقد كانوا يقدِّرونه قدرهُ، ويعرفونَ مكانَتَهُ، ويحترمون جواره، فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يدخل مكةَ قطُّ إلا مُحْرِماً في حجٍ أو عمرة، ولما دخلها عامَ الفتح في غير إحرامٍ، دخلها مطَأطِأً رأسَهُ، ذليلاً بين يدي ربِّهِ عز وجل، حتى إنَّ لحيته الشريفة لتمسُّ موقع رحْلِهِ من شدة تواضعه لله تعالى، وتعظيمِهِ للبيت.

وكذلكَ السلفُ الصالحُ، من أصحابه الكرام رضيَ اللهُ تعالى عنهم، فقد كانوا يُراعون حرمةَ البيت، ويعظمونَهُ، فقد كان عمرُ رضي الله عنه يبكي ويشتدُّ بكاؤهُ عند الكعبة، وكان عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه، ربما قامَ بكاملِ القرآنِ في ركعةٍ واحدةٍ عند الحجر الأسود. وكان عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما يجتهدُ في مكةَ بالعبادة حتى وصفَهُ الواصفونَ: بأنه كالعودِ من شدةِ خشوعه في صلاتهِ، وكان بين عينيه سجدةٌ عظيمةٌ من طولِ الصلاةِ عند البيت.

وكان عطاءُ بن أبي رباح رحمَهُ الله، في المسجدِ الحرامِ أربعينَ سنةً يُصلي بالليلِ ويطوفُ دونَ مللٍ، وكان طلْقُ بن حبيب رحمه الله إذا قامَ بمكةَ إلى الصلاة يفتتحُ البقرةَ فلا يركعُ حتى يبلغَ العنكبوتَ. وسافرَ

المغـيرةُ بـن حكـيمٍ رحمـه الله إلى مكـةَ أكثـرَ مـن خمـسينَ مـرةً، صـائماً مُحْرِمَـاً في حجٍ أو عمرة.

وكــانوا حريـصينَ أن لا يخرجـوا مــن مكــةَ قبـل أن يختِمُــوا القــرآن. وكـلُّ ذلـك اغتنامـاً مـنهم للأجـرِ والثـواب، وتعظـيماً للبيـت العتيـق، وأخـذاً منهم بنـصيحةِ رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم حيـث يقـول: « لا تـزالُ هـذه الأمـةُ بخـير مـا عظَّمـوا هـذه الحرْمـةَ حـقَّ تعظيمهـا، فـإذا ضـيَّعوا ذلـك هَلَكـوا». وصـدق رسـولُ الله صـلى الله عليـه وسـلم، فـما ضـاعت الأمـةُ الإسـلاميةُ اليـومَ إلا بعـد أن ضَـعُفَ في نفوسِـهم التعلُّـقُ بهـذا البيـت، والـشعورُ بـالانتماءِ إليـه. حتـى غـدا بعـضُ المـسلمينَ لا يفرِّقـون بـين مكـةَ وغيرِهَـا مـن البقـاع، ورَغِـبَ كثـيرٌ مـن النـاس عـن الحـجِّ والعمـرة رغـمَ قـدرتهِم علـيهما، وربـما تجـرَّأ بعضُهُم في حـرمِ الله تعـالى عـلى اقـترافِ المعـاصي والمنكـرات، بـل حتـى كبـائرِ الـذنوبِ والموبقـات، متناسـينَ حُرمـةَ المكـان، وشرفَ الزمانِ، وجِوارَ بيت الله الحرام.

أيهـا الإخـوة الكـرام : مـن حجـاجِ بيـت الله الحـرام إن واجِـبَكُم الحـرصُ عـلى أداء المناسـك كـما شرعَ اللهُ تعـالى، وسـؤالُ أهـلِ العلـمِ إن خَفِـيَ علـيكم شيء، وعلـيكم أن تتجنَّبـوا المعـاصيَ والمنكـرات، ومـا لا يَعْنـيكم في دينكم ودنيـاكُم: مـن البـدعِ والأفكـارِ المـشبوهةِ، مـع الحـرص عـلى اسـتغلال الأوقـات الثمينـة في العبـادة والـذكر، والإحـسانِ إلى النـاس: فـإن الأجـرَ في هذه البلاد مُضاعف ولاسيما في العشر.

وأمـا أنـتم يـا أهـلَ مكـةَ، فـأنتم أهـلُ الله تعـالى اختـارَكُم لجـوار بيتـه،

وقُـرْبِ كعبتـهِ ليبتلِـيَكُم: أتُحـسنُونَ أم تُـسيئون، فقـد كـان الـسلفُ يعظِّمـونَ أهـلَ الحـرم، ويـرونَ لهـم فـضلاً، فقـد كـانوا يقولـون عـنهم: أهـلُ الله تعـالى، وكـانوا إذا رأوا أحـداً مـنهم قـالوا: هـذا مـن أهـلِ الله تعـالى، فهـذه منزلـةٌ عظيمـةٌ، ومكانـةٌ جليلـةٌ، ومـازال النـاسُ حتـى اليـوم يعظِّمـون أهـلَ مكـةَ، ويـرونَ لهـم فـضلاً علـيهم، فلابـدَّ أن تكونـوا أهـلاً لهـذه المكانـة، وهـذا الاختيـارِ مـن ربكـم، مـن خـلال الإحـسانِ إلى الحجـاج بالمـال، والكلمـةِ الطيبـةِ، والإرشـاد والتعلـيم، وعـدم الاسـتغلال أو الاحتكـار؛ فـإن هـذا مـن الإلحـاد في الحـرم. مـع الحـرص عـلى العبـادة، والأدب بجـوار البيـت حتـى يـرى الحجـاجُ علـيكم سِـيما الـصلاح والفـضل، فتكونـوا لهـم قـدوةً صـالحة، يحملـون عـنكم أفـضل الـذكرى، ولا تكونـوا أزهـد النـاسِ في نعمـةِ الله عليكم بجوار البيت.

ألا وصلُّوا على البـشير النـذير، فقـد أمـرَكُم الله تعـالى بـذلك فقـال عـز وجـل: ﴿ **إِنَّ اللَّـهَ وَمَلائِكَتَـهُ يُـصَلُّونَ عَـلَى النَّبِـيِّ يَـا أَيُّهَـا الَّـذِينَ آمَنُـوا صَـلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَـسْلِيمًا** ﴾. اللهـم صـلِّ وسـلم وبـارك عـلى نبينـا محمـد وعـلى آلـه وصـحبه أجمعـين، وارض اللهـم عـن الـصحابة والقرابـة والتـابعين ومـن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنا معهم برحمتك يا أكرم الأكرمين.

اللهـم أعـزَّ الإسـلامَ والمـسلمين وأذلَّ الـشركَ والمـشركين ودمِّـر أعداء الـدين، واجعـل هـذا البلـد آمنـاً مطمئنـاً وسـائر بـلاد المسلمين، اللهـم آمنَّـا في أوطاننـا وأصـلح أئمتنـا وولاة أمورنـا واجعـل ولايتنـا في مـن خافـك واتقاك واتبع هداك طالباً رضاك يا رب العالمين.

اللهــم أصــلح أحــوالَ المــسلمينَ، واكــشِف عــنهم الكُــرَبَ، واصرف عنهم الـسوء، وأكْـرمهُم بفـضل شريعتـك، ورحمـةِ سـنَّةِ نبيـكَ محمـد صـلى الله عليـه وسـلم. وكُـفَّ عـنهم حقـد الحاقـدين، وسـلطانَ الجـائرين مـن الكفـرةِ والمنافقين. واجمعهم على الحقِ المبين، بفضلك يا أرحم الراحمين.

عبـاد الله إن الله يـأمر بالعـدلِ والإحـسانِ وإيتـاء ذي القربـى وينهـى عــن الفحــشاءِ والمنكــرِ والبغــي يعظكــم لعلكــم تــذكرون، فــاذكروا الله يذكركم، واشكروه يزدكم، ولذكرُ الله أكبرُ، والله يعلم ما تصنعون.

ثامناً: التربية الاقتصادية والسياسية:

١- كلمة في التنمية الاقتصادية.

٢- صور من واقع المسلمين المنحرف.

٣- قصة هذا الدين مع أعدائه.

٤- قصة اليهود مع أرض فلسطين.

١- كلمة في التنمية الاقتصادية

الخطبة الأولى:

إنَّ الحمدَ لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هاديَ له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهدُ أن محمداً عبده ورسوله، أتقى البريةِ أجمعين، ورسولُ ربِّ العالمين، أرسلَهُ بالهدى ودين الحق، فبلَّغَ الرسالة، وأدَّى الأمانة، ونصح الأمة، حتى تركَهَا على المحجَّةِ البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك. أما بعد:

فاتقوا الله أيها الناس، فإن الله تعالى يقول:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾.

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللَّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾.

أيها الإخوة: تسعى الأمَمُ قاطبةً نحوَ التنميةِ الاقتصاديةِ الشاملةِ، وتُقدِّمُ في سبيل تحقيقها جهوداً كبيرة رغبةً في الاكتفاء الذاتي، والبلوغِ بالمواطنِ درجةً عاليةً من الرفاهيةِ الاقتصاديةِ، والوفرةِ المالية.

وعلى الرغم من الجهودِ المضنيةِ التي تُقدِّمها الأممُ والشعوبُ لتحقيق هذه الرفاهية والوفرة فإنَّ درجاتٍ كبيرةً من الإخفاق قد لحقت بهذه الجهود، إلا في دولٍ معدودةٍ في هذا العالم، فما زالت دولٌ كثيرةٌ ولا سيما فيما يُسمَّى بالعالم الثالث، ترزحُ تحت ثالوث الفقرِ والمرضِ والجهلِ، لم يتحقَّق من آمالها وأهدافها الاقتصادية شيء يُذكر، تنتقل من تخلُّفٍ إلى تخلف، ومن أزمة إلى أزمة، قد تبدَّدت أحلامُ شعوبها، وضاعت آمالُها ضمن أمانيَّ من الدعايةِ الفارغةِ، والوعودِ الكاذبةِ.

إنَّ جماعاتٍ كاملةً من خلق الله، تعيش اليوم في فقر مُدقع، قد يصل عددهم إلى نصفِ سكانِ العالمِ، لا يجدون من رديء الطعامِ ما يسدُّ جوْعَتَهم، ولا يجدونَ من عَكَرِ الماءِ ما يروي ظمأهم، فضلاً عن أن يجدوا المسكنَ المريحَ، والمركبَ الهنيءَ، والتعليمَ المناسبَ، والعلاجَ المفيدَ.

لقد أثبت الواقع المعاصر إخفاقَ نماذجِ التنميةِ الاقتصاديةِ التي ينصَحُ بها المستشارونَ في الصناديق والبنوك الدولية، فلم تزدْ هذه الاستشاراتُ والنصائحُ الدولَ الناميةَ إلا تخلفاً وتعثراً.

إنَّ صراعَ التسابقِ الاقتصادي، والتنافسِ المحمومِ بين الدول المتقدمة على مواقع النفوذ التجاري، والسعي نحو السيطرةِ على الأسواق العالمية والإقليمية والمحلية، كلُّ ذلكَ لا يسمحُ لهذه الدول المتنفِّذة بمزيد منافسين لهم من الدول النامية، المتطلِّعة نحو التنمية الاقتصادية، إنَّ مصلحتَهُم الاقتصاديةَ أن يبقى الفقير فقيراً، والمعْدِمُ معْدِماً، لا يشكِّلُ خطراً على مصالحِهم الاقتصادية.

أيها المسلمون: أيُّ مصلحة تتحققُ للدول الكبيرة حين تنجحُ الدولُ الناميةُ في تحقيق درجات عالية من الاكتفاء الذاتي، والتنمية الشاملة؟ أين سوفَ تجدُ الدولُ الكبيرةُ أسواقاً لمنتجاتها الاستهلاكية حين تُغلق أسواق الدول النامية لاكتفائها الذاتي؟

إنَّ الوجهةَ العالميةَ في ظل العولمةِ الاقتصادية تتوجَّهُ بقوةٍ إلى انقسام العالم إلى قسمين، قسمٌ أغنياءُ مُنتجون، وقسمٌ فقراءُ مُستهلكون.

أيها الإخوة: لقد أثبتت التجاربُ أنَّ التنميةَ الاقتصاديةَ لا تأتي من الخارج، وإنَّما هي إرادةٌ صادقةٌ من أعماق الشعب نحو التحرر من التخلف، والرغبة الأكيدة في التقدم والازدهار، إنها انطلاقةٌ من الداخل نحو الانفلاتِ من ربقَة التخلُّف والتبعيَّةِ، نحو آفاقِ العلمِ والمعرفةِ، إنَّ التنميةَ انطلاقةٌ واعيةٌ نحو حُسْنِ التعاملِ مع سنن الله تعالى التي بثَّها في الكون، والتوجُّه ببصيرةٍ نحو الاستفادة من الكنوز التي ادَّخرها اللهُ للمؤمنين، وليست التنميةُ تقليداً للآخرين، أو مجاملة للكافرين، رغبةً في جلبِ استثماراتهم الاقتصادية.

أيها المسلمون: إنَّ الاستثماراتِ الأجنبية التي تُقام في بلاد المسلمين غارقةٌ في المحرمات، ملوثةٌ بالموبقات، وأنَّى للمالِ الغربي أن ينجوَ من الربا، والخمرِ، والاحتكارِ، والدعايةِ الممنوعة، لقد درجَ الاستثمارُ الغربي وتعوَّد على أن يلتقطَ رزقَهُ ملوثاً بالحرام، والمؤمنُ يأبى القرشَ الحرامَ أن يخالطَ ماله.

نعم قد يُحقِّقُ الاستثمارُ الأجنبيُّ شيئاً من المصلحة الاقتصادية، ولكن كم هو حجم المفسدة الإيمانيةِ والأخلاقيةِ منه؟ إن توافق المسلمين الفكري والأخلاقي مع الغرب في أنشطتِهِ المختلفةِ أمرٌ يكاد يكون مستحيلاً، إلا في حالةٍ واحدة حين يذوبُ أحدُهُما في الآخر، فلا يبقى لأحدِهما ما يتميَّزُ به عن الآخر، وهذا وضعٌ لا يرضاهُ المؤمنُ، ولا يتقبَّلُهُ الكافر.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوَاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ * وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ .

الخطبة الثانية:

الحمدُ لله والصلاةُ والسلام على سيِّدِنا وحبيبنا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

أيها المسلمون : لئن جازَ لأمَّةٍ من الأمم أن تنطلقَ بتنميتها في غير الاتجاه الصحيح، فإنَّ هذا لا يجوز للأمةِ المسلمةِ التي تحمل الهدى والنور، وتعرفُ بالتحديدِ الاتجاهَ الصحيحَ للتنميةِ الذي وضَعَهُ اللهُ لها.

إنَّ الطبيعةَ المسخَّرة بإذن الله تعالى لن تبخلَ بكنوزها على الأمَّةِ المسلمةِ بعد أن أكرمت بها الأممَ الجاهلية، أَمِنَ المعقول أن يُكرمَ اللهُ أهلَ الكفر والشركِ، ويفتحَ عليهم كنوز الأرض، ثم هو بعد ذلك يحرِمُ أهلَ

الإيمان والتوحيد من بركات الأرض؟ إن هذا لا يكونُ إلا حينَ يفرِّطُ المسلمونَ في تمسُّكِهم بدينهم، ويخطِئون الطريقَ الصحيحَ للتنميةِ الاقتصاديةِ، فعندها لابد من العقوبةِ بشيءٍ من الجوعِ ونقصِ الثمارِ، لعلهم يستيقظونَ من غفلتهم، ويعودونَ إلى ربهم.

أيها المسلمون : إنَّ كنوزَ الأرضِ وخيراتِهَا بيد الله تعالى وحده، يُؤتيها من يشاء، وإنما يُستجلبُ رزقُهُ وفضلُهُ بطاعته، وتنفيذ أوامره، وليس بمعصيته، ومخالفة أمره، ﴿ **وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ** ﴾، ﴿ **وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُواْ وَاتَّقَوْاْ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ * وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيهِم مِّن رَّبِّهِمْ لأكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاء مَا يَعْمَلُونَ** ﴾ .

اللهم أغننا بحلالِكَ عن حرامك، وأغننا بك عمَّن سواك، وارزقنا من فضلكَ وأنتَ خيرُ الرازقين.

٢- صور من واقع المسلمين المنحرف

الخطبة الأولى:

الحمدُ لله الذي بيده الخيرُ وإليه المشتكى، لا ملْجَأَ ولا منْجى منه إلا إليه، يسمعُ الشكوى، ويرفع البلوى. يُطاعُ فيشكُر، ويُعصى فيصْبِر، نِعَمَهُ على الخلق نازلةٌ، وجرائمُهُم إليه صاعدةٌ. لو يؤاخِذُهم بما كسبوا لعجَّلَ لهُمُ العذاب، ولكن فضلَهُ أعظم، ورحمتَهُ أوسع. فتح باب التوبة للمذنبين، وأجزلَ العطاءَ للصالحين. الحسنةُ عندَهُ بعشرِ أمثالها، إلى سبعمائةِ ضعفٍ إلى أضعافٍ كثيرة، والسيئةُ عنده بواحدة، فإن شاءَ غفرَ وعفا، وإن شاء عذَّبَ وحاسب. نحمَدُهُ سبحانه وتعالى على نعَمِهِ كلِّها، قديمِهَا وحديثِهَا، ونسألُهُ من فضله العظيم، وكرمِهِ الواسع أن لا يحرمَنا ما عنده بسوء ما عندَنا، وأن لا يؤاخذَنا بما يفعلُهُ السفهاءُ منا. اللهمَّ إنا نعوذ بك من شرورِ أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، ومن قبيحِ أخلاقنا، ونشهدُ أنه لا إله إلا الله، وحده لا شريكَ له، ونشهدُ أن محمداً عبده ورسوله، أتقى البرية أجمعين، ورسولُ ربِّ العالمين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

فاتقوا الله عبادَ الله، وارجو اللهَ تعالى واليومَ الآخرَ، ولا تعثوا في الأرض مفسدين، فإن الله تعالى لا يحبُ الفساد ولا المفسدين، ولا الفسقَ ولا الفاسقين، ولا الظلم ولا الظالمين، وإذا كثرَ الخبثُ في أمَّةٍ، فقد استحقوا غضبَ الله تعالى، حتى يُؤخذَ الصالحُ بالطالح، والمستقيمُ

بـالمعْوج، والطيـبُ بالخبيـث، كـما قـال الله تعـالى محـذِّراً هـذه الأمَّـةَ في كتابـه العزيـز: ﴿ **وَاتَّقُـواْ فِتْنَـةً لاَّ تُـصِيبَنَّ الَّـذِينَ ظَلَمُـواْ مِـنكُمْ خَآصَّـةً وَاعْلَمُـواْ أَنَّ اللَّـهَ شَـدِيدُ الْعِقَـابِ** ﴾ . وفي الـصحيحين عـن زينـب بنـت جحـش رضي الله عنهـا أن النبـي صـلى الله عليـه وسـلم دخـل عليهـا فَزِعـاً يقـول: « لا إلـه إلا الله، ويـلٌ للعـرب مـن شرٍ قـد اقـترب، فُتِحَ اليـومَ مـن ردمِ يـأجوجَ ومـأجوجَ مثلُ هذه – وحلَّق بأصْبَعِهِ الإبهـام والتـي تليهـا- فقالـت زينـب بنـت جحـش رضي الله عنهـا: يـا رسـول الله أنَهْلِـكُ وفينـا الـصالحون؟ قـال: نعـم إذا كثُـرَ الخبث».

أيها المسلمون: لقـد خـصَّ اللهُ تعـالى هـذه الأمَّـةَ الإسـلاميةَ بفـضائلَ عظيمـةٍ، وآلاء جـسيمةٍ، حتـى رفـع مكانهـا، وأظهـرَ سـلطانَها، وأعـزَّ جنابهَـا، ومكَّـنَ لهـا في الأرض، حتـى دانـت لهـا الـدنيا، فكانـت بحـقٍ أمَّـةَ القيـادةِ والسيادة. أسبغَ عليها من النعم الكثير، وفتحَ لها مـن الكنـوز مـا هـو عظـيم، حتـى أصـبحت منبـعَ الخـير، وعلـمَ الهـدى، ونـورَ الـدنيا. فاهتـدى بنورِهَـا الـضالون، واستبـصرَ بهـداها الغـافلون، واسـتبانَ بحُجَّتهـا الحـائرون. فكـم من ضالٍ اهتدى بها، وكـم مـن غافـلٍ استبـصر بهـا، وكـم مـن حـائرٍ تبـيَّن بهـا. وفي هــذا يقـول الله تعـالى مُبينـاً مكانـة هـذه الأمـةِ بـين الأمـم: ﴿ **وَكَـذَلِكَ جَعَلْنَـاكُمْ أُمَّـةً وَسَـطًا لِّتَـكُونُواْ شُـهَدَاءَ عَـلَى النَّـاسِ** ﴾، ويقـول عـن خيرهـا وفـضلها: ﴿ **كُنـتُمْ خَـيْرَ أُمَّـةٍ أُخْرِجَـتْ لِلنَّـاسِ تَـأْمُرُونَ بِالْـمَعْرُوفِ وَتَنْهَـوْنَ عَـنِ الْـمُنكَرِ وَتُؤْمِنُـونَ بِاللَّـهِ** ﴾ ، ويقـول الرسـول صـلى الله عليـه وسـلم في بيـان فـضل هــذه الأمَّــةِ ومكانَتِهَــا: «بــشِّر هــذه الأمــةَ بالــسَّنا والنــصر

والتمكين»، ويقول: «نحنُ الآخِرونَ الأولونَ يومَ القيامة، ونحنُ أولُ من يدخلُ الجنة»، ويقول أيضاً: «نحن الآخِرونَ من أهل الدنيا، والأولونَ يومَ القيامةِ، المقضي لهم يومَ القيامةِ قبلَ الخلائق»، وفي رواية أخرى يقول: «نحنُ الآخِرونَ السابقون يوم القيامة»، ويقول عليه الصلاة والسلام في بيان قيامِ هذهِ الأمَّةِ على الناس: «الملائكةُ شهداءُ الله في السماء، وأنتم شهداءُ الله في الأرض»، ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم عن عظيم ما خصَّ اللهُ تعالى به هذه الأمَّةَ من جزيلِ الثوابِ دون سائرِ الأممِ حيث يقول: «إنما بقاؤكم فيمنَ سلفَ قبلكم من الأمم كما بين صلاةِ العصرِ إلى غروبِ الشمس، أُوتيَ أهلُ التوراةِ التوراةَ فعملوا بها حتى انتصفَ النهار، ثم عَجَزَوا، فأُعطوا قيراطاً قيراطاً. ثم أُوتيَ أهلُ الإنجيلِ الإنجيلَ، فعملوا إلى صلاةِ العصرِ، فعَجَزَوا، فأُعطوا قيراطاً قيراطاً. ثم أُوتينا القرآنَ، فعملنا إلى غروبِ الشمس، فأُعطينا قيراطينِ قيراطين، فقال أهل الكتابين: أي ربَّنا، أعطيت هؤلاء قيراطين قيراطين، وأعطيتنا قيراطاً قيراطاً، ونحن كنَّا أكثرَ عملاً ؟ قال الله عز وجل: هل ظلمتُكُم من أجرِكُم من شيء؟ قالوا: لا، قال: فهو فضْلي أُوتيه من أشاء»، ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم فيما خصَّ اللهُ تعالى به هذه الأمَّةَ من الفوز والنجاة يوم القيامة: «أهلُ الجنَّةِ عشرونَ ومائَةُ صفٍ، ثمانونَ منها من هذه الأمَّةِ، وأربعونَ من سائرِ الأمم»، وقال عليه الصلاة والسلام مرةً لأصحابه: «أترضون أن تكونوا رُبُعَ أهلِ الجنة؟ قلنا: نعم، قال: أترضونَ أن تكونوا ثلث أهلِ الجنة؟ قلنا: نعم، قال: والذي نفسُ محمدٍ بيده، إني

لأرجو أن تكونوا نصفَ أهلِ الجنَّةَ، وذلك: أنَّ الجنة لا يدخُلُها إلا نفسٌ مسلمة، وما أنتم في أهلِ الشركِ إلا كالشعرةِ البيضاءِ في جلدِ الثور الأسود، أو كالشعرةِ السوداءِ في جلدِ الثورِ الأحمرِ».

أيها المسلمون: أيَصِحُّ أن يخصَّ الله تعالى هذه الأمَّةَ بكلِّ هذه الفضائل، وأن يرفعها إلى هذه المكانة، وأن يختارها للقيادةِ والسيادةِ: ثم هي اليوم في ظلِّ العولمةِ المتسلِّطةِ، وتحتَ سلطانِ الأمم الكافرة يُراد لها أن تعيشَ بغير ثقافتها، وتحيا بغير عقيدَتِها، وأن تموتَ في سبيل غيرها، وترضى بالدنيةِ في دينها، وبالذُّلِ في كرامتها، وبالمهانة في عزَّتها. فعقيدَتُها يلُوكُها الملاحدةُ والمرتدون، وشريعتُهَا ينالُ منها الظالمون، وأرضُهَا يطؤُهَا الكافرون. فدينُ الأمَّةِ مُستباحٌ مغلوب، وحُرمة نفسِ المسلم مُنتهكةٌ مُهْدرة، وعقلُهُ معطَّلٌ مشلول، ونسلُهُ ضائعٌ مخدوع، ومالُهُ ملوثٌ منهوب.

أيها الإخوة: ماذا بقيَ للأمةِ من دينها بعد أن حُرمتْ من رحمةِ شريعتها، وأصبحت تسمع من الملحدينَ عبر الأثير مسبَّةَ دينها، واستنقاصَ شريعتها، والاستهزاءَ بعقيدَتِها. ثم ماذا بقيَ للأمَّةِ من حرمةِ شعوبها، وعزَّةِ أوطانها: بعد أن وطِئَها المستعمرون، وغزاها الملحدون. وماذا بقي للأمةِ من عقولِ رجالِهَا بعدَ أن أنْهكَتْها الخمورُ والمخدراتُ، واستحكمت فيها التوافِهُ والمُحقَّرات. ثم ماذا بقيَ للأمَّةِ من شبابِهَا بعد أن غزاهُ الإعلام بالصورةِ الخليعةِ، والكلمةِ الحقيرة، والنَّغَمَةِ الماجنة. وبعد ذلك ماذا بقيَ للأمة من قوتِهَا الاقتصاديةِ، بعد أن تلوثت ثرواتُهَا بالمحرمات، ونُهبتْ أموالُها بالخِداعات، وانتُهكت حقوقُهَا بالاحتكارات،

حتى ما عادت تجدُ ملاذاً تلوذُ به من ظلم المنظماتِ العالميةِ المُحتكرةِ، وقوانينِهَا الجائرة. فلا تَجدُ وسيلةً مشروعةً تُنتجُ بها، ولا تجد سوقاً رائجةً تبيعُ فيها، وإنما قضاؤها أن تحيا ذليلةً فقيرةً بائسةً، في ظلِّ النظامِ العالمي الجديد، ضمن ما يُسمَّى بالعالم الثالث، أو الدول النامية.

أيها المسلمون: أوَ يُعْقَلُ أن يكون هذا قضاءَ الأمة وهي مُتمسِّكَةٌ بدينها، عاملةٌ بكتاب ربها، مهتديةٌ بسنةِ نبيها صلى الله عليه وسلم؟ إن هذا لا يمكن أن يكون؛ فإنَّ وعدَ الله تعالى لا يتخلَّفُ، ونصرُهُ قريب. وإنَّما ذلك حين تغيِّرُ الأمةُ ما بنفسها من الزيغِ والضلال، فترجعُ إلى الحقِ والهدى. حين تكونُ عقيدَتُها أغلى ما عندها، حتى تستعذِبَ الموتَ في سبيلها، وتكونَ أخلاقُهَا منهجَ حياتها، فلا تعرفُ من السلوكِ إلا ما يُحِبُّهُ ربُّهَا، ولا تعرفُ من المعاملاتِ إلا ما يُقرُّه خَالِقُها، وعند ذلك فقط تنتظرُ مدَدَ الله تعالى، ونصرَهُ وتمكينَهُ.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ * أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ * الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ**﴾ .

أقول ما سمعتم وأستغفر الله تعالى لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمدُ لله مُقدِّر الأقدار، ومقلِّبِ الليلِ والنهار، العالِمُ بالخفايا والأسرار، أحمده وأشكرهُ، توحَّدَ بالملكِ والملكوت، وتفرَّد بالعظمةِ والجبروت، لا إله إلا هو الإله الحق المبين. أما بعد:

فاتقوا الله عبادَ الله، وبادروا بالأعمال الصالحةِ قبل وقوعِ الفتنِ المظلمةِ التي يتقلَّبُ فيها الرجلُ بين الإيمانِ والكفر، فيصبحُ مؤمناً، ويُمسي كافراً، ويُمسي كافراً ويُصبحُ مؤمناً، حين يكونُ الدين أهونَ شيء عنده، فلا يبالي أن يبيعهُ بعَرَضٍ من الدنيا.

أيها الإخوة: بادروا بالأعمال الصالحةِ قبل أن يُدْرِكَكُم ما أخبرَ به الرسول صلى الله عليه وسلم من عظائِمِ الأمورِ في آخرِ الزمان؛ فإنَّ عافيةَ هذه الأمَّةِ كانت في أوَّلها، وأما آخِرُهَا فسيُصيبُها بلاءٌ عظيمٌ، وأمورٌ منكرةٌ، فقد قال عليه الصلاة والسلام: «لا تقومُ الساعةُ حتى تلحقَ قبائلُ من أمتي بالمشركين، وحتى تعبدَ قبائلُ من أمتي الأوثان»، وقال أيضاً: « لا يذهبُ الليلُ والنهارُ حتى تُعبدَ اللاتُ والعُزَّى »، وقال أيضاً: « ليكوننَّ من أمتي قومٌ يستحِلُّون الحِرَ (يعني الزنا) والحريرَ، والخمرَ، والمعازفَ »، وقال أيضاً: «ليأتينَّ على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذوَ

النعل بالنعل، حتى إنْ كان منهم من أتى أُمَّهُ علانيةً ليكوننَّ من أمتي من يصنعُ ذلك»، وقال أيضاً: « كيف بكم إذا فسق فتيانُكم، وطغى نساؤُكُم؟ قالوا : يا رسول الله وإنَّ ذلك لكائن ؟ قال: نعم، وأشدُّ، كيف بكم إذا لم تأمروا بالمعروفِ ولم تنهوا عن المنكرِ؟ قالوا: يا رسول الله، وإن ذلك لكائن؟ قال: نعم، وأشدُّ، كيف بكم إذا أمرتم بالمنكر، ونهيتُمْ عن المعروف؟ قالوا: يا رسول الله وإنَّ ذلك لكائن؟ قال : نعم، وأشدُّ، كيفَ بكم إذا رأيتم المعروفَ منكراً، والمنكرَ معروفاً ؟ ».

أيها الإخوة المسلمون : اعلموا أنَّ صغائِرَ الذنوبِ طريقٌ إلى كبائِرِهَا، وأنَّ كبائِرَ الذنوبِ طريقٌ إلى الشرك والكفر، فإنَّ العبدَ لا يقترِفُ الكبائرَ حتى يعتادَ الصغائِرَ، فإذا اعتادها أظلمَ قلبُهُ، وهانَ عليه دينُهُ، وفي الحديث يقول عليه الصلاة والسلام: «تُعرضُ الفتنُ على القلوب كالحصير عوداً عوداً (يعني مرةً بعد مرة) فأيُّ قلب أُشْرِبَهَا نُكِتَ فيه نُكتَةٌ سوداء، وأيُّ قلبٍ أنْكَرَها نُكِتَ فيه نُكْتَةٌ بيضاء، حتى تصيرَ على قلبين : أبيضَ مثلِ الصَّفا، فلا تضرُّهُ فِتنةٌ ما دامتِ السماواتُ والأرضُ، والآخر: أسودَ مُرْبادّاً (يعني مُغبرّاً) كالكوزي مُجَخِّياً (يعني كالإناءِ المنكوس) لا يعرفُ معروفاً، ولا يُنْكِرُ منْكراً إلا ما أُشربَ من هواه ».

فاتقوا اللهَ عباد الله، واحذروا الذنوبَ جميعَها صغيرَهَا وكبيرَهَا، فذاكَ طريقُ التقوى، وصلوا وسلموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنَّ اللهَ أمرَكم بذلك.

٣- قصة هذا الدين مع أعدائه

الخطبة الأولى:

الحمدُ لله النَّاصِرِ لأوليائِهِ، القاهِرِ لأعدائِهِ، وعدَ بالنصر المؤمنين، وتوعَّدَ بالهزيمةِ المعاندينَ، يُعزُّ من يشاءُ ويذل من يشاء، بيده الخير، يمنَحُهُ من يشاء فضلاً، ويمنَعُهُ من يشاء عدلاً، لا يُسألَ عما يفعلُ وهم يُسألون. أرسلَ رسولَهُ محمداً صلى الله عليه وسلم بالهدى والحق، وأيَّدَهُ بالمعجزات، والآياتِ الباهرات، فأظهر به الدينَ، وأقامَ به العدلَ، حتى عمَّ الخيرُ الدنيا، ودخلَ الناسُ في الدينِ أفواجاً، فتنوَّرت القلوبُ بعد ظلمةٍ، وأبصرتِ العيونُ بعد عمىً، فعادَ الناسُ مؤمنينَ بعد كفرٍ، وإخواناً بعد عداوةٍ، وأمَّةً بعد فُرقة. فكانَ الناسُ مع هذا الدينِ على ثلاثةِ أصناف: إما مؤمنٌ بهذا الدين عزيزٌ، وإما كافرٌ به ذليلٌ، وإما منافق حقير. فأمَّا المؤمنُ فمجاهدٌ، أو عالمٌ، أو صانعٌ، أو أجيرٌ. وأمَّا الكافُر فإمَّا محاربٌ خائفٌ، أو مقهورٌ يدفَعُ الجزية، أو مهادِنٌ ينتظر أجلَهُ. وأما المنافقُ فمريضٌ ضاقت عليه السبل، فلا يعرفُ لنفسِهِ الحقيرةِ موقعاً بين الخلق، فلا هو كافرٌ قد أظهرَ صفحَتَهُ، ولا هو مؤمنٌ قد طَهَّرَ سريرتَهُ، فلا هو إلى هؤلاءِ ولا إلى هؤلاءِ، مثلُهُ كمثل الشاة العائرة بين غنمين، تصيح إلى هذه مرةً وإلى هذهِ مرةً. فإذا كان الإسلامُ في قوةٍ، وجندُهُ في نصر: أظهرَ الإيمانَ الخالصَ، وتحذلَقَ بالإسلام، وإذا كان في ضعفٍ أظهر من أمراضِ قلبِهِ، وظلمَةِ روحِهِ: ما يُؤلمُ بِهِ المؤمنينَ، ويُسعِدُ به الكافرين.

أيها الإخوة المسلمون: إنَّ قصةَ هذا الدينِ بدأت في ضعفٍ وغربَةٍ، وقلةٍ في العددِ والعُدَّةِ، حتى إنه لم يُؤمن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في أولِ أمرِ الدعوةِ إلا القليل، فمازالَ اللهُ تعالى يكلأُ تلكَ العِصَابةَ المؤمنةَ برعايته، ويحفَظُهَا بحفظِهِ، فينقلها من طورٍ إلى طور، ومن حالٍ إلى حال، حتى ما مضى على الدعوةِ نحوٌ من ثلاثينَ عاماً حتى ملكَ المسلمونَ الدنيا، وفتحوا الأمصار. فازدهرت بهذا الدين الحياة، وتنعَّمَ الناسُ بعدلِ الإسلام. فوصلَ المسلمون بفضل الله تعالى إلى القمَّةِ في كلِّ ميادينِ الدنيا، وبلغوا النهايةَ في كلِّ شؤونِ الحياة، فعلَّموا العالمَ كيفَ يُعْبَدُ اللهُ تعالى، وكيف تُعمَّرُ الأرض. حتى إذا وصلوا في المجدِ المنتهى، وبلغوا في الأمل المُرْتجى، وتحقَّقَ لهم وعدُ الله تعالى بالنصرِ والتمكينِ: دبَّ فيهم داءُ الأمم، فضَعُفَ الإيمانُ، وقلَّ اليقينُ، وظهرَ الشُّحُ، وانتشرت البدعُ، وعمَّت الخرافاتُ، وكثُرت المعاصي، وتجاهرَ الناسُ بالمنكرات. فمازالت الأمَّةُ تنحدرُ من قمَّتِها السامِقَةِ إلى السفوحِ الهاوية، تنتقِلُ من طورٍ إلى طور، ومن حالٍ إلى حال، فضعفٌ بعد قوة، وسَقَمٌ بعد عافية، وجهلٌ بعد علم، وخَوَرٌ بعد عزم، حتى ما عادَ للأمة جانبٌ من جوانب دينها ودنياها إلا دَخَلَهُ النقصُ، ونخَرَهُ الزمنُ. حتى جاءَ على الأمَّة زمانٌ أعرضت فيه عن كتابِ ربِّها إلى كُتُبِ أعدائِها، ونبذت شريعتَهَا إلى قوانينِ غيرِها، وهجرت ثقافتها إلى ثقافة غيرها، ورفضت تراثها إلى تراث غيرها، حتى لم يعد لها من معالِمِ دينها وتاريخِهَا إلا الصورُ الكاذبةُ، والمظاهِرُ الخاويةُ، يظنونَ أنهم على شيء، وليسوا على شيء. فلم يعدْ همُّ الواحدِ منهم

إلا إشباعَ بطنِهِ، وقضاءَ وطَرِهِ، وأمَّا الالتزاماتُ الدينيةُ، والواجباتُ الشرعيةُ فآخرُ اهتماماته.

أيها الإخوة: لما وصلتِ الأمَّةُ إلى هذا الحال من الضعفِ والهوان أغرت بنفسها الأعداءَ، فأخذوا يتداعَوْنَ من كلِّ جَنَبَاتِ الأرضِ ليفترسوا جَسَدَ الأمَّةِ المنهك، كما تَتَداعى الأكَلَةُ إلى قصْعتها، فأخذوا يستعمرونَ البلادَ والديار، بعد أن استعمروا القلوبَ والأرواح، فحكموا بلادَ المسلمينَ، ونهبوا خيراتِهَا، وسرقوا ثرواتِهَا، حتى إذا مضى على ذلكَ زمنٌ: انتبَهَ الصالحون، ففزعوا إلى السلاح، وأخذت كلُّ أمَّةٍ من أمم الإسلام تدفَعُ المستعمرَ عن بلادِهَا، وتطْرُدُ الغازيَ عن أرضها: حتى إذا تمَّ لهم الجلاءُ، واندحَرَ الأعداءُ، واستقلت البلادُ: فإذا بالأمَّةِ تستفيقُ بعد الغاشيةِ على تَرِكَةٍ من ركام السنينَ خلَّفَهَا المستعمر وراءَهُ، فلم تَتِمَّ للأمَّةِ فرحتُهَا، ولم تكتمل للأمَّةِ بهجَتُها حتى اكتشفت أنها أمام مشكلاتٍ عظام، لا قِبَلَ لها بها: فالبلاد مقسَّمَةٌ، والثرواتُ منهوبةٌ، والمعارفُ متخلفَةٌ. وفوقَ كلِّ ذلك فقد ترك المستعمر جمعاً غفيراً من أبناء المسلمين، ممن تربوا على عينه، وتحت إشرافه، أبدانُهُم بين المسلمين، وقلوبُهُم مع الكافرين، منهجُهُم النفاق، يأتونَ هؤلاءِ بوجهٍ، وهؤلاء بوجهٍ، يترقبونَ الفرصةَ التي ينالونَ فيها من الإسلام وأهله.

فإذا بالأمَّةِ المسلمة تنتقلُ من أزمةٍ إلى أزمةٍ، ومن مشكلةٍ إلى مشكلةٍ حتى إنَّ بعضَ الناسِ تمنَّوا عودةَ الاستعمارِ من شدَّةِ ما يجدونَ من ظلمِ المنافقينَ وطغيانِهِم.

أيها الإخوة: إنَّ قصَّةَ الإسلامِ مع أعدائِهِ لم تنْتَهِ إلى هذا الحد، فقد جاء العصرُ الحديثُ بما فيه: من التكتلاتِ الدوليةِ، والاتفاقياتِ السياسيةِ، والتنظيماتِ الاقتصاديةِ، وما رافق ذلك من الانفتاح العلمي، والتقدُّمِ التقني الذي أعطى لغير المسلمينَ قوةً يتحكمونَ من خلالها في مقدَّراتِ الشعوبِ الإسلامية، فيُعطون من شاؤوا، ويمنعون من شاؤوا، في الوقت الذي لم يكن للمسلمين في هذه النهضة العلمية دورٌ فعالٌ، وإنَّما يعيشونَ على هامشِ الحضارةِ الحديثة، يتكفَّفُونَ الناس فهذا يُعطيهم، وهذا يمنَعُهم، يحيونَ عالةً على المجتمع الدولي، فيأكلونَ مما يزرعُ غيرُهُم، ويلبسونَ مما يَخِيطُ غيرُهُم، ويركبونَ مما يصنَعُ غيرُهُم. وكأنَّهم لم يكونوا في يومٍ من الأيامِ سادةَ الدنيا، ومصدرَ العلمِ، وأمَّةَ الحضارة. فإذا حاول شعبٌ من الشعوب الإسلامية أن ينهضَ، ويراجعَ دينَهُ، ويعملَ لبلادِهِ: حاصرَهُ الكفارُ إما بالحرمانِ الاقتصادي، أو بالإبادةِ الجماعيَّةِ، في صورٍ من الكيد والحقد، والوحشيةِ والهمجيةِ التي لم يعرف لها التاريخُ مثيلاً. فها هُمُ اليومَ يُبيدُونَ شعباً مسلماً بكامِلِهِ في الشيشان على مسمعٍ ومرْأىً من الناس، بحجةِ الإرهاب. وبالأمسِ القريب عملوا على إبادة مسلمي كُوسُوفا، والبوسنةِ والهِرْسِك، بحجةِ التطهير العرقي، وقبل ذلك عندما غزوا أفغانستان. إنما يهدفونَ من كلِّ ذلك إطفاءَ نور الله تعالى، فلا يبقى للمسلمين ملاذٌ يلوذونَ به، حتى إذا يئسوا من أنفُسِهم، وقَنَطُوا من رحمةِ ربهم لَحِقُوا بالكفار حتى يكونوا مثلَهُم، وهذا مبلغُ ما يطلبه الأعداء، قال الله تعالى: ﴿ وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىَ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ

اسْتَطَاعُواْ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَـئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾، وقال أيضاً: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُواْ وَاصْفَحُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

أقول هذا القول وأستغفر الله تعالى لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمدُ لله بيده الخيرُ، وإليه المشتكى، وعنده المنتهى، ولا حولَ ولا قوةَ إلا به. أحمده وحده لا شريك له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن سيِّدَنا محمداً عبده ورسوله أرسَلَهُ للناس كافة بشيراً ونذيراً، فهدى اللهُ بهداهُ من شاء، وأضلَّ عن سبيله من شاء، الخيرُ بيديه، والشَّرُ ليس إليه. سبحانه لا إله إلا هو الإله الحق المبين. أما بعد:

فاتقوا الله أيها المسلمون، واعلموا أنَّ ترديَ وضْعِ الأمةِ اليومَ لا يُعفي أحداً من أن يقومَ بواجبِهِ حسب استطاعته، فهذا بالنفس، وهذا بالمال، وهذا باللسان، وهذا بالقلم. ثم اعلموا وتيقَّنوا أنَّ الدائرَةَ للمسلمينَ طالَ الزمانُ أم قصُر، وأن الله تعالى ناصرٌ أولياءهُ، ومُعزٌ جنده، ولو كره المشركون. فلو اجتمع على هذه الأمَّةِ كلُّ أُمَمِ الأرضِ فلن

يستطيعوا إبادتها، فـإن الله تعـالى وعـدها بالبقـاء حتـى آخـرِ الـدهر. ولكـن الله تعالى بحكمتـه يـتركُهُم لأعـدائهم زمنـاً يفتكـونَ بهـم، ويأخـذونَ بعـضَ مـافي أيـديهم: حتـى يُراجعـوا ديـنَهُم، فـإن عـادوا إلى الحـق، وأخـذوا ديـنهم بقـوةٍ جـاءَهُم وعـدُ الله تعـالى بالنـصر والتمكـين، كـما قـال الله تعـالى: ﴿ **وَعَـدَ اللَّـهُ الَّـذِينَ آمَنُـوا مِـنكُمْ وَعَمِلُـوا الـصَّالِحَاتِ لَيَـسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَـمَا اسْـتَخْلَفَ الَّـذِينَ مِـن قَـبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّـنَنَّ لَـهُمْ دِيـنَهُمُ الَّـذِي ارْتَـضَى لَـهُمْ وَلَيُبَـدِّلَنَّهُم مِّـن بَعْـدِ خَـوْفِهِمْ أَمْنًـا يَعْبُـدُونَنِي لا يُـشْرِكُونَ بِي شَـيْئًا وَمَـن كَفَـرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِـقُونَ**﴾ ، وكـما قـــال أيـضاً: ﴿ **يَـا أَيُّهَـا الَّـذِينَ آمَنُـوا إِن تَنـصُرُوا اللَّـهَ يَنـصُرْكُمْ وَيُثَبِّـتْ أَقْـدَامَكُمْ * وَالَّـذِينَ كَفَـرُوا فَتَعْـسًا لَّـهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ**﴾ .

فـاتقوا الله عبـاد الله، فهـذا وعـدُ الله تعـالى لكـم فـأينَ الوفـاءُ مـنكم، فـاتقوا الله واسـتقيموا في أنفُـسِكُم، وأدِّبـوا مـن تحـتَ أيـديكم، واعلمـوا أن كلَّ معصيةٍ يقترفها أحَدُكُم إنـما يـؤخِّرُ بهـا وعْـدَ الله تعـالى عـن الأمـة، فـالله الله لا يُـؤتى الإسـلامُ مـن قِـبَلكُم، ولا يكـن أحَـدُكُم سـبباً في جلـبِ غـضبِ الله تعالى.

أكثروا أيها الإخوة من الصلاة والسلام على خير البرية أجمعين.

٤- قصة اليهود مع أرض فلسطين

الخطبة الأولى:

الحمدُ لله القائل في كتابه العزيز: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ * وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلاَّ تَتَّخِذُواْ مِن دُونِي وَكِيلاً * ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا * وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا * فَإِذَا جَاء وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلاَلَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولاً * ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا * إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاء وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوؤُواْ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُواْ الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيرًا * عَسَى رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ .

الحمدُ لله العزيزِ في سلطانِهِ، العظيمِ في صفاتِهِ، الحكيمِ في أفعالِه، أحمدُهُ وأستعينه ، وأستغفره، وأتوب إليه. ما من نعمة إلا بجوده نزلت، وما من نقْمةٍ إلا بظلمنا حصلت . اللهم إليك نرفعُ شكوانا، وعند بابك نحطُّ مطايانا، قد كثُرت علينا الخطوب، وأختلطت علينا الدروب. اللهم نشكو إليك ضعف قوَّتنا، وقلَّةَ حيلتنا، وهوانَنَا بين الشعوب. اللهمَّ قلَّ النصير، وكثرُ الأعداء، وأنت الواحدُ الأحدُ، بكَ نصولُ، وبك نجول، وعليك نتوكَّلُ، وبكَ نستعين، ولا حول ولا قوة إلا بك.

أيها المسلمون: إنَّ الناظرَ في أحوال العالم اليومَ لا يخفى عليه ما وصلَ إليه اليهودُ من القوةِ والبطشِ والتمكينِ، وما دأبوا عليه من الظلمِ و الطغيانِ، والفسادِ والإفسادِ. في زمنِ ضعفِ المسلمينَ، وتمكُّنِ الكافرينَ. فقد بلغ نفوذهم إلى العديد من مرافقِ العالمِ الحيويةِ، ووصلَ سلطانُهم إلى كثير من مواقعِ القراراتِ الدوليةِ، مما دفعَ بهم إلى مزيدٍ من الممارسات التعسُّفيةِ، والأعمال التخريبية، من القتل والتشريد والنهب، وتدنيس المقدَّساتِ، وهتكِ المحرماتِ، على مسمعٍ ومرْأىً من العالم، وبعلمِ الأممِ المتحدةِ، ومجلسِ الأمنِ. في وقت يزعمُ فيه السَّاسةُ والقادةُ: أنَّ العالمَ يتقدمُ في ظلِّ العولمة إلى عصر الوحدة البشرية، والأخوة الإنسانية، ليعيشَ أمَّةً واحدةً في سلمٍ وسلامٍ، وأمنٍ وأمان. ولئن كان هذا الأمل في السَّلامِ والأمان ممكناً من أيِّ أمَّةٍ من الأمم: فإنه من المستحيل أن يكون من أمَّةِ اليهود؛ لأن من أصول دينهم المحرَّفِ: تحريمَ عقدِ العهودِ مع غير اليهود، وأنَّ الله كلَّفَهُم – حسب زعمهم – سفكَ الدِماء؛ إذ لا يقومُ لهم دينُهُم إلا على أشلاءِ الناسِ ودمائِهم. والناظرُ في تاريخهم على أرضِ فلسطينَ منذُ خمسينَ عاماً: يجدُ هذا المعتقدَ الخبيثَ واضحاً في ممارساتهم مع الأبرياء، في سفكِ دمائِهم، والقيامِ بالمجازر المتعددة، وحمَّامَاتِ الدَّمِ الجماعية، في صور من الوحشيةِ والهمجيةِ، تأباها أبسطُ المبادئ الإنسانية، وتُنْكِرها جميعُ الأعرافِ الدولية. في الوقت الذي لا يزالُ فيه الحالمونَ يسعون لإبرامِ سلامٍ معهم، يكونُ فيه الالتزام من طرف واحد، في حين لا يرى اليهودُ ضرورَةَ الالتزام، ما دام أنَّ حقَّ

الفيتـو في مجلـسِ الأمـنِ يحمـيهم مـن بطـشِ المجتمـع الـدولي، ويمنـعُ الـدولَ العربيةَ من التحرُّكِ الإيجابي.

أيهـا الأخـوة الكـرام: إنَّ أمَّـةَ اليهـودِ قـد خانـت اللهَ تعـالى في قبـيح معتقـدهم في ذاتـه وصـفاته وأفعالـه، فقـد دوَّنـت كتـبُهُم المقدَّسَـةُ المحرَّفَـةُ كلامـاً في ذاتِ الله تعـالى وصـفاته وأفعالـه لا يجـرؤُ عليهـا الـشياطين، مـن قبيح الصِّفاتِ وسـاقطِ الأعـمال، إضـافةً إلى مـا نـسبوه إلى أنبيـاء الله تعـالى مـن سـيئ القـولِ والفعـل، ومـا انتهكُـوهُ مـن حرمـةِ قـتلهم، إلى جانـب سَـعْيهم بالفـسادِ في الأرض، وإشـعال الحـروبِ، وتفريـقِ الجماعـات، ونـشرِ القبـائح والرذائل، حتـى إنَّـكَ لا تكـاد تجـدُ نِحْلـةً باطلـةً، أو عقيـدةً فاسـدةً، أو سـجيةً سـاقطةً: إلا وجَـدْت خلفهـا بعـضَ اليهـود. فقـد جَمعـوا الـشر بأنواعـه، وحازوا السوء بأشكالِهِ، حتى ضربـوا مـن كـلِّ قبيحـة بـسهم، ونـالوا مـن كـلِّ رذيلة بنصيب.

وأمـا مـا يظنُّـهُ بعـضُهُم مـن أن لليهـود حقـاً في أرض فلـسطين، فهـذا باطـلٌ مـن كـلِّ وجـه، فـإنَّ أرضَ فلـسطينَ: أرضٌ لأهـلِ التوحيـدِ والإيـمان، ممن أسـلموا وجـوهَهُم لله تعـالى خالـصةً مـن الـشرك والوثنيـة، مـن أيِّ جـنسٍ كـانوا: عربـاً أو عجـماً، فـلا علاقـة لفلـسطين بجـنس مـن الأجنـاس، وإنَّـما علاقَتُها بأهل التوحيد في كـلِّ زمـان ومكـان. فـإنَّ أولَ مـن بنـى بيـتَ المقـدسِ هـو آدم عليـه الـسلام، ثـم تعاقـبَ عليـه الأنبيـاء، حتـى جـدَّدَهُ إبـراهيمُ عليـه السلام، ثم جـدَّدَهُ سـليمان عليـه الـسلام، ثـم نالـهُ الفـتح الإسـلامي في عـصر عمـر بـن الخطـاب رضي الله عنـه. وكـان طَـوالَ هـذا التـاريخِ الطويـلِ ضـمنَ

سلطانِ أهلِ التوحيد في غالبِ أحوالهِ إلا فتراتٍ من الزمن سيطرَ فيها أهلُ الشرك والكفر على بيت المقدس وأرض فلسطين، فكان أهلُ التوحيد ينتزعونَهَا منهم كلَّ مرةٍ حتى كان آخِرُهَا في زمن صلاح الدين حين انتزعها من النصارى الصليبيين، بعد أن استباحوها قريباً من مائةِ عامٍ. ثم استمرت تحتَ سلطانِ أهلِ التوحيدِ حتى سقوطِ الدولةِ العثمانية، قبل أقلَّ من مائةِ عامٍ تقريباً، حين تآمرَ اليهودُ والإنجليزُ والمنافقونَ على تسليم اليهود أرضَ فلسطين، فعمِلَ الإنجليزُ على تمكين اليهود في فلسطين حين كانوا مستعمرينَ لها، وأمَدُّوهم بالسلاح والمال والخيرات، ثم خرجَ الإنجليزُ من فلسطين وقد تمكَّنَ اليهود منها، فأعلنوا دولتَهُمُ المشئومة، فكان الأمريكانُ أوَّلَ المعترفين بها، وأعظمَ المحتضنين لها، ثم تعاقبت بعد ذلك دولُ أوروبا بالاعتراف والدعم المادي والمعنوي، حتى أصبحَ للدولةِ الوليدةِ قوةٌ وسلطانٌ لا تجده في دولٍ عمَّرتَ مئاتَ السنين.

أيها الأخوة الكرام: هذهِ قصَّةُ دولةِ اليهودِ البغيضةِ التي قامت على الباطل، وعاشت بالباطل، وهي الآنَ تسيرُ إلى الباطلِ . وما كان اللهُ ليمكِّنَ لأرذلِ أعدائِهِ في الأرض، لو لا أنَّ أهلَ التوحيدِ فرَّطوا في دينهم، فإنه لا مكانَ لليهودِ بين أشبالِ أسودِ التوحيد، وحماةِ العقيدة والدين، ولكن عندما يرجعُ المسلمون إلى دينهم، ويعرفون أسباب عزِّهم، ويضعون أيديَهُم على مواقعِ القوة فيهم، فعندها، وعندها فقط ينتظرون مدَدَ الله بالنصر والتمكين ، ولن ينفعَ اليهودَ حينئذٍ، ولا من خلفهم من

دول الكفر والطغيان: سلاحٌ ولا قوة، حين ينطِقُ الشجرُ والحجرُ: يا مسلمُ يا عبد الله هذا اليهودى خلفي فتعال فاقْتله.

أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾

أقولُ ما سمعتم وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمدُ لله على آلائِهِ، والشُّكْرُ له على توفيقِهِ وامتِنَانِهِ، أشهد أن لا إله إلا الله تعظيماً لشَأْنه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الدَّاعي إلى رضوانه، أما بعد:

فإنَّ الشخصيةَ اليهوديةَ لا يمكِنُ أن تُفْهَمَ على حقيقتها بعيداً عن القرآنِ الكريم، وسنَّةِ سيِّد المرسلين عليه الصلاة والسلام، فقد استفاضَ القرآنُ الكريمُ والسنَّةُ النبويةُ في الحديث عن اليهود، وقد سجَّل كلٌّ من القرآنِ والسنَّةِ مواقفَ اليهودِ عبرَ تاريخِهِمُ الطويل، وأساليبهم في التعامل مع غيرهم، وما اشتملت عليه نفوسُهم من قبيحِ الطباعِ، ورذيلِ الأخلاقِ، حتى استحقوا من الله تعالى اللعنةَ والغضبَ، فجعلَ منهُمُ القردةَ والخنازيرَ، وكتبَ عليهم الذِّلَّةَ والمسكَنَةَ.

ومازال اليهودُ منذُ انحرافهم عن دينهم، ومخالفتهم لأنبيائهم:

يتخبَّطـون في دروبِ الغوايـةِ والـضلالِ، فـلا ازدادوا مـن الله تعـالى إلا بعـداً، ولا يـزْدادونَ في قلـوبِ النـاسِ إلا بغـضاً. ولـئن كـانوا اليـوم قـد وصلـوا إلى مـا وصـلوا إليـه مـن القـوة والتمكـينِ، فـإنما ينتظـرون سـاعة – هـم أكثـر بهـا إيماناً منا – تزول فيهـا دولَـتُهم، ويـذهبُ فيهـا سـلطانُهُم، ويعـودونَ كـما كـانوا أذلةً مُتَمَسْكنين، يـسْتَجْدونَ عطـفَ النـاس ورعـايَتَهُم. ولكـنَّ هـذا لـن يكـونَ مـن خـلال مـؤتمرات الـسلام والاستـسلام، ولـن يكـون مـن خـلال الـشجْبِ والاستنكار، وإنَّما يكـونُ مـن خـلال الجهـاد في سـبيلِ الله، مـن خـلالِ صـيحَةِ: اللهُ أكْـبَرُ، التـي تُزلـزلُ حُـصونَهم، وتُرهِـبُ قلـوبَهم، وتُعيـدُهُم إلى حجمِهِـمُ الطبيعي، وشكْلِهِمُ الحقيقي : في صورِ القردةِ والخنازيرِ، أذلةً صاغرين.

إنَّه الجهادُ أيها الإخـوة، إنَّـهُ الجهـادُ الـذي يتعـشَّقُهُ كـلُّ مـسلم، ويتمنَّـاهُ كـلُّ مـؤمن، ومـنْ هـذا الـذي لا يتمنـى أن يمـوتَ في سـبيلِ الله، ومـن هـذا الذي لا يحدِّثُ نفـسَهُ بالجهـاد. فلـو قُـدِّرَ أن فُتحـت جبهـةٌ مـع اليهـود، وفُـتِحَ بـابُ التطـوُّع في سـبيلِ الله عـلى أرضِ فلـسطين، لتـسابقَ المـسلمونَ إلى الفـداء، ولتقـدَّمَ الملايـينُ مـن الكبـار والـصغار، ليدوسـوا اليهـودَ بأقـدامِهم، ويُزيلـوا شَـبَحَ أوهـامِهم، فـإنَّ الـذي قاتَـلَ عـلى جبـالِ أفغانـستان، وفي بـلاد البلقان لن يتأخَّرَ عن القتالِ في فلسطين.

اللهـمَّ العَـنِ اليهـودَ، ونـجِّ المستـضعفينَ، وانـصرِ المجاهـدينَ يا أرحم الراحمين، فإنه لا منجى ولا مخرج لنا إلا إليكَ يا أكرمَ الأكرمين.

تاسعاً: السيرة النبوية والتراجم:

١- أهمية الهجرة النبوية في حياة الدعوة الإسلامية.

٢- وفاة النبي صلي الله عليه وسلم وموقف أبي بكر رضي الله عنه.

٣- عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

١- أهمية الهجرة النبوية في حياة الدعوة الإسلامية

الخطبة الأولى:

الحمدُ لله الذي نصرَ عبْدَهُ وهزمَ الأحزابَ وحدَهُ، أحمده وأستعينه وأستغفره، وأعوذُ بالله من شرور أنفسنَا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هاديَ له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسولُهُ بلَّغَ الرسالةَ وأدَّى الأمانة، وجاهدَ في الله حقَّ الجهاد، حتى أُوذيَ في نفسِهِ وشخصِهِ، وأهلِهِ وحزبِهِ، فَصَبَرَ حتى أتاهُ وعْدُ ربِّهِ، فنَصَرَهُ وأيَّدَهُ، وجعلَ كلمةَ الذينَ كفروا السفلى، وكلمةُ الله هي العليا. فصلى الله عليه وعلى آله وصحبه، ومن سار على نهجه إلى يوم الدين، أما بعد...

فاتقوا اللهَ عبادَ الله، واقتدوا بنبيِّكُم، خيرِ المهاجرينَ، وإمامِ الصابرين، وسيِّدِ المرسلينَ. بعثَهُ اللهُ عزَّ وجلَّ على رأسِ الأربعينَ من عمره، فأنزلَ عليه قولاً ثقيلاً، تنوءُ عن حملِهِ الجبالُ، فوعاهُ قلبُهُ الشريفُ، وتزكَّت به روحُهُ الطاهِرَةُ، فمكث بمكةَ ثلاثَ عشرةَ سنةً، يدعو إلى الله عزَّ وجلَّ، ويصبِرُ على الأذى. حتى إذا وصلت الدعوةُ الإسلاميةُ في مكةَ إلى منتهاها، فلم يعد للحقِ فيها مجالٌ: أَذِنَ اللهُ للمؤمنينَ المستضعفينَ بالهجرةِ، لتنتقلَ الدعوةُ من طورٍ إلى طورٍ جديد، له خصائصُهُ وطبيعَتُهُ. حيثُ اجتمع فيه شملُ المسلمينَ، الذين أسلموا وجوهَهُم لله تعالى، وأعْطَوْا قيادَهُم لصاحبِ الدعوة، وإمامِ الأمَّةِ عليه الصلاةُ والسلام،

فكـــانوا كـــالأرضِ الخِـصْبةِ لبــذرِ البــذور، وغــرسِ الــشتائل . فنزلــت الأحكـامُ، وتتابعـتِ التـشريعاتُ، ترعـى المجتمـعَ النـاهضَ الجديـد، وتفـتحُ صفحةً جديـدةً مـن سـجلِّ الـدعوةِ، تختلـفُ في طبيعتهـا وظروفِهَـا عـن الفـترةِ المكِّيَّـةِ الـسابقة. ظَهَـرَ مـن خلالِهـا نـورُ الإسـلامِ، بعـد أن حجَبَـهُ المـشركونَ دهـراً مـن الزمـان. فكانـت المدينـةُ المنـورةُ مجمـعَ المـؤمنين، ومـأوى المـسلمين، توحَّـدت فيهـا الكلمـةُ، وتجمَّعـت فيهـا الأفئـدةُ، فالكـلُّ إخـوةٌ في الله تعـالى، قــد صــاغَهُمُ الإســلامُ صــياغةً جديــدةً، وربَّــاهم الرســولُ صــلى الله عليــه وسـلم تربيـةً فريـدةً. حتـى توحَّـدت القلـوبُ، واتحـدتِ الأرواحُ، وكـأنَّهم الجسدُ الواحـد، لا أحـدَ أحـقُّ بـمالٍ مـن أخيـه، قـد بلـغَ الإيثـارُ مـنهم قِمَّتَـهُ، ووصـلَ الحـبُّ بيـنهم ذِرْوَتَـهُ. فخـاضَ رسـولُ الله صـلى الله عليـه وسـلم بهـؤلاءِ الأبـرارِ غِـمارَ الـدنيا، ففـتحَ بهـم القلـوبَ والأمـصارَ، ودَكَّ بهـم الأصـنامَ والأحجَـارَ. فتزكَّـت بالتوحيـدِ النفـوسُ، واسـتنارت بالهدايـةِ العقـولُ، فعـمَّ الخـيرُ الـبلادَ، واهتـدى بـالوحي العبـاد. فالكتـاب كتـابُ الله، والهَدْيُ هديُ محمدٍ رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم. فـلا مكـانَ للباطـلِ بعـد الحقِّ، ولا موقعَ للـضلالِ بعـدَ الهُـدَى. فقـد أَفَلَـتْ نجـومُ الأحبـارِ والرهبـانِ، وانــدحرت أقــوالُ الفلاســفةِ والكهــان. قــد أشرقــت شــمس الهدايــة للـسالكين، واسـتبانَ الحـقُّ للراغبـينَ. فـلا لاتَ ولا عُــزَّى، ولا قيـصرَ ولا كسرى. قد جاءَ النهارُ بأنوارِه، وانجلى الليلُ بأوهامِهِ.

أيهـا الأخـوة الكـرام: لم تكـن حادثـةُ الهجـرة النبويَّـةِ حادثـةً عاديـةً في حيـاةِ الـدعوةِ الإسـلاميةِ، وإنـما هـي أمُّ الأحـداثِ، وبـؤرةُ الـصراعِ بـين الحـقِّ

والباطلِ، تعرَّضَتْ فيها الدعوةُ الإسلاميةُ إلى أخطرِ المواقف، وأشدِّها على الإطلاق، وذلكَ حينَ عزمَ المبطلونَ على قتلِ صاحبِ الرسالةِ عليه الصلاة والسلام، فلا تقومُ للدين الجديدِ قائمةٌ بعدها، فلما وصلَ المكرُ قمَّتَهُ، وبلغَ الكيدُ ذِرْوَتَهُ: ظهرت المعجزةُ، وتدخَّلت العنايةُ الإلهيةُ، حينَ انقطعت الأسبابُ الماديَّةُ، والوسائلُ البشرية: فإذا برسول الله صلى الله عليه وسلم ينسَلُّ من بينِ أربعينَ شاباً مسلَّحاً مُترصِّداً له، فينطلقُ إلى أبي بكر رضي الله عنه، الذي قد أعدَّ لهذه الرحلةِ العظيمةِ عُدَّتَها، ووضع لها بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم خطَّتَها، فخرجا سوياً من مخرج خلفي لبيت أبي بكر، فذهبا في اتجاه الجنوبِ بدلاً من الشَّمال، تعميةً للمشركين. فكَمَنَا ثلاثةَ أيامٍ في غار ثور، حتى يبردَ الأمْرُ، وييئَسَ المشركون. وقد اتَّخَذ الرسول صلى الله عليه وسلم كلَّ الأسباب الممكنة لنجاح الهجرة، فاستفاد من كلِّ طاقةٍ بشريةٍ يمكن أن يُستفاد منها، فكان عبد الله بنُ أبي بكر رضي الله عنهما لنقل أخبار المشركينَ بمكة، وكانت أسماءُ بنتُ أبي بكر رضي الله عنهما لجلب الطعام، وكان عامرُ بنُ فُهيرة رضي الله عنه يمرُّ بأغنامه على آثار عبد الله وأسماء فيُعمِّي عليها، ويسقي المهاجِرَيْنِ العظيميْنِ من ألبانها. وأما عبدُ الله بنُ أُريقط رغمَ أنَّهُ كان على دين قومه إلا أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم استفادَ من أمانته، وخبرته بالطرق؛ ليكونَ دليلَ الهجرةِ إلى المدينة المنورة، حيث واعدَهُ أبو بكرٍ رضي الله عنه عندَ جبلِ ثورٍ بعد ثلاثة أيام، فجاءَ الرجلُ في موعده براحلتين، لإنجاز أعظمِ هجرةٍ في التاريخ الإنساني.

أيها الأخوة الأفاضل: انطلقَ الركبُ المباركُ غرباً نحوَ ساحل البحر، ثم شمالاً نحو المدينة المنورة، عبرَ طريقٍ وعِرَةٍ لا يسلُكُها أحد. فتجلَّت في هذا المسيرِ

الراشد شخصيةُ الرسول صلى الله عليه وسلم، وعظيمُ ثباتِهِ، وكمالُ توكُّلهِ على ربّـــهِ عز وجل، فكـــان عليه السلام لا يلتفت في مسيره، ولا يتطلَّعُ إلى غير السماءِ. وحُقَّ له ذلك، فلماذا يلتفِتُ ، وقد اتَّخَذَ الأسبابَ كأكمل ما يكونُ، وحزمَ أمرَهُ كأفضلِ ما يمكن، فلم يعد بوسْعِهِ أكثرَ من ذلك. في الوقــت الذي كان إشــفاقُ أبي بكر عظيماً. وهَلَعُهُ كبيراً. إذا تذكَّر الراصدين سارَ أمامَ رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإذا ذكرَ الطالبين سار خلفه. وليس ذلك لضعفِ ثقتِهِ بالله، أو لشكٍ في نصرِ الله ، وإنما ليكونَ نحْرُهُ دون نحر رسول الله صلى الله عليه وسلم، ليكونَ دَمُهُ دونَ دم رسول الله صلى الله عليه. إنه الحبُّ الصادِقُ لشخص رسول الله صلى الله عليه وسلم، والإشفاقَةُ الكبرى على مصيرِ الدعوة، وسلامةِ الرسالة.

أيها الأخـوة الكـرام: لقـد استهلكت هـذه الرحلـةُ العظيمـةُ أكثـرَ مـن عشْرةِ أيامٍ، كـان أهـلُ المدينـةِ يخرجـونَ إلى أطرافهـا ينتظـرونَ الركـب المبـارك ، وقـد طـارت أفئــدَتُهم شـــوقاً لرؤيــــة رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم، لا يـدرونَ هـل تـنجحُ الهجـرةُ، فينعمـونَ بـصحبته، وشَرَفِ نُـصْرَة رسالتــه، أم تحـول بيـنهم وبينـه الأقـدار، فيُقْتَطَـعُ دونَهـم، فيعـودونَ إلى مـا كـانوا عليـه من الـضلالاتِ الجاهليـةِ، والثـاراتِ القبليَّـةِ. فـما أن طَلَـعَ الركـب المُظَفَّـرُ بـين سرابِ النهــارِ حتــى عــادَ إلى النفــوسِ اســتقرارُهَا، وظهــرت البهجــةُ عــلى الوجوهِ، وانبعـث الأمـلُ مـن جديـد، فأشرقَـتِ المدينـةُ بـالأنوار، حتـى أضـاء منها كُلُّ شيء. هذا رسولُ الله، هذا حبيبُ الله، هذا الأملُ بعدَ الله.

أيهـا الأخـوة: لـمَّــا دخـلَ رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم حـصنَ المدينـةِ، ودارَ نُـصْرتِهِ، لم يكــن مــن المُــسْتغربِ أن يكــون أوَّلُ حديثـه للنــاس

عن معاناتِـهِ في الهجـرة، ومـا لاقـاهُ مـن المـشركينَ بمكـةَ، ومـع هـذا فقـد كـانَ مـن أول كلامِـهِ: « أيهـا النـاسُ أفـشوا الـسلامَ، وأطعمـوا الطعـامَ، وصِـلُوا الأرحام، وصَـلُّوا بالليـلِ والنـاسُ نيـامٌ : تـدخلوا الجنَّـةَ بـسلام » .إنَّهـا الـنفسُ العظيمةُ، والروحُ الذكيَّةُ، إنَّها الرحمةُ المُهداةُ من ربِّ العباد.

أعوذ بالله مـن الـشيطان الـرجيم: ﴿ **لَقَـدْ جَـاءكُمْ رَسُـولٌ مِّـنْ أَنفُـسِكُمْ عَزِيـزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّـمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْـمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ** ﴾ .

أقـول مـا سـمعتم وأسـتغفرُ اللهَ لي ولكـم فاسـتغفروه إنـه هـو الغفـور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمدُ لله يُعزُّ أولياءَهُ ويُذِلُّ أعداءَهُ. نصْرُهُ قريب، ولطفُهُ عجيب. وعْدُهُ حقٌ، ولقاؤهُ حقٌ. لا إله إلا هو يفعلُ ما يشاء، ويحكُمُ ما يريد. بيده الخير وهو على كلِّ شيء قدير.

أيهـا الإخـوة الكـرام: يقـول الله تعـالى عـن حادثـة الهجـرة في كتابـه العزيز: ﴿ **إِلاَّ تَنـصُرُوهُ فَقَـدْ نَـصَرَهُ اللَّـهُ إِذْ أَخْرَجَـهُ الَّـذِينَ كَفَـرُواْ ثَـانِيَ اثْنَـيْنِ إِذْ هُمَـا فِي الْغَـارِ إِذْ يَقُـولُ لِـصَاحِبِهِ لاَ تَحْـزَنْ إِنَّ اللَّـهَ مَعَنَـا فَـأَنزَلَ اللَّـهُ سَـكِينَتَهُ عَلَيْـهِ وَأَيَّـدَهُ بِجُنُـودٍ لَّمْ تَرَوْهَـا وَجَعَـلَ كَلِمَـةَ الَّـذِينَ كَفَـرُواْ الـسُّفْلَى وَكَلِمَـةُ اللَّـهِ هِـيَ الْعُلْيَـا وَاللَّـهُ عَزِيـزٌ حَكِـيمٌ**﴾ ، ويقـول رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم: «رأيـتُ في المنـامِ أنِّي أُهاجـر مـن مكـةَ إلى أرضٍ بهـا نخـل،

فـذهبَ وَهَـلي – يعنـي ظنِّـي – إلى أنَّهـا اليمامـــةُ أو هَجَـر، فـإذا هـي المدينـةُ يثْربُ » .

أيها الإخوة : إنَّ لطفَ المولى عز وجل كانَ يكلأُ الدعوةَ الإسلاميةَ من أولِ أمرها، فرغَم ما حَفَّتَ بها من الشدائدِ والفتنِ، وأعمالِ التنكيلِ والإبــادةِ : إلا أنها لم تُستأصل، بل بقيت ثابتةَ الأقدام، راسخة الأركان، حتى أذنَ اللهُ تعالى بالهجرة إلى المدينة، فكانت فتحاً جديداً للدعوة، ونصراً عظيماً للإسلام وأهلِهِ. فكان لزاماً على كلِّ مُؤمنٍ صادقٍ أن ينفُضَ يديه من ديار الكفر والشِّركِ، فيهاجرَ إلى دارِ الإسلام بالمدينة، فنالَ شرفَ الهجرة أقوامٌ، وفات آخرينَ. حتى إذا كان فتح مكة، انقطعَ فضلُ الهجرةِ إلى المدينة، فكانت البيعةُ بعد ذلك على الجهادِ والإسـلام، فقد قال عليـه الصلاة والسلام: « لا هجرةَ بعد الفتحِ ولكن جهادٌ ونيةٌ » .

وكــان عليــه الــصلاة والــسلام يوجِّــهُ المـؤمنينَ الــراغبينَ في فــضلِ الهجـرة إلى العمـل الـصالح فيقـول: « المـسلمُ مـن سـلمَ المـسلمونَ مـن لـسانهِ ويــده، والمهــاجرُ مــن هَجَــرَ مــانهى الله عنــه» . ولمــا سُــئل عليــه الــصلاة والسلام: «أيُّ الهجرةِ أفضلُ، قال: أن تهجرَ ما هَجَرَ ربُّكَ عز وجل» .

فـاتقوا الله أيهـا النـاس، واهجُـروا مـا أَمَـرَكُم اللهُ بهجْـره مـن المعـاصي والمنكـرات، وصِـلُوا مـا أَمَـرَكُم الله تعـالى بوصْـلِهِ مـن الـصالحاتِ والفـضائلِ. فما بـالُ أنـاسٍ لا يهتـدونَ، ولا يتبـصَّرونَ، ولا يتـذكَّرونَ، وكـأنما خُلقـوا عبثـاً، وكُلِّفُــوا شــططاً. لا يهجــرونَ معــصيةً، ولا يــصِلُون فــضيلةً. قــد أخفــقَ

أحدُهُم أن يهجرَ شهوةً مـن شـهواته، أو أن يفطِمَ نفسه عـن لـذةٍ مـن مَلذَاتِـهِ، ثم لا يـسْتَحْيي بعـد ذلـك أن يتمنَّى عـلى الله الأمـانيَّ ، والمهـاجرُ المجاهـدُ مـن أصــحابِ النبـي صـلى الله عليـه وسـلم يتمنَّـى أن يخـــرجَ مـن الدنيـا لا لـه ولا عليـه، بـل إنَّ أَحَـدَهُم ليمـوتُ وحاجتُـهُ في صـدره، لا يـصلُ إليهـا في الـدنيا، مـع ذلـكَ يخـشى مـن الله مـا لا نخـشاه، ويخـاف منـه مـا لا نخـاف، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

فـاتقوا اللهَ أيهـا النـاس. واعْرفُـوا قـدرَ أنفـسِكُم، فـإن فـاتكُم فـضلُ الهجرةِ إلى المدينة فلا يفوتَـنَّـكُم فضلُ الهجرةِ من المعاصي إلى الطاعات.

۞ ۞ ۞

٢- وفاة النبي صلي الله عليه وسلم وموقف أبي بكر رضي الله عنه

الخطبة الأولى:

الحمدُ لله حمدَ الشاكرينَ، والصلاةُ والسلامُ على خير المرسلين، وإمام المتقينَ، المصطفى من بينِ العالمينَ، نبيِّ الهُدى والنور، والبركةِ والحُبُور، والسلامةِ والسُّرور.

بعثَهُ الله تعالى على فترةٍ من الرسل، قد أظلمت فيها الدنيا بجاهليَّتِهَا، وضاق أهلُها بمظالِمِهَا، وعمَّت فيها المفاسدُ بأنواعِها، حتى لم يعد للحق فيها مكانٌ، ولم يبقَ للعدل فيها سلطانٌ. الإيمانُ عندَهُم ما قَالهُ الكُهَّانُ، والعبادةُ فيهم تعظيمُ الأوثانِ. لم يبقَ لهم من ملَّة إبراهيم إلا اسمها، ولم يبقَ من مناسِكِ إسماعيلَ إلا رسْمُها. قد عمَّ الشركُ أرضَ العربِ والعجمِ، وانتشرَ الظلمُ فلحقَ القريبَ والبعيد، فالحقُّ عندهم ما أقرَّهُ الأقوياءُ، والباطلُ عندهم ما جَحَدَهُ الأثرياءُ، فحقوقُ الضعفاءِ مسلوبةٌ، وأموال المساكين منهوبةٌ. البنتُ أول المحرومينَ، والمرأةُ آخرُ المُنْصَفينَ، والعبدُ المملوكُ مع المنبوذينَ.

في خضم هذا الظلامِ الدَّامِسِ، وفي معتركِ هذا الليلِ العابِسِ: أشرقَ فَجْرُ محمدٍ صلى الله عليه وسلم بأنوار الوحي، يُعلن للدنيا أفول الليل، وظهورَ النهار، لا ظُلْمَ ولا اضْطهاد، ولا شركَ ولا فساد، العدلُ دليلُهُ، والهُدى سبيلُهُ، جاءَ إلى الدنيا يُعلنُ الحقَّ، ويُزهِقُ الباطلَ. أقامَ الدينَ بأمرِ ربِّهِ على قاعدة التوحيد، وأسَّسَ السلوكَ على قاعدةِ الأخلاق،

وحفـظَ الـنفسَ بقاعـدةِ العـصْمَةِ، وضـبط الاقتـصاد بقاعـدةِ الاعتـدال، وأحكـم العقـل بقاعـدةِ الفكـر. فـلا زيـغَ ولا شَـطَطَ، لا فـوضى ولا عَبَـث. عامـلَ النـاسَ بُحـسنِ أخلاقِـهِ، فالتواضـعُ منـه نَـبَعَ، والحيـاءُ إليـه رَجَـعَ، الشَّفقةُ من طبعـه، والحِلْـمُ مـن نهجِـهِ. أعظـمُ النـاسِ كَرَمَـاً، وأكثَـرُهُم جُـوداً. يبخـلُ عـلى نفـسه بأقـلِّ القليـل، ويجـودُ بالغـالي للمـسكينِ والفقـير. إذا كانـت الـضراءُ كـانَ أوَّلَ النـاسِ، وإذا كانت الـسَّرَّاءُ كـانَ أخـرَ النـاسِ، لـيس للـدنيا في نفسِهِ مكانٌ، ولـيس للهـوى في قلبِـهِ سـلطانٌ، لقـد طلَّـقَ الـدنيا بـلا رجعـةٍ، وأقبَـلَ عـلى الآخـرةِ بـلا أوبـةٍ. حتـى إذا اكتمـلَ البنـاءُ، وَرَسَـتْ قواعـدُهُ، وشُـدَّت جنباتُـهُ : أذنَ المـولى عـز وجـل برحيـل خـيرِ الخلـقِ، وحبيـبِ الحـق: فكان الزلـزالُ الأعظـمُ، والفتنـةُ الكـبرى، طاشـت للخـبرِ العقـولُ، وتزلزلـت للواقعـةِ النفـوسُ، وكأنَّهـا الـصواعِقُ تخـرِمُ الآذانَ، والـسِّياطُ تُلهِـبُ الأبـدانَ. أيمـوتُ محمـدٌ صـلى الله عليـه وسـلم كـما يمـوتُ النـاسُ، ويُـوارى في الـترابِ كـما يـوارى الأنـامُ، أيكـون هـذا مـصيرَ خـير الخلـق، أتكـونُ هـذه نهايـةَ مـن ازدهـرت بـه الحيـاةُ، وعُمِـرت بـه الـدنيا، وأحيـا الله بـه المـوات، كيـف تطيـبُ النفـوس بدفنـه، ومـن هـذا الـذي يتجـرَّأُ فيحثـو عليـه الـتراب، إنهـا أسـئلةُ المحبـينَ، الـذينَ تقطَّعـت قلـوبُهم لموتـه، وتفطَّـرتْ أكبـادُهُم لفقـدِهِ، حتـى طاشَتْ منهُمُ العقـولُ، وطـارت مـنهم النفـوسُ. وحُـقَّ لهـم، فمـن هـذا الـذي يطيـقُ وقـعَ خـبر موتِـهِ، ومـن هـذا الـذي يـستطيعُ أن يـرى جُثْمَانَـهُ بـلا روح، وقد كـان قبـلَ قليـلٍ مـلءَ الـسمعِ والبـصر. مـن هـذا الـذي تَطيـبُ النفـوسُ بـصحبتِهِ فـلا تمـلُّ مـن رؤيـتِهِ، ومـن هـذا الـذي يتحمَّـلُ البـدويَّ بغلظتِـهِ،

والمنافقَ بخبثِ طويَّتـهِ، والفاسـقَ بجُرْأتِـهِ، والجاهـلَ بـسَفَهِهِ. ومـن هـذا الـذي يُسْلِمُ زِمَامَهُ للأمَـةِ تـسُوقُهُ بيـدِهَا في الطريـق، ومـن هـذا الـذي يمتطـى الطفـلُ ظهرهُ، ويبولُ عـلى ثوبـه. مـن للمظلـومِ بعـدَ رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم يُنـصِفُهُ، ومـن للجـائعِ يُطْعِمُـهُ، ومـن للمـسكينِ يرحَمُـهُ، ومـن لليتـيمِ يُكْرِمُـهُ. كيـفَ سـتواجِهُ الأمَّـةُ الحيـاةَ بعـده، وقـد انقطـعَ الـوحيُ بموتـه. ومـن هـذا المؤهَّـلُ ليقـومَ في مقامِـهِ، فيـصلي في محرابـه، ويخطـبُ عـلى منـبره، ومـن هـذا الذي يمكِنُ أن تنقادَ له الأمَّةُ مُطيعةً بعد رسولِ الله صلى الله عليه وسلم.

أيهـا الإخـوة: ولـئن كـان رَسـولُ الله صـلى الله عليـه وسـلم قـد مـضى بشخْـصِهِ، فقـد خلَّـفَ وراءَهُ كتـابَ الله والـسنَّـةَ، وخلَّـفَ معهـما أهـلَ بيتـه النُّجَبَـاءَ، وصـحابَتَهُ الفـضلاءَ. خلَّـفَ جِـيلاً مـن النـاس لا يَعْـرفُ الـدَّهرُ لهـم مثـيلاً، ولم يَخْـبُرِ الزمـانُ لهـم شـبيهاً، إنهـم أُعْجُوبَـةُ الـدنيا، ونـادِرَةُ الحيـاة. الواحـدُ مـنهم كـالنجمِ في عليائِـهِ، وكالكَوكَـبِ في سـمائِهِ. قـد حـازوا العلـمَ والعملَ، و الـسيادةَ والـشرفَ، لم يـسبقهُم أحـدٌ مـن الخلـقِ إلا بدرجـةِ النبـوَّةِ، فقـد فـاتوا الأولـينَ والآخِـرينَ، وسـبقوا غَـيرَهُم مـن الأوليـاءِ والـصالحين. إنهم مصابيحُ الهدى، يكـشِفُ اللهُ بهـم كُـلَّ فتْنَـةٍ مُظْلمـةٍ، ويُعْـلي بهـم كـلَّ رايـةٍ مُؤمنـة. أذلَّ اللهُ بهـم الـشركَ وأهلَـهُ، وأعـزَّ اللهُ بهـم الإيـمانَ وحزبَـهُ، حتـى كانـت كلمـةُ الله هـي العليـا، وكَلِمَـةُ الـذينَ كفـروا الـسفلى. كـانوا رضيَ اللهُ عـنهم أبـرَّ النـاسِ قلوبـاً، وأعمـقَ النـاسِ علـماً، وأقـلَّ النـاسِ تكلُّفـاً، وأكثـرَ الناسِ عملاً. قد اختـارَهُم الله تعـالى لـصحبة نبيِّـه صـلى الله عليـه وسـلم حـين علـمَ أنَّ قلـوبَهُم خـيرُ القلـوب، فجعلهـم موضـعَ كرامتِـهِ، ومكـانَ فـضلِهِ،

وألـزمَ مـن بعـدَهُم محبَّـتَهُم، وجَعَلَهـا مقيـاسَ الإيـمان، فمـن أحـبَّهُم فهـو مؤمنٌ، ومن أبغَضَهُم فهو منافق.

شَـهِدوا الـوحيَ والتنزيـلَ، وعَرَفُـوا التفـسيرَ والتأويـلَ، فلـم يـسبقْهُم أحـدٌ بعلـمٍ، ولم يَفُـتْهُم أحـدٌ بعمـل. انطلقـوا بعـد وفـاةِ رسـولِ الله صـلى الله عليـه وسـلم يجُوبُـون الأرضَ، مبـشرينَ ومنـذرينَ، واعظـينَ ومـذكِّرينَ، هـادينَ مهتـدينَ. لم تُعِقْهُـمُ الجبـال ولا القِفَـارُ، ولا البحـارُ ولا الأنهـارُ عـن تبليغِ رسالةِ الإسلامِ، والحرصِ على هدايةِ الناس.

أيهـا الإخـوة الكـرام: إنَّ مـا أصـابَ الـصحابةَ مـن الـصَّدمة بـسببِ وفـاةِ رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم لم يكـن إلا سـاعةً مـن نهـار، لم تحتمِـلْ النفـوسُ وقـعَ الفاجعَـةِ عليهـا، وعظـيمَ المـصيبةِ فيهـا، حتـى ظهـرَ مـن بـينِ جمـوعِ المكْلُـومِينَ، ومـن بـين فئـاتِ المُـصابينَ: إمـامُ عـصرِهِ، وسـيِّدُ زمانِـهِ، شـمسُ النهـار، وقمـرُ الليـلِ، صـاحبُ الغـار، ورفيـقُ الهجـرة: أبـو بكـرٍ الـصديق رضي الله عنـه وأرضـاه، لم يكـن أَقَـلَّ مـنهم مُـصاباً، ولا أقـلَّ مـنهم حُزنـاً، إلا أنَّ اللهَ اختـارَهُ ليكـونَ رَجُـلَ الـساعةِ، وشخـصيةَ الوقـت، وصـاحبَ الموقـفِ، أنـزلَ اللهُ الـسكينة في قلبِـهِ، واليقـينَ في صـدرِهِ، والثبـاتَ في أركانِـهِ، والحجَّـةَ عـلى لـسانه. فَوَقَـفَ للجمـوعِ المنكُوبـةِ، وقلبُـهُ قـد مُلـئَ حُزنـاً، وكبـدُهُ تتفطَّـرُ ألمـاً. وَقَـفَ لهـم وحُزنُـهُ أعظـمُ مـن حُـزْنِهِم، ومـصيبتُهُ أكبَرُ مـن مـصيبتِهِم، ومـع ذلـك فقـد كـانَ أعظَمَهُـم يقينـاً، وأثبَـتَهُم جَنانـاً، في موقفٍ تتزلزلُ له الأبطـالُ، وتَخِـرُّ لَـهُ قـوى الرجـالِ. وقـف رضي الله عنـه بـين الجمـوعِ الحـائرةِ يقـول: «مـنْ كـانَ مـنكم يعبـدُ محمـداً فقـد مـات، ومـنْ كـان

يعبدُ الله، فإنَّ اللهَ حيٌّ لا يموت»، ثم تلا قولَ الله تعالى: ﴿ **وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ** ﴾، ثم قال في مناسبة أخرى، يثبِّتُ المؤمنينَ: «إنَّ اللهَ عمَّرَ محمداً صلى الله عليه وسلم وأبقاهُ حتى أقامَ دينَ الله، وأظهرَ أمرَ الله، وبلَّغَ رسالةَ الله، وجاهدَ في سبيلِ الله، ثم توفاهُ اللهُ على ذلك... فاتقوا الله أيها الناسُ، واعتصموا بدينِكُم، وتوكَّلُوا على ربِّكُم، فإنَّ دينَ الله قائمٌ، وإنَّ كلمَتَهُ تامَّةٌ، وإنَّ اللهَ ناصرٌ من نَصَرَهُ، ومُعِزٌ دينَهُ، وإنَّ كتابَ الله بينَ أظْهُرِنا، وهو النورُ والشفاءُ، وبه هدى الله محمداً صلى الله عليه وسلم، وفيه حلالُ الله وحرامُهُ، والله لا نبالي من أجلَبَ علينا من خلقِ الله، إنَّ سيوفَ الله لمسلولَةٌ، ما وضَعناها بعدُ، ولنجاهِدَنَّ منْ خالفنا كما جاهدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلا يبغينَّ أحدٌ إلا على نفسه».

أيها الإخوة: إنها كلماتٌ عظيمةٌ، وعباراتٌ صادقةٌ جليلةٌ: ثبَّتَ اللهُ بها قلوبَ المؤمنين، وقمعَ بها آمالَ المنافقين، وأظهرَ اللهُ بها فضلَ أبي بكرٍ على سائرِ الصحابة، فما كان منهم إلا أن بايعُوهُ على الخلافة. ولئن كانَ موقِفُهُ يومَ وفاةِ رسول الله صلى الله عليه وسلم عجيباً؛ فإنَّ موقِفَهُ يومَ الردَّةِ أعجبُ وأغرَبُ. وذلك حين ارتدت كثيرٌ من قبائلِ العربِ، واختلطت في أذهانِ بعضِهم أصولُ الدينِ وأحكامُهُ. فإذا بالصحابةِ يتردَّدُونَ في أمرِهم، ويلينُونَ في شأنِهم، رغبةً منهم في تأليفِ القلوبِ، وجمعِ الكلمةِ. فإذا بهذا الرجلِ النحيلِ في بدنِهِ، الضعيفِ في صوتِهِ، الرقيقِ في طبعِهِ، ينبري لهذا الموقفِ وحدَهُ، وكأنَّه الأسدُ يدافعُ عن عرينِهِ،

فصَاحَ في الناس: «والله لأقاتلنَّ من فرَّقَ بين الصلاةِ والزكاة»، «والله لو مَنَعُوني عِقالاً كانوا يُؤدونَهُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتُهُم عليه»، حتى رُوي أنَّه قال: «والله لو خالفتني شمالي لقطَعْتُها»، فكان رضيَ الله عنه يرى الحقَّ في هذه المسألة كما يرى الشمسَ في النهار. فكان رأيُهُ هو الرأي، وقولُهُ هو الحق. فوحَّدَ اللهُ الجزيرةَ من جديد، وعادَ الناسُ إلى صوابِهِم، وزَهَقَ الباطلُ بفضلِ الله تعالى، وانطلقَ الناسُ أمَّة واحدةً، كأقوى ما يكون، بعد أن كان هلاكُها وشِيكاً، وذهابُ الإسلامِ قريباً. فأيُّ مِنَّةٍ خلَّفها أبو بكر رضي الله عنه في رقاب المسلمينَ من بعده، وأيُّ فضلٍ نالَ الأمَّةَ بخلافتِهِ، وأيُّ نعمةٍ أنعمَ اللهُ تعالى بها على الأمَّةِ بهذا الرجل. فاعْرفوا أيها الإخوة لهؤلاءِ الفضلاءِ مكانَتَهُم، واحفظوا لهم حُرْمَتَهُم، فإنَّ أحَدَكُم لو عُمِّر عُمُرَ نوحٍ عليه السلام في طاعةِ الله وعبادتِهِ، ما بلغَ ساعةً منْ عُمُرِ أحَدِهِم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أقول ما سمعتم وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه إنَّهُ هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمدُ لله وكفى، والصلاةُ والسلام على نبيه المجتبى، سيِّدِ الخلقِ، وحبيبِ الحقِ. بلَّغ الرسالة، وأدَّى الأمانةَ، ونصحَ الأمةَ، وتَرَكَهَا على

المَحجَّــةِ البيــضاء النقيــة، لا غــبشَ ولا عمـــــى. وأشــهدُ أن لا إلــه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهدُ أن محمداً عبده ورسوله. أما بعد:

فيقــول الله تعــالى عــن أصــحاب النبـــــي صــلى الله عليـــــه وســلم: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ، ويقـولُ الرسـول صـلى الله عليـه وسلم: «لا تسبُّوا أصحابي فلـو أنَّ أحَـدَكُم أنفـقَ مثـلَ أُحـدٍ ذهبـاً مـا بلـغ مُـدَّ أَحَـدِهِم ولا نَـصِيفَه»، وقـال عليـه الـصلاة والـسلام عـن أبي بكـرٍ خاصـة: «إنَّ أمــنَّ النَّــاسِ عــليَّ في صــحبتهِ ومالِــهِ أبــو بكــر» ، ولمـا غَاضَـبَهُ بعـضُ الـصحابةِ قـامَ الرسـول صـلى الله عليـه وسـلم فقـال: «إنَّ اللهَ بعثنـي إلـيكم فقلتم كذبتَ وقالَ أبو بكرٍ صـدقَ، وواسـاني بنفسِهِ ومالِـهِ، فهـل أنـتم تـاركو لي صــاحبي »، وقــال عليــه الــصلاة والــسلام مــرةً لأصــحابه: «مــن أصْــبَحَ مِنكُمُ اليومَ صَائماً؟ قـال أبـو بكـر : أنـا، قـال: فمـن تَبِـعَ مـنكمُ اليـومَ جنـازة ؟ قال أبو بكــر : أنـا، قـال: فمـن عـادَ منكُـــمُ اليـومَ مريـضاً؟ قـــال أبــو بكـر: أنـا، فقـال رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم: مـا اجـتمعنَ في امـرئٍ إلا دخـلَ الجنَّة».

أيهــا الإخــوة : هــذا جهــدُ هــؤلاءِ الكــرام، وهــذه إنجــازاتهُم، وهــذه تَرِكَــةُ رســولِ الله صــلى الله عليــه وســلم قــد وصــلتكُمْ عــن طــريقِهِم، ومــن خِــلال جُهــودِهِم وجِهَــادِهِم، وصــلتكم نقيــةً كــما هــي، صــافيةً خالــصةً: فــما أنتم فاعلون بها؟.

٣- عمر بن الخطاب رضي الله عنه

الخطبة الأولى:

الحمدُ لله الذي أنزلَ على عبدِهِ الكتابَ، وأيَّدَهُ بخيارِ الأصحابِ، ونَصَرَهُ بفضلهِ على جموعِ الأحزابِ، حتى ظهرَ الدينُ، وتبيَّنَ الطريقُ، فأعزَّ الله المؤمنينَ، وأذلَّ المشركينَ. وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحدَهُ لا شريكَ لَهُ في ألوهيتِهِ، ولا ندَّ له في ربوبيتِهِ، ولا شبيهَ له في أسمائِهِ وصفاتِهِ. أنزلَ الكتبَ لهدايةِ خَلْقِهِ، وأرسلَ الرسلَ لقيادةِ حزبِهِ، فاختارَ لرحمتِهِ السُّعداءَ، وأَضَلَّ عن فضلِهِ الأشقياءَ. هدى أولياءَهُ للاعتصام بكُتُبِهِ، ووفَقَّهُم للاقتداء برسله. فحملوا راياتِ الهُدَى، وتجنَّبوا سبيلَ الرَّدَى، فرضِيَ اللهُ عنهم ورضوا عنه.

وأشهدُ أنَّ محمداً عبده ورسوله: سيِّدُ الأنبياء، وأتقى الأتقياء، وأعظمُ العظماء. وأشهدُ أنَّ أصحابَهُ أفضلُ الأولياء، وأزكى الأصفياء، وأنبلُ النجباء، بعد الرسلِ والأنبياءِ. خصَّهُمُ اللهُ بالصحبةِ، وأكرَمَهُم بالمحبَّةِ، فاختارهم لحملِ رسالتِهِ، ونشرِ هدايتِهِ، ففتحَ بهمُ البلادَ، وهدى على أيديهمُ العبادَ. أهلُ الفضلِ والهدى، والكرمِ والتقى. قُلوبُهُم زكيَّةٌ، وأرواحُهُم نديةٌ، وأعمالُهُم عليةٌ. اللهُ بكتابه ربَّاهم، والنبي صلى الله عليه وسلم بسنَّتِهِ زكَّاهُم. حفِظَهُمُ اللهُ من الردَّةِ بالصدِّيق، وعَصَمَهُم من الفتنةِ بالفاروقِ . فكانت النعمةُ من الله على الأمَّةِ بهذينِ الشيخينِ: أبي بكر وعمرَ رضيَ اللهُ عنهما، خصَّهُما اللهُ دون الأمَّةِ بفضائلَ لم تجتمع لأحدٍ، وحبَاهُما بكمالاتٍ لم تكتملِ لأحدٍ، حتى رَفَعَهُما اللهُ إلى مرتبةِ سيادةِ كهولِ أهلِ الجنةِ . فرضيَ اللهُ عنهما وأرضاهما، وجزاهما خيرَ ما جازى خليفةً عن أمتِهِ.

أيها الإخوة الكرام: ولئِن كانَ أبو بكرٍ رضي الله عنه قد سبقَ الجميعَ بعظيمِ فضائِلِهِ، وكريم شمائِلِهِ، فإنَّ عمرَ رضي الله عنه قد سبقَ مَنْ بعده بفضائِلَ وشمائِلَ لم يلحقْهُ فيها أحد، ولم ينافسْهُ فيها أحد، فهو المحدَّثُ الملْهَمُ، المتفرِّسُ المُسَدَّدُ، أجرى اللهُ الحقَّ على لسانه وقلبه، وفرَّق الله به بين الحقِ والباطلِ، حتى إنَّ الشيطانَ لا يسلُكُ طريقاً فيه عمر، فكانَ أشدَّ الناسِ في الله تعالى، وأعظمَهُمْ له خشيةً. جاءَ خبرُهُ في التوراة : «قرنٌ من حديدٍ، أميرٌ شديد»، ونزل القرآن في مواقفَ كثيرةٍ يوافِقُهُ في اجتهاده، حتى قال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لو كان بعدي نبيٌ لكانَ عمر».

أيها الإخوة: لقد استبشرَ أهلُ السماءِ بإسلامِ عمرَ رضيَ الله عنه، فقد كان إسلامُهُ عزّاً للمسلمين، ونصراً للمؤمنين، حتى جهروا بالإسلام، وصلُّوا عند الكعبة، وقرؤوا القرآن. وكان رضيَ الله عنه يمرُّ على مجالسِ المشركينَ يُعلنُ فيهم إسلامَهُ، ويُجادِلُهُم، حتى إذا اغتاظوا منه قاموا إليه يضربونَهُ ويضربُهُم. فكان هذا حالَهُ حتى أذنَ اللهُ بالهجرة . فلما كانَ يومُ هجرتِهِ، وقفَ على نادِيهم فقال: « ها أنا أخرجُ إلى الهجرةِ، فمن أرادَ لقائي فليلْقَني في بطنِ هذا الوادي »، فلم يتْبعه أحد. فلما كانَ في المدينةِ لازمَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، حتى شَهِدَ مَعَهُ المشاهِدَ كلَّها، فكانَ مُستشارَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ووزيرَهُ. فلما تُوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم لازمَ أبا بكرٍ، فكان رأسَ أهلِ المشورةِ عنده، ووزيرَهُ المقدَّمَ، حتى تُوفي أبو بكرٍ رضي الله عنه، وقد عَهِدَ بالخلافةِ لعمر، فلم يختلف في ولايتِهِ اثنان، فكانت إمْرَتُهُ إجماعاً لا مثيلَ له، وفتحاً لا سابقَ له. أهْلَكَ ا لله تعالى في زمنِهِ كسرى وقيصرَ، حتى فُرِّقت كنوزُهُما على المسلمين، وفُتحت الأمصارُ، وبُنيت

المدنُ، وكُتبت الدواوينُ، وتوسَّعت أرزاقُ الناس، وانتشرتِ الرعيةُ، وامتدَّتِ البلاد. فأعزَّ اللهُ على يده الإسلامَ وأهلَهُ، وأذلَّ الكفرَ وأهلَهُ من اليهود والنصارى والمجوس والمنافقينَ . حتى حَقَدُوا عليه حِقْداً شديداً، فتسلَّلَ جمعٌ من المشركينَ بين صفوف المؤمنين، مُتَّخذينَ دروبَ النفاقِ طريقاً لهم، حتى إذا حانت لهم ساعةٌ أرادَ اللهُ تعالى فيها كَرَامَةَ عمرَ رضيَ الله عنه بالشهادة: طُعِنَ غِيلةً في محرابِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، فطُويت صفحةٌ من صفحاتِ المجد، لم يعرف التاريخُ لها مثيلاً، ولم يَخْبُرِ الزمانُ لها شبيهاً.

أيها الإخوة: إنَّ الناظرَ في شخصيةِ عمرَ بنِ الخطاب رضي الله تعالى عنه ليدخُلُهُ العجبُ والذهولُ: كيفَ حُشيت هذه الشخصية بكلِّ هذه الفضائل والسجايا، والكراماتِ والكمالاتِ، التي لو وُجدتْ واحدةٌ منها في شخصٍ لكان عظيماً، فكيف بها مجتمعةً في شخصٍ واحد.

لقد تميَّزت شخصيةُ عمرَ بنِ الخطاب رضي الله عنه بشدَّةِ الخوفِ من الله تعالى، حتى إنَّ الناظرَ في حالِهِ ليظُنُّ أنَّ النارَ ما خُلقت إلا له. فقد كان البكاءُ من خشيةِ الله تعالى يعملُ عملَهُ فيه، حتى لربما اختلفت أضلاعُهُ من شدَّةِ البكاءِ، وقد كان يُرى في وجهه خطَّانِ أسودانِ من كثرة البكاء. دخلَ مرةً على أبي الدرداء رضيَ الله عنه، فتذاكرا حديثَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم: «ليكن بلاغُ أحدِكُم من الدنيا كزادِ الراكِبِ»، ثم قال أبو الدرداء: «فماذا فعلنا بعده يا عمر ؟»، فمازالا يتجاوبانِ البكاءَ حتى الصباح. ومع ذلك فقد كان متَّهماً لنفسه، حتى إنه كان يسألُ الناسَ عن حالِهِ، ويُلحُّ عليهم في كشفِ عيوبِهِ، حتى قال

لحذيفةَ رضي الله عنه : «نَشدتُكَ اللهَ، بحقِ الولايةِ عليك: كيف تراني، فقال: ما علمت إلا خيراً». وكان رضي الله عنه في بعضِ الأحيانِ يأخذُ بيدِ الصبيانِ ويطلبُ منهمُ الدعاءَ. أخَذَ مرةً تِبْنةً من الأرضِ فقال: «ليتني كنت هذه التِّبْنةَ، ليتني لم أُخلق، ليت أمِّي لم تلدني، ليتني لم أكن شيئاً، ليتني نسْياً منْسياً ». ومع ذلك كان قليل الضَّحِكِ، كثيرَ الجدِّ، لا يعرفُ المُزاحُ إليه سبيلاً.

أيها الإخوة: لقد أورثَهُ هذا الخوفُ هيبةً شديدةً في قلوب الخلقِ، حتى إنَّ الشياطينَ لتنفِرُ منه. وإنَّ الرجلَ ليقولُ الشعرَ في المجلسِ فإذا دخلَ عمرُ صمت، وإنَّ النساءَ ليُجادِلْنَ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فإذا سمعوا صوتَ عمرَ احتجبْنَ وصمَتْنَ، بل إنَّ المرأةَ لتضربُ بالدُّفِ عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا دخلَ عمرُ سَكَنَت. وربما دعا إحداهُنَّ ليَسْألها عن شيء فتُسْقِطُ حملَها، وربما تنحْنَحَ عند الحجَّام: فأحدثَ الرجلُ في سراويله. بل إن أصحابَهُ يهابون سُؤالَهُ، حتى قال ابن عباس رضيَ الله عنهما وهو من جُلساءِ عمر: « مكثتُ سنةً وأنا أريدُ أن أسألَ عمرَ عن آيةٍ فلا أستطيعُ أن أسألَهُ هيبةً له». ومن أعجبِ ما يُروى في ذلك أنَّهُ كان يسيرُ أمامَ بعضِ أصحابه إذْ بدا له أمرٌ فالتفتَ إليهم فجْأةً، فما من أحدٍ منهم إلا وقد خرَّ على رُكْبتيه هيبةً له، فبكى رضي الله عنه وقال: «اللهمَّ إنكَ تعلمُ أني منكَ أشدُّ فَرَقاً منهم مني».

أيها الإخوة: لقد كان عمرُ رضي الله عنه أزهدَ الناس في الدنيا، فقد رُؤيَ وهو على المنبر وقد رقَعَ ثوبهُ بثنْتي عشرةَ رقعةً، بعضها من جلد، وكانَ يُقدِّمُ للمسلمين اللحمَ والخبزَ، ويأكلُ هو من خشِنِ الطعامِ والزيت، حتى اسودَ لونُهُ

من أكْلِ الزيت، حتى إنَّ امرأتَهُ اشترت مرةً سَمْناً من مالها وقدَّمته لعمر، فأبى أن يأكُلَ وقال: « ما أنا بذائِقِهِ حتى يحيى الناسُ ». ودخلَ مرةً على ولــده عبد الله رضيَ الله عنه فوجدَ عنده لحْماً فقال: «ما هذا اللحم؟ قال اشْتهيتُهُ، فقال: وكلَّما اشتهيتَ شيئاً أكلتَهُ، كفى بالمرء سَرَفاً أن يأكُلَ كلَّمَــا اشْـتهى». وكان رضي الله عنه إذا خرجَ في سفرٍ لا يأخذُ خيمةً ولا خِبَاءً وإنما يُلقي كِسَاءَهُ على شجرةٍ ويستظل تحتها. وكان رضي الله عنه يأكُلُ مع الخدم، ولا ينْخُلُ الدقيقَ ، بل يطبُخُهُ كما هو، ولا يشــربُ الماء بالعسـلِ، يدَّخرُ ذلك عند ربِــهِ عزَّ وجلَّ.

وقد كان رضيَ اللهُ عنه عادِلاً في رعيَّتِهِ حريصاً عليهم، يُنصفُ المظلومَ، ولو كان من نفسِهِ، أو من عُمَّالِهِ، لا يخافُ في ذلك لومةَ لائمٍ، وكانَ إذا بعثَ عاملاً كتبَ أملاكَهُ ليعرفَ الزائدَ في مالِهِ بعد الولاية فيردُّهُ على بيت المال، وكانَ يأمُرُهُــم بالعدل، وعدم الاحْتجابِ عن الناس، وأن لا يلبسوا الملابسَ الناعمَةَ، ولا يركبوا المراكبَ الفارهــةَ، ولا يأكلوا النقيَّ من الطعام.

أيها الإخوة: هذا هو عمرُ بنُ الخطاب، وهذا خبرُهُ: فأحبُّوهُ، وعلِّموا أولادَكُم حُبَّهُ، فإنَّ حُبَّهُ إيمانٌ، وبغْضَهُ نفاقٌ. أقول هذا القولَ وأستغفر الله تعالى لي ولكم ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمــدُ لله بالإسـلامِ، والحمــدُ لله بــالإيمانِ، والحمــدُ لله بمحمــدٍ صــلى الله عليه وسلم خيرِ الأنام، والحمدُ لله بالصحابةِ الكرام.

اتقوا الله أيها الناس، واعْرِفوا لأهلِ الفضلِ فضْلَهُم، ولأهْلِ الخيرِ مكانَتَهُم، فإنَّ المرءَ مع من أحب.

أيها الإخوة : لما وَلِيَ عمرُ رضي الله عنه أمرَ المسلمين: انشغلَ بهم، حتى إنَّهُ لا يكادُ يُعرَفُ ليلُهُ من نهاره، قد شُغل عن نفسِهِ وأهلِهِ، فنهارُهُ في سياسةِ الناس، وإدارةِ الدولةِ، وقضاءِ الحاجاتِ، وفضِّ الخصوماتِ، وأما ليلُهُ ففي تلمُّسِ حاجاتِ الناس، وحراسةِ المدينة، ورعايَةِ إبلِ الصدقةِ، وبيتِ المال. وليسَ بغَريبٍ أن تجدَ أميرَ المؤمنينَ يختلِفُ إلى امرأةٍ عمياءَ في أقصى المدينة يُصلِحُ حالَها، ويَكْنُسُ بيتَهَا. وربما وجدتَهُ يحملُ على ظهرِهِ طعاماً لبعضِ الفقراء يُطعِمُهُم في الليل، وربما مرَّ على المرأةِ في المخاضِ وهي تصيحُ وليس عندها أحدٌ، فيأخذُ زوجتَهُ لتمرِّضَهَا حتى تلد. وربما سَمِعَ صُراخَ الصغيرِ فيتتبَّعُ الصوتَ حتى يقفَ على أمِّهِ فيعظُها في ولدها. ولما عَلِمَ أنَّ بعضَ الأمهاتِ يستعجلنَ في فِطَامِ الصغارِ قبلَ تَمَامِ السَّنَتَينِ؛ لأنَّ العطاءَ السنويَّ لا يكونُ إلا للمفطومينَ: حَزِنَ حزناً شديداً، وأعلنَ في الناس أنَّ العطاءَ لكُلِّ طفلٍ وُلِد في الإسلام، وأمرَ النساءَ أن لا يستعجلنَ الفِطام.

وقد كانَ رضيَ اللهُ عنه أميناً على أموال المسلمينَ، فقد كان لا يأخذُ من بيتِ المالِ إلا درهمينِ في اليوم، وكان يقول: «إني أنزلتُ مالَ الله مني بمنزلةِ مالِ اليتيمِ، فإن استغنيتُ : عففْتُ عنه، وإن افتقرتُ أكلتُ منه بالمعروف». ورأى رضي الله عنه مرةً ابنةَ ولدِهِ عبدالله وقد أصَابَها الـهُزَالُ والضعفُ، فلم يعرفها، فأُخبرَ بأنها ابنةُ عبد الله، فسألَ عن سبب هُزالها وضعفِ جسمها، فقال عبد الله:

«بســـــببِ منعكَ ما عنــدَكَ»، يعني من المال، فقال رضي الله عنه: «والله ما لكَ عندي غيرُ سهمِكَ من فيءِ المسلمينَ، وَسِــعَكَ أو عَجَزَكَ، هذا كتابُ الله بيني وبينكُم ». ولما قدمت عليه بعضُ الأموالِ جاءتهُ ابنتُهُ حفصَةُ رضي الله عنها، فقالت : «يا أميرَ المؤمنينَ حَقُ أقربائِكَ من هذا المال، قد أوصى الله عز وجل بالأقربينَ»، فقال لها : « يا بنيةُ، حقُ أقربائي في مالي، وأما هذا ففيءُ المسلمينَ، غشَشْتِ أبَاك، ونصحتِ أقرباءَكِ، قومي، فقامت تجُرُّ ذيلها ». ولما جيءَ إليه بتاج كسْرى، نظر إليه وقال : «إنَّ قوماً أدُّوا هذا لأمناء، فقال له عليٌّ رضي الله عنه: إنَّ القومَ رأوْكَ عَفَفْتَ فعفُّوا، ولو رتعتَ لرتعوا ».

أيها الإخوة: كانَ عمرُ رضيَ الله عنه في آخرِ حياتِهِ يُكْثِرُ من الدعاء يقول: «اللهم كَبِرتْ سنِّي، وضعُفت قوَّتي، وانتشرت رعيَّتي، فاقْبضْني إليكَ غيرَ مُضيِّعٍ ولا مفرِّط »، وكان يدعو يقول: «اللهمَّ ارزقْني شَهادة في سبيلكَ، واجعل موتي في بلدِ رسولِكَ»، وكانَ الناسُ يتعجَّبونَ من دعوتِهِ هذه، حتى انبعثَ المجوسيُّ الخبيثُ أبو لُؤلُؤةَ، وعمرُ يُصلي الفجر بالناس فطعنَهُ ثلاثَ طَعَنَاتٍ قاتلةٍ، وطعنَ مَعَهُ ثلاثةَ عَشَرَ رجلاً ماتَ منهم ستَّةٌ، ثم قتلَ الخبيثُ نفسَهُ لما يئسَ من الهرب. فأكْمَلَ الناسُ صلاتَهُم مقتدينَ بعبدالرحمن بنِ عوفٍ رضي الله عنه، وحُمِلَ رضيَ اللهُ عنه في جراحِهِ إلى بيتِهِ، فصلى الفجرَ وجُرْحُهُ ينزِفُ، فلما أيقنَ بموتِهِ أوصى بالخلافة في ستَّةٍ من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وأعتقَ كلَّ عبيدِهِ. وأخذَ الناسُ يدخلونَ عليه يبشرونَهُ بالجنةِ والرضوان، فقال لهم: «المغرورُ من غَرَرْتمُوهُ، لو أنَّ لي ما على ظهرِهَا من بيضاءَ وصفراءَ لافتديتُ به من هولِ المطلَعِ». ولما دخلَ عليه ابن عباسٍ رضي الله عنهما فقال له : «هنيئاً لكَ الجنَّةُ، قال له: غُرَّ بهذا

غيري يا بنَ عباس، ثمَّ التفتَ إلى ابنِهِ عبدالله فقال له ضع خدِّي على الأرض، فَكَرِهَ أن يفعلَ ذلك، فقال له: ضع خدِّي على الأرض لا أمَّ لك، فوضَعَ خَدَّهُ على الأرضِ حتى اختلطت لحيتُهُ بالتراب، ولصِقَ الطينُ بعينيه وهو يبكــي ويقول: يا ويلَ عمرَ وويلَ أمِّهِ إن لم يتجاوزِ اللهُ عنه » ، وكانَ ذلكَ آخرَ كلامِهِ من الدنيا رضي الله عنه. وقد ذُهلَ الناس بموتِهِ رضيَ اللهُ عنه، إذ كان ذلك فجأةً لم يُسْبَقْ لهم مثلُها، فلم يُرَ أحدٌ إلا باكِياً، حتى إنَّ الطفلَ ليدخُلُ على أمِّهِ يقولُ : يا أمَّاهُ أقامتِ القيامةُ ؟ فتقول: بل قُتلَ أميرُ المؤمنين. وقال طلحةُ الأنصاري رضي الله عنه: «والله ما من أهلِ بيتٍ من المسلمينَ إلا وقد دخلَ عليهم في موتِهِ نقصٌ في دينهم وفي دنياهم». وقالت أمُّ أيمنَ رضيَ اللهُ عنها: «اليومَ وَهَى الإسلامُ» ، يعني ضعُفَ الإسلامُ، وصدقت فإنَّ الفِتَنَ لم تظهر في المسلمينَ إلا بعد وفاتِهِ، فهو البابُ الذي كان موصوداً في وجهها.

اللهـــم ارضَ عن عمرَ وعن آلِ عمرَ، وجازه خيرَ ما جَزَيْت خليـفةً عن أمَّتِهِ.

عاشراً: العلم والعلماء:

١- همَّة السلف في طلب العلم.

٢- مصيبة موت العلماء وفناء الفقهاء.

٣- العلم الديني أساس النهضة الحضارية.

١- همَّة السلف في طلب العلم

الخطبة الأولى:

الحمدُ لله الحليم العليمِ، البرِّ الرحيم، رَفَعَ بالعلمِ منازلَ العلماءِ، وحَطَّ بالجهلِ مراتِبَ السفهاءِ، فأعزَّ بالعلمِ أحبابه، وأذلَّ بالجهل أعداءَهُ. فتحَ بنورِ العلمِ القلوبَ، ونجَّى بالمعرفَةِ من الخطوبِ. فانشغلتِ العقولُ بالعلومِ النافعةِ، واستنارت بالمعارفِ الجامعةِ، حتى ما عاد لأهل الهمَمِ العاليةِ شغلٌ إلا العلـمَ، ولا همٌ إلا الكتابَ، ولا رغبةٌ إلا الاستزادَةَ. فانهمَكَ العلماءُ في التحصيلِ، وعكفوا على التنزيل، ينهلون من موارد العلوم، ما يبعثُ الحياةَ في القلوبِ، ويُنيرُ الفكرَ في العقولِ، لا يعرفونَ للعلمِ نهايةً، ولا للراحةِ بدايةً، إنما يُسابقونَ الزمانَ، ويدافعونَ الليلَ والنهارَ، يتمنى أحدُهم لو أوقفَ الشمسَ حتى يستدركَ ما فاته، أو يُطيلَ الليلَ حتى يستوفي ما نابَهُ. حُزنُهُم شديدٌ على الزمانِ أن يمرَّ بلا علمٍ، وجَزَعُهم كبيرٌ على الوقتِ أن يمرَّ بلا عمل. وكأنَّ مرورَ الأيامِ سياطٌ تُلهِبُ جلودَهُم، وكأنَّ مرورَ الساعات همومٌ تُسْهِرُ عُيونَهُم. فَرْحةُ أحدِهم بمسألةٍ من العلمِ يقفُ عليها: أحبُّ إليه من البشرى بمولودٍ يُولَدُ له. حتى شَغَلَهُم العلمُ عن راحةِ أبدانِهم، وقضاءِ حاجاتِهم، وحظوظِ أنفُسِهم. فكانَ طيِّبُ الطعامِ آخرَ ملذَّاتِهم، وبرْدُ الشرابِ آخرَ رغباتهم، وطراوةُ الفراش آخر حاجاتِهم، وقُرْبُ الزوجات آخر شهواتِهم. قد قامَ العلمُ مقامَ هذه الملذَّاتِ والشهوات، فكان أحدُهم لا يأكلُ إلا بقدر ما يُقيمُ صلْبَهُ، ولا يشـربُ إلا بقـدرِ ما يروي ظمَأَهُ، ولا ينامُ إلا بقدر ما يُجدِّدُ به نشاطَهُ، ولا يتزوَّجُ إلا بقدرِ ما يُحيي به السنة. قد ملأَ

العلمُ حياتَهُم، فالنهارُ بينَ التدريس والتحصيل، والليلُ بين المراجعةِ والتأليف، قد تفرَّغوا للعلمِ، حتى إنَّ أحَدَهُم لا يكادُ يجدُ من الطعــامِ ما يملأُ بطنَهُ. فهذا أبو هريرةَ رضي الله تعالى عنه أسلمَ قبلَ وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بثلاث سنواتٍ، فكان لا يُفارِقُهُ أبداً إلا حينَ يدخلُ بيته، ولقد أضرَّ ذلك به حتى ما كان يجدُ شيئاً من الطعام يملأُ بطنهُ، حتى إنَّهُ كان يسقطُ من شدَّةِ الجوعِ. وهذا التابعيُّ الجليل عطاءُ بن رباح رحمه الله: كان المسجدُ فِراشَهُ عشرينَ سنةً يقول: «لا ينالُ هذا العلمَ إلا من عطَّلَ دُكَّانَهُ، وخرَّبَ بُستَانهُ، وهجر إخوانه، وماتَ أقربُ أَهْلهِ إليه فلم يشهدْ جَنَازتَهُ ». وفي هذا يقول أبو يُوسُف رَحِمَهُ اللهُ: «مات ابنٌ لي فلم أَحضرْ جَهَازَهُ، ولا دفنَهُ، وتركتُهُ على جـيراني وأقربــائي مخافــةَ أن يفوتني من أبي حنيفةَ شيءٌ لا تذهبُ حسْرتُهُ عني». وقال أبو بكر بن أبي داود رحمه الله: «دخلتُ الكوفةَ ومعيَ درهَمٌ واحدٌ، فأخذتُ به ثلاثينَ مُدَّاً باقِلَّا يعني فولاً، فكنت آكلُ منه وأكتبُ عن أبي ســعيدٍ الأشج، فما فرغَ الباقلَّا حتى كتبتُ عنه ثلاثينَ ألفَ حديثٍ ». وقال ابنُ القاسمِ المصري رحمه الله: « أَنَخْتُ ببابِ مالك ابن أنسٍ سبعَ عشرةَ سنةً ما بعتُ فيها ولا اشتريت ». وفي هذا يحكي أبو الفرجِ عبدِ الرحمن ابن الجوزي رحمه الله عن تفرُّغِهِ للعلمِ، وكيفَ أضرَّ ذلك به، فيقول: « لقد كنتُ في حلاوةِ طلبي للعلم ألقى من الشدائدِ ما هو عندي أحلى من العسلِ؛ لأجل ما كنتُ أطلبُ وأرجو، كنتُ في زمنِ الصِّبا آخذُ معيَ أرْغِفَةً يابسةً، فأخرجُ في طلبِ الحديث، وأقعُدُ على نهرِ عيسى في بغداد، فلا أقدِرُ على أكْلِهَا إلا عند ماء، فكلَّما أكلتُ لقمةً شربتُ عليها، وعينُ هِمَّتي لا ترى إلا لذَّةَ تحصيلِ العلمِ، ولقد كنتُ أدورُ على المشايخِ لسماعِ الحديثِ فينقطعُ نفسي من

العدْوِ لِئَلا أُسْبَقَ، وكنتُ أُصْبِحُ وليسَ لي مَأْكَلٌ، وأُمسي وليسَ لي مأْكَلٌ، ما أذلَّنيَ اللهُ لمخلوقٍ قط».

أيها الإخوة: إنَّ العلمَ لا يُنَالُ إلا بهجرِ اللذاتِ، وتطليق الراحاتِ، وتفرُّغٍ لا شاغِلَ معه. وقد كان كثيرٌ من السلفِ رغمَ حاجتِهم للكسبِ فقد كانوا يُفرِّغونَ أجزاءً كبيرةً من أعْمَارِهم لطلب العلم، فقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يشتغلُ بالكسب في يومٍ، ويتفرَّغُ في آخرَ للعلم، وملازَمَةِ رسول الله صلى الله عليه وسلم. وفي هذا المعنى يقول عِكْرِمَةُ مولى ابن عباس رضي الله عنهما: «طلبتُ العلمَ أربعينَ سنَةً، وكنتُ أُفتي بالبابِ وابنُ عباسٍ بالدار»، وكان إبراهيمُ الحربي رحمه الله لا يكادُ يُفْقدُ في مجلس علم خمسينَ سنَةً، وكان بعضُهُم يجلسُ للمذاكرةِ من بعد العشاءِ مع أصحابِهِ فلا يفرِّقُهُم إلا أذانُ الفجر، حتى إنَّ بعضَهُم كانَ يُلازمُ شيخَهُ حتى يظنَّ الظَّانُّ أنَّهُ مملوكٌ له. وما كانَ أحَدُهُم يتحسَّرُ على شيءٍ فاتَهُ من أمرِ الدنيا، إلا على العلمِ، فهذا معاذُ بنُ جبلٍ سيِّدُ العلماء، وأعلَمُ الناس بالحلال والحرام، يقولُ عند وفاته: «اللهم إنَّكَ تعلمُ أنِّي لم أكن أُحِبُّ البقاءَ في الدنيا لِكَرْيِ الأنهارِ، ولا لغرسِ الأشجارِ، ولكن كنتُ أُحِبُّ البقاء لمكابدة الليل الطويل، ولظمأِ الهواجِرِ في الحرِّ الشَّديدِ، ولمزاحَمَةِ العلماءِ بالركبِ في حِلقِ الذكرِ».

أيها المسلمون: لقد أدَّب المولى عزَّ وجلَّ رسولَهُ صلى الله عليه وسلم بأن يطلب المزيد من العلم، فقال جلَّ شأنهُ: ﴿ **وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا** ﴾، وَوَجَّهَ سبحانَهُ وتعالى المؤمنينَ بأن تكونَ فرحَتُهُم الكبرى بالعلمِ النافعِ والعملِ الصالحِ، فقال عزَّ من قائل: ﴿ **قُلْ بِفَضْلِ اللَّـهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ**﴾.

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «الدنيا ملعونةٌ، ملعونٌ ما فيها إلا ذكر الله وما والاه، وعالمٌ ومُتعلمٌ». فلما أدركَ السلفُ هذه المعانيَ العظيمةَ، وعلموا أنَّ العلمَ النافعَ أغلى مافي الدنيا: انْكبُّوا عليه دون انقطاع أو ملل، حتى قالَ بعضُهم لابن المبارك : « إلى متى تسمعُ الحديث؟ قال إلى الممات». وقال محمد بن إسماعيل الصائغ: « كنت أصوغُ مع أبي ببغداد، فمرَّ بنا أحمدُ بن حنبل وهو يعدو ونعلاهُ في يديه، فأخذ أبي بمجامعِ ثوبِهِ فقال: يا أبا عبدِ الله ألا تستحي؟ إلى متى تعدو مع هؤلاءِ؟ قال: إلى الموت ». وقال عبد الله بن بشْرٍ الطَّالقاني: « أرجو أن يأتيني أمري والمِحْبَرَةُ بين يديَّ، ولم يفارقني العلمُ ولا المِحْبَرَةُ ».

ولم يكُنِ السَّلَفُ رحَمَهُم اللهُ يكتفونَ من العلم بأطرافِهِ، وإنَّما كانوا يستوعِبُونَهُ حتى لا يفوتَهُم شيءٌ، فهذا ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما يسألُ في المسألة الواحدة ثلاثين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى إنَّه رُبما توَسَّدَ رداءَهُ عند باب أحَدِهِم حتى يخرجَ إليه، ولما تأَهَّلَ رضي الله عنه للتعليم أخذَ عنهُ سعيدُ بنُ جبيرٍ فكان يكتبُ عنه حتى يملأَ صحائِفَهُ، حتى إنَّهُ ليكتُبُ في كفِّهِ، وعلى رحْلِهِ، وحتى في نعلِهِ. وكان ابنُ شهابٍ الزهري رحمه الله لا يتركُ شيئاً من العلمِ سَمِعَهُ إلا كتَبَهُ وحَفِظَه. وكانَ ابن ا لمباركِ قد حَمَلَ العلمَ عن أربعةِ آلافِ شيخٍ، فعُوتِبَ في كثرة ما يَكْتُبُ، فقال: « لعلَّ الكلمةَ التي انتفعُ بها لم أكْتبها بعد»، ولما عكف على الكتب ينظرُ فيها في بيتِهِ، قيل له ألا تستوحِشُ، فقال: «كيف أستوحِشُ وأنا مع النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابِهِ».

ولقد كانَ للكتابِ عند السَّلفِ شأنٌ عظيـمٌ، فقــد كانَ أغلى ما عندَهُم، لا يقدِّمونَ على الكتبِ شيئاً من ملذاتِ الدنيا وأموالها، حتى إنَّ بعضَهُم ليبيعُ

ثيابَهُ عند الحاجَةِ ولا يبيعُ كُتُبَــهُ.

وربما اشترى بعضُهُم الكُتُبَ بكلِّ ما يملِكُ، ولقد كانَ هَمُّهُم في حفظِ الكتب أعظمَ بكثيرٍ من همِّهم في حفظ أمتعتهم، حتى إنَّ بعضَ بيوت أهل العلمِ إذا داهَمَهُمُ العدوُّ في المدنِ، أو اضْطُروا للرحيلِ: كانوا يحملون الكتبَ دونَ المتاع، حتى إنَّ بعضهم كان يحملها عبر الأنهار على رأسِهِ لِئَلَّا يتحلَّلَ مِدادُهــا بالماء. وكان أبو عبد الرحمنِ عبد الله بن عبد العزيز العُمَري يلازم المقبرة، ومع كتابِهِ ينظرُ فيه وكان يقول: «لا أوعظَ من قبرٍ، ولا آنَسَ من كتابٍ، ولا أسلَمَ من وحدَةٍ».

أيها الإخوة: إنَّ أعْجَبَ أحوال السَّلَفِ رِحْلَتُهُم في طلبِ العلمِ، التي سنَّها كليمُ الله موسى عليه الصلاة والسلام حين ارتحل إلى الخَضِرِ يتعلَّمُ منـه. فهذا عبد الله بنُ مسعودٍ رضي الله عنه من أعلمِ أصحابِ النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «والذي لا إله غيرُهُ ما أُنزلت سورةٌ من كتاب الله، إلا وأنا أعلَمُ أينَ نزلتْ، ولا أُنزِلَتْ آيةٌ من كتاب الله، إلا وأنا أعلم فيمنْ أُنزلتْ. ولو أعلمُ أحداً أعلمَ منِّي بكتاب الله، تبلُغُهُ الإبِلُ لركبتُ إليه». ويقول أبو الدرداء رضي الله عنه وقد جَمَعَ القرآنَ في زمنِ النبي صلى الله عليه وسلم: «لو أُنسيتُ آيةً فلم أجدْ أحداً يُذكِّرنيها إلا رجلاً بِبَرَكِ الغماد – يعني باليمن – لرحلتُ إليه». ولم يكن هذا كلامٌ يُقالُ، ومُبالغاتٌ يتندَّرون بها، وإنَّما حقيقةٌ واقِعَةٌ، فهذا جابرُ بنُ عبدِ الله الأنصاري رضي الله عنهما يقول: «بلغني عن رجلٍ من أصحابِ النبي صلى الله عليه وسلم حديثٌ سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاشتريتُ بعيراً، ثم شددتُ

رِحْلي، فسرتُ إليه شهراً، حتى قدمتُ الشَّامَ، فإذا هو عبدُ الله بنُ أنيس، فقلتُ للبوابِ : قل له جابرٌ على الباب، فقال : ابنُ عبد الله؟ قلت: نعم، فخرجَ عبدُ الله بنُ أنيسٍ فاعتنقني، فقلت : حديثٌ بلغني عنكَ أَنَّكَ سمعتَهُ من رسول الله صلى الله عليه وسلم فخشيتُ أن أموتَ، أو تموتَ قبل أن أسمَعَهُ »، ثم سأله عن الحديث، وعاد أدْراجَهُ إلى المدينة. ويقول التابعيُّ مكْحُولٌ رحمه الله: «كنتُ عبداً بمصر لامرأةٍ من بني هُذيل فأعتقتني، فما خرجتُ من مصرَ وبها علمٌ إلا حويتُهُ، ثم أتيتُ الحجازَ فما خرجتُ منا وبها علمٌ إلا حويتُهُ، ثم أتيت العراق فما خرجتُ منها وبها علمٌ إلا حويتُهُ، ثم أتيتُ الشَّامَ فغرْبلتُهَا ». فكانَ أَحَدُهُم يطوفُ الدنيا يجمعُ العلمَ من أفواهِ العلماء، ثم يُدوِّنُهُ للناس، فهذا أبو سليمانَ الطبراني صاحبُ المعاجِمِ الثلاثةِ، رَحَلَ ثلاثينَ سنةً بعد العاشرةِ من عُمُرِهِ في طلب العلم، ثم مكثَ ستينَ سنةً يُعلِّمُ الناسَ ويكتُبُ، حتى مات وهو ابن مائة عام. إنها الهمة العاليةُ التي جمعتْ هؤلاء على طلب العلم، حين أيقنوا أنَّ حقيقةَ العلمِ لا تُدْرَكُ إلا بجهْدِ الأنفسِ، وتعبِ الأبدانِ، وخسارةِ الأموالِ، فجدُّوا في ذلك حتى بلغوا ما بلغوا.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ** ﴾ .

أقول ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم.

الخطبة الثانية:

الحمـدُ لله ربِّ العـالمينَ، والـصلاة والـسلام عـلى معلِّـم المعلِّمِـينَ، ومؤدِّب المؤدِّبينَ، سيِّدِ الأولينَ والآخِرينَ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أيها الإخوة: هذه أحوالُ طُلَّاب العلم من السَّلفِ، وهذه همَّتُهُم، فـما هـو خَبَرُ طلَّابِ العلمِ من الخَلَف، وما هي هِمَّتُهُم، وما حَجْمُ رغبَتِهِم في طلبِ العلم، وما مدى علاقَـتِهِم بالكتـب، ومـا هـو مـصيرُ الكتـب المدرسـيَّةِ في نهايـة العـام الدراسي، وما هو حجـم المعلومات التي خَرَجُـوا بها مـن مؤسـساتِ التعلـيمِ، وما هو حجم طُمُوحِهِم نحو التفوق العلمي ؟

أسئلةٌ كثيرةٌ تَطرَحُ نفسها، وأجوبتُها مُؤلمةٌ، أليست هِمَّةُ غالب طلابنا: كُرَةً يلعبها، أو نَغمةً يسمَعُها، أو صورةً يرمُقُها. أليست هِمَّةُ غالبهم شهادةً يتأكَّلُ بها، أو منْصِباً يترأسُ به، أو جاهاً يشْتَهِرُ به. إنَّه واقعٌ أليم، وحالٌ مُؤسِفٌ، ولا مخرجَ للأمَّة إلا أن تنفضَ عنها غبار سنوات الركود والتخلُّفِ، وأن تُعيدَ النظر في واقعها، وأن تستلهمَ النورَ من دينها، وأن تقتدي بسلَفها، وأن تُعيد بناءَ التعليمِ، ونظامَ الحياةِ ليوافقَ في كُلياتِهِ وجُزئياتِهِ نهج دينها، وعندها فقط تكونُ الأمَّةُ قد وضعتْ قدَمَهَا على أوَّل طريقِ النهضةِ والتفوقِ، وأما البقاءُ على ما نحنُ عليه، فلن نتقدمَ خُطوةً واحدة.

فدَعْ عنكَ الكِتَابَةَ لَسْتَ مِنها		وَلَو لَطَّخْتَ وَجْهَكَ بِالمدَادِ

٢- مصيبة موت العلماء وفناء الفقهاء

الخطبة الأولى:

الحمدُ لله الذي لا يُحمَدُ على مكروهٍ سواهُ، ولا يَرفَعُ البلوى إلا هو، نحمَدُهُ على ما قدَّر في الغيبِ من الأقدارِ، ونستغفرهُ لما سَتَرَ من العيوبِ والأسْرار. قضاؤُهُ نافذٌ في العالمين، وأمرُهُ ماضٍ في الخَلقِ أجمعينَ. لا مُعقِّبَ لحكمهِ، ولا رادَّ لأمرِهِ. اصطفى من خَلْقِهِ الرسل والأنبياء، وأورثَ عِلْمَهُم العلماءَ الأتقياءَ، والفضلاءَ الأوفياءَ، ممن جمعَ بينَ العلمِ والعملِ، واتَّقَى المداهنَةَ والزلَلَ. حَمَلُوا راياتِ الهدى، وواجهوا بها جموعَ العِدا. فأظهرَ اللهُ على أيديهِمُ الحقَ والنورَ، وقمعَ بهِمُ الباطلَ والشرور، فكَمْ من هالكٍ أنقذوهُ، وكم من شقيٍّ أسعدوهُ، فرُبَّ هِمَّةٍ أحيت أمَّةً. حَمَلُوا الهمَّ لهذا الدين، وسَلَكُوا طريقَ خيرِ المرسلينَ. لم يخْلُ كتابُ حقٍ من ذكْرِهِم، ولم يخلُ مجلسُ خيرٍ من عطرِهِم. بأخبارِهِم سارتِ الركبانُ، وبآثارِهِم اهتدى الثقلانِ، فهم ضوءُ الشمسِ للأبصارِ، ونجومُ السائرين في الأسفارِ، مشاعلُ الهدى، وأعلامُ التقى. بِهِمُ الدُّنيا قد زانت، وبفَقْدِهِم قد شانت، عُرفُوا بالحقِ في أقوالِهم، وبالخيرِ في أعمالِهم. كم من الحقوقِ أظْهَروها، وكم من العلومِ نشروها، لم يخلُ منهم عبرَ التاريخِ زمانٌ، ولم يُنسَ لهم عبرَ الأيامِ مكانٌ، فعُلُومُهُم محفوظةٌ، وأقوالُهُم معلومةٌ، قد جرت بمعارِفِهِمُ الأقلامُ، وانتفعَ بها كثيرٌ من الأنامِ، حتى مُلئت الصحائِفُ بمدادِهِم، وعُمِرت ا لمكتباتُ بأوراقِهِم. قَضوْا أعمارَهُم

في الطلـبِ، وأمْـضَوْا أيـامَهُم في عجـب. وكـأنَّما أخبـارُهُم أسـاطيرُ الأولـينَ، ونــوادرُ الماضِــينَ. لم تَـشْغلْهُمُ الـدُّنيا عــن طلـبِ العلـمِ، ولم يمـنَعْهُم سـفَهُ الجهَّــالِ عــن مــسلكِ الحِلْـمِ. سَـهِرُوا الليــاليَ في مــسائلِ العلـمِ يبحثُونهـا، وعَمَـروا الأيـامَ بـالعلومِ ينـشرُونها، فهـذا القـرآنُ قـد فـسَّروهُ، وهـذا الحـديثُ قد شَرَحُـوهُ، الفِقْـهُ مـن علـومِهم، والأُصُـولُ مـن فُنُـونِهم. تـدبَّروا النـصوصَ واسـتنبطُوا، ونَظَـروا في العلـومِ واسـتخرَجُوا، فقعَّـدوا القواعـدَ والأصـولَ، وجَمَعُوا المـذاهبَ والنُّقـولَ، حتـى مـلأوا الـدنيا علـماً، وأشـبَعُوا الطـلابَ فهْـماً. بلغـوا بـالعلمِ أعـلى المراتـبِ، ونـالوا بالعَمَـلِ أجَـلَّ المناقِـبِ. وكـأنَّهم خُلِقُـوا كـما يُريـدونَ، وحـازوا مـا يـشتهون. حتـى عَجَـزَ المتـأخرون عــن بلــوغ جُهْـدِهِم، ويَـئِسَ المعـاصرونُ مــن التفكـير في سـبْقهم، تَــجَاوزوا المفَــاوِزَ والقنـاطِرَ، وفـاتوا الأذكيـاءَ والعبـاقِرَ، حتـى هَـرَعَ إلـيهِمُ النُّجبـاءُ، ورجـعَ إلــيهِمُ العقــلاءُ، فَـصَدَرُوا عــن اجتهــاداتِهم راضــينَ، وأخـذوا بــأقوالهِم مقْتَنعــينَ، فانْتَـشَرَتْ مـذاهِبُهُم، وعَمَّـتْ بـالخيرِ فـضائِلُهُم، حتـى إذا كَمُـلَ البناءُ، واسـتنارتِ البيـداءُ، وظهـرتِ الـسُّنَّةُ بـينَ الأنـامِ، وقُمِعَـتْ بِـدَعُ اللئَـامِ: جـاءتِ المنايـا تتخطَّـفُ الأخيـارَ، وَجَـاءَ المـوتُ يُفنـي الأبـرارَ. وكـأنَّهُم روحُ الأمَّةِ تُنزعُ مـن أصـولها، ومُهجتهـا تُخلـعُ مـن جـذورها. الـسماء علـيهم باكيـة، والأرضُ لفقْـدِهِم شـاكيةٌ، قُبِـضُوا مـن بـينِ الأحبـابِ، واختُلِـسوا مـن بـينِ الأصحاب، تَركُوا الـدنيا وراءَهُـم، وأقبلـوا عـلى الآخـرةِ أمَـامَهم. فـأينَ مقـامُ العلمِ والتعليم، وأينَ زمانُ الـدرسِ والتفهـيم، قـد غـدا كـلُّ ذلـكَ ذكـرى بـين الطـلابِ، ونجـوى بـين الأحبـابِ. قـد احتـوتهُمُ القبـورُ، في سـاحةِ العزيـزِ

الغفـورِ . الـذي وَعَـدَ بـالمغفرةِ للعلـماءِ، وبالرحمـةِ للفـضلاءِ، فأخطـاؤُهُم مغفـــورةٌ، وعُيُـــوبُهم مـــستـــورةٌ، لا ينبُـــشُـــها إلا الأرذالُ، ولا يتناقَلُـــــها إلا الأنــذالُ. ممــن عَمِيَــت أبــصارُهُم عــن المحاسِــنِ، وضــاقت صــدُورُهُم بالمحامِـدِ، مـن الـذينَ يفرحـونَ بمـوتِ العلـماءِ، وينـشرحُونَ بفنـاءِ الفقهـاءِ. ينبُـشُونَ الكتـبَ بحثـاً عـن المثالـب، ويتتبعُـونَ الأخطـاءَ والمعايـبَ. قُلـوبُهُم مظلمـةٌ، وأنفاسُـهُم مُنتنـةٌ، لا يتـبعُهُم إلا العـاطلونَ، ولا يُحِـبُّهم إلا المبطِلُـونَ، فهـم عـبرَ التـاريخ منبـوذونَ، ومنـذُ القـديم مُبْعَـدونَ. أوراقُهُـم محروقـةٌ، وأفعالُـهُم مقبوحـةٌ. يبحثـونَ عـن الهفـوةِ مـن العلـماءِ، ويتنـدَّرون بالـسقطةِ مـن الفـضلاءِ. يظنـون أنهـم أوصـياءُ الله عـلى وحْيِـهِ، المكلفـونَ بحفظِـهِ وشرحـهِ. فـأيُّ علـمٍ هـذا الـذي أهَّلَهُـم للوصـايةِ، وأيُّ عمـلٍ هـذا الـذي أهَّلَهُـم للولايـةِ. لا علـمَ عنـدهم ولا عمـل، ولكـن ادِّعـاءٌ ودَجَـلٌ. أغبـى الأغبيـاءِ، وأجهـلُ الجُهـلاءِ. يـشترطونَ العِـصْمَةَ في العلـماءِ، ويطلبـونَ الكـمالَ في الفقهاءِ. فهـذا تـاريخُ علـماءِ الإسـلامِ: مـا صـفيَ أحـدٌ مـن كبـوةٍ، ولا سَـلِمَ أحدٌ مـن هفـوةٍ. فلـيسَ أحـدٌ مـن العلـماءِ في قـديمٍ أو حـديثٍ، إلا وقـد أخطـأ في مسألةٍ، ولـيسَ أحـدٌ مـنهم إلا وقـد شـذَّ في فتـوى. وإنَّـما العـصمةُ للأنبيـاءِ، والـسلامَةُ الكامِلَـةُ للرسـلِ الأصْـفَياء. ومـع ذلـك فـما حطَّـــت هـــذه الأخطـــاءُ مـــن مَقَاماتِهـــم، ولا نقـصتْ هـــذه الهفـــواتُ مـــن كمالاتهـــم، فمقامـاتُهم معلومـة، وكمالاتُهـم معروفـةٌ، فقـد وَعَـدَ اللهُ تعـالى المخطِـئَ مـنهم بـالغفرانِ، كَـمَا وَعَـدَ المـصيبَ مـنهم بـالثواب والرضـوان. فكيـفَ يعـدُهُمُ اللهُ تعـالى بالرحمـة، ويحكُـمُ علـيهمُ الظـالمونَ بالعـذابِ، وكيـفَ يـرضى اللهُ عـنهم،

ويقعُ الجاهلونَ فيهم بالسباب. وإنَّا لنجدُ في واقع الحياةِ أنَّ الرجُلَ المفرِّطَ المسْرِفَ على نفسِهِ ليُحبُّ من الناس من أجلِ حسنةٍ أو حَسَنَتَيْنِ، ويُشادُ به من أجلِ فضيلةٍ أو فضيلَتَيْنِ، في الوقت الذي يُظلمُ فيه العالمُ بفتوى يُخطئُ فيها، ويُنتقصُ من مقامِهِ من أجل هفوةٍ يقعُ فيها. ومن المعلوم عند المنصفينَ، من أصحابِ العدلِ المُحقِّقينَ: أنَّ من كَثُرَ صوابُهُ وجَبت موالاتُهُ، وأنَّ من كَثُرت أخطاؤُهُ وَجَبَتْ معاداتُهُ. فكيفَ بمن يكونُ خطؤُهُ مغفوراً، وصوابُهُ مشكوراً. فأينَ أهلُ العدلِ والإنصافِ من أهل الباطل والإرجافِ. وأينَ أصحابُ العقولِ من أصحابِ الفضولِ. اللهمَّ إنا نعوذ بكَ من الخُذلانِ، ونعوذُ بكَ من الظلمِ والعصيانِ، اللهمَّ نبرأُ إليكَ من ظلمِ الظالمِينَ، وتسلُّطِ الباغينَ.

أيها الإخوة الكرام: إنَّ حياةَ العالمِ في الأمَّةِ نعمةٌ عظيمةٌ، ومَكْرُمةٌ من الله جَليلَةٌ، وإنَّ موتَ العلماءِ، وقبضَ الفقهاءِ مصيبةٌ كبيرة، وكارثَةٌ عظيمةٌ. فإنَّه بذهابهم يذهبُ العلم، الذي تحيا به القلوبُ، وتصلُحُ به الحياةُ. ومن ظنَّ أنَّ موتَ العالمِ كموتِ غيرِهِ من الناسِ فقدَ جَهِلَ الحقيقةَ، وتنكَّبَ الصوابَ، فإنَّ موتَ القبيلةِ أهونُ من موت العالمِ الواحدِ، وفي الحديثِ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنَّ اللهَ لا يقبِضُ العلمَ انتزاعاً ينتزعُهُ من العبادِ، ولكن يقبِضُ العلمَ بقبضِ العلماءِ، حتى إذا لم يُبقِ عالماً اتَّخذَ النَاسُ رُؤوسَاً جُهَّالاً فسُئلوا فأفتوْا بغير علم فضلُّوا وأضلُّوا»، وقال عليه الصلاة والسلام أيضاً: «ألا وإنَّ ذَهَابَ العلمِ ذَهَابُ حَمَلتِهِ»، قالها ثلاثاً، وقال أيضاً: «إنَّ مَثَلَ العلماءِ في الأرضِ

كمثلِ النجومِ في السماءِ، يُهتدى بها في ظلماتِ البرِ والبحرِ، فإذا انطَمَسَتِ النُّجُومُ أوشَكَ أن يضلَّ الهُداةُ». وعن ابنِ مسعودٍ رضي اللهُ عنه قال: «تدرونَ كيفَ ينقُصُ الإسلامُ ؟ قالوا : كما ينتقُصُ صِبْغُ الثوبِ، وكما ينقُصُ سِمَنُ الدابةِ ... إلى أن قال: إن ذلك لمنْهُ، وأكبرُ من ذلك موتُ أو ذهابُ العلماءِ». وعن سعيد بن المسيِّب رحمه الله قال: «شهدت جنازة زيد ابن ثابت رضي الله عنه فلما دُفن في قبره قال ابن عباس رضي الله عنهما: يا هؤلاء من سرَّهُ أن يعلم كيف ذَهَابُ العلم فهكذا ذَهَابُ العلم، وأيم الله لقد ذهبَ اليوم علمٌ كثير ». فاتقوا الله أيها الناس، واعرفوا حق العلماء، ومكانة الفقهاء، فإنهم أمان الدين والدنيا.

أقول ما سمعتهم وأستغفر الله تعالى لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمدُ لله الباقي على الدوامِ، المتصرِّفِ بُحُكْمِهِ في الأنامِ، يحكُمُ ما يشاءُ، ويفعلُ ما يريدُ. نحمدُه ونستعينه ونستغفره، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفُسِنا، ومن سيئاتِ أعمالنا، ومن قبيح أخلاقِنَا، ومن سيئ طِبَاعِنا. وأشهد أن لا إله إلا الله وحدَهُ لا شريكَ له، المتفرِّدُ بالكمالِ، المختصُ بالعزةِ والجلالِ، وأشهدُ أن محمداً عبده ورسولُهُ، سيِّدُ الأولينَ والآخِرينَ، وإمامُ الأنبياءِ والمرسلينَ، فصلواتُ الله وسلامُهُ عليه ما ذَكَرَهُ الذاكرونَ الأبرارُ، واشتاقَ إليه الصالحُونَ الأخيارُ. أما بعدُ فإنَّ اللهَ تعالى

يقولُ في كتابه عن العلماء: ﴿ **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّـهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّـهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ** ﴾ ، ويقول أيضا: ﴿ **قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ** ﴾ ، ويقول أيضاً: ﴿ **يَرْفَعِ اللَّـهُ الَّذِين آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّـهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ** ﴾. ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «إنَّ العالمَ ليستغفرُ له من في السماوات ومن في الأرض حتى الحيتانُ في الماء، وفضلُ العالمِ على العابد، كفضل القمر على سائر الكواكب. إن العلماء ورثةُ الأنبياء، إن الأنبياء لم يورثُوا ديناراً ولا درهماً إنما ورَّثوا العلم، فمن أخذ به أخذ بحظٍ وافر» ، وقال أيضاً: «يحملُ هذا العلمَ من كلِّ خَلَفٍ عُدُولُهُ، ينفُونَ عنه تحريفَ الغالينَ، وانتحالَ المُبْطلينَ، وتأويلَ الجاهلينَ» ، وقال أيضاً عليه الصلاة والسلام: « ليسَ من أمَّتي من لم يُجِلَّ كبيرَنَا ويرحَمْ صغيرَنَا ويعرفْ لعالمنا حقَّهُ » ، وقال أيضاً: « فقيهٌ واحدٌ أشدُ على الشيطانِ من ألفِ عابد» ، وقال عليه الصلاة والسلام: «يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ للعلماءِ يومَ القيامةِ إذا قعدَ على كُرسِيِّهِ لفصلِ عباده: إني لم أجعل علمي وحلْمي فيكم إلا وأنا أريدُ أن أغفرَ لكم ما كان منكم ولا أُبالي» .

أيها الإخوة: هذا فضلُ العلماءِ العاملينَ في الدنيا والآخِرةِ، وهذه مكانَتُهم عندَ الله عزَّ وجلَّ، فكيفَ يسوغُ لبعض الناسِ إساءَةُ الظنِّ بهم، والتقليلُ من شأنهم، والاعتقادُ بعدمِ الحاجَةِ إليهم، فإنَّ هذا لا يكونُ إلا من جاهلٍ أو مُعاندٍ. فليحذر هؤلاءِ من حربِ الله تعالى، فقد أعلنَ

حربَهُ سبحانه وتعالى على من عادى أولياءَهُ، وخاصمَ أصفياءَهُ . والعلماءُ هم أولياءُ الله وأصفياؤُهُ بعد النبيينَ والمرسلينَ، ممن سَلَكَ سبيلَ السُّنَّةِ، واتَّبعَ سلفَ الأمَّةِ، من الصحابةِ والتابعينِ، والأَئِمَّةِ المهديينَ في كلِّ عصرٍ، ممن اعتمدَ الكتابَ والسنةَ منهجاً، وسَلَفَ الأمُّةِ قدوةً.

كم عالمٍ عاملٍ تزهو البلادُ به ومُدَّعٍ خائبٍ خالٍ من القيَمِ

اللهم اغفر لعلمائنا من السابقين و المتأخرين، ومن الأحياء والميتين، واغفر لنا معهم برحمتك يا أرحم الراحمين.

٣– العلم الديني أساس النهضة الحضارية

الخطبة الأولى:

الحمدُ لله الرحيمِ الرحمن، الكريمِ المنان، خلقَ الإنسانَ علَّمَهُ البيان. أحمده وأشكره، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريكَ له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسلهُ ربُّهُ بالهدى والنور، فعلَّمَ الناسَ خيرَ العلوم، وبصَّرَ الناسَ خيرَ الدروب. فكان بحقٍ خيرَ معلِّمٍ، وخيرَ مربٍ، فصلى اللهُ عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد... فاتقوا الله عباد الله، وتفقَّهوا في دينِكُم، حتى تعرفوا الطريقَ إلى ربِّكُم ، فإنَّ من يُريدُ اللهُ تعالى به خيراً يُفقهه في الدين، فيعرفُ الحقَ من الباطلِ، والحلالَ من الحرامِ، والصحيحَ من الخطأِ. واحرصوا على العلم، فإنَّ العلمَ نورٌ وهدى، والجهلُ ظلمةٌ وشقاء .فالعلم حياةُ القلوبِ، ونورُ الأبصارِ، وشفاءُ الصدورِ، ولذَّةُ الأرواحِ، به يستأنسُ المُستوحِشُ، ويسترشِدُ المتحيِّرُ، ويرتاحُ العليلُ. فهو ميزانُ العقلاءِ لصحَّةِ الأقوالِ والأعمالِ، وهو المفرِّقُ بين الشكِ واليقينِ، والحقِ والباطلِ . به تُعرف الشرائعُ، وتتميَّزُ الأحكامُ، وبه يعرف العبد ربَّهُ، وطريقَ مرضاته، فيعبد ربَّهُ على علم.

أيها الإخوة الكرام: ليسَ هناك دينٌ من الأديانِ، أو شرْعَةٌ من الشرائعِ حثَّت على العلم، ورفعت منازلَ العلماء كدين الإسلام، وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿ **قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا**

يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ ، ويقول أيضاً: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾. ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم موضِّحاً مرتبةَ العلمِ وفضلَهُ: « من سلكَ طريقاً يطلبُ فيه علماً سَلَكَ اللهُ له طريقاً إلى الجنة، وإنَّ الملائكةَ لتضعُ أجنحَتَها رضاءً لطالب العلم، وإنَّ العالمَ ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرضِ، حتى الحيتانُ في الماءِ، وفضلُ العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، إنَّ العلماءَ ورثَةُ الأنبياءِ، وإنَّ الأنبياءَ لم يورِّثُوا ديناراً ولا درهماً، وإنَّما ورَّثُوا العلمَ،فمن أخذه أخذَ بحظٍ وافرٍ» ، ويقول أيضاً: «الدنيا ملعونةٌ، ملعونٌ ما فيها: إلا ذكرُ الله وما والاه، أو عالماً أو متعلماً »، ويقول: « طلبُ العلمِ فريضةٌ على كل مسلم » ، ويقول أيضاً عليه الصلاة والسلام: «إن فضْلَ العلمِ خيرٌ من فضلِ العبادة»، وقال عليه السلام مرَّةً لأبي ذر: « يا أبا ذر لأنْ تغدُوَ فَتَعَلَّمَ آيةً من كتاب الله خيرٌ من أن تصليَ مائةَ ركعةٍ، ولأنْ تغدُوَ فَتَعَلَّمَ باباً من العلم عُملَ به أو لم يُعمل : خيرٌ من أن تُصليَ ألفَ ركعةٍ » ، وقال أيضاً: « من جاء مسجدي هذا لم يأته إلا لخيرٍ يتعلَّمُهُ أو يُعلِّمُهُ: فهو بمنزلة المجاهدِ في سبيلِ الله » ، وكان عليه السلام يقول عن فضل العلم بعد الممات: «إذا ماتَ الإنسانُ انقطعَ عنه عملُهُ إلا من ثلاثة: إلا من صدقةٍ جاريةٍ، أو علمٍ ينتفع به، أو ولدٍ صالح يدعو له» .

ولقد أدركَ السلفُ الصالحُ رضوان الله عليهم هذه الفضيلةَ للعلم، فلم يكونوا يقدِّمونَ على العلم شيئاً إلا فريضةً لابدَّ منها، قال

ابن وهبٍ رحمه الله: « كنتُ عند مالكِ بن أنس، فوضعتُ ألْواحي وقمتُ أُصلِّي– يعني نافلة – فقال مالكٌ: ما الذي قمتَ إليه بأفضلَ مما قُمت عنه»، وفي هذا يقولُ الإمام الشافعي رحمه الله: «طلبُ العلم أفضلُ من صلاةِ النافلة» .

أيها الإخوة: لقد انطلقت أمَّةُ الإسلام في عصرِهَا الأولِ نحوَ العلم بكلِّ قوة وإخلاص، ينهلونَ من العلومِ والمعارفِ، فالناس: إمَّا عالمٌ يُعلِّمُ الناسَ ويُرْشِدُهم، وإما مُتعلِّمٌ قد جلسَ لطلبِ العلم، وإمَّا مُحِبٌّ مقلِّدٌ، قد شغلَهُ الكسبُ عن العلم، وليس في غير هؤلاءِ خير.

حتى إنَّكَ لتعجبُ: كيفَ تُركَ العلمُ في ذلك الزمن مُشاعاً بين الناس يأخُذُه كلُّ من طلبه، فلا يُمنعُ عن أحد من الناس: صغيراً أو كبيراً، امرأةً أو رجلاً، شريفاً أو وضيعاً، حرّاً أو عبداً. الكلُّ في طلبِ العلمِ سواء. حتى نبغَ في الأمَّةِ الإسلاميةِ أناسٌ لم يعرفِ التاريخُ لهم قبل ذلك ذكْراً، فأينَ كانت مكانَةُ عبد الله بن مسعودٍ رضي الله عنه قبل العلم، وأين هي مكانَةُ أبي هريرة قبل حفظِ الحديث، وأين هي مكانَةُ عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قبل الفقه. ثم أين كانت عالمةُ الدنيا عائشةُ رضي الله عنها قبل جمعها العلم.

ولئن كان نبوغُ مثلِ هؤلاء عجيباً، فإنَّ أعجبَ العجبِ أن ينبُغَ في الأمَّةِ المواليَ والعبيدُ، فتُتَاحُ لهم فرصةُ العلم والتعلُّم حتى خرجَ إلى الدنيا من أمثال الحسنِ البصري، ومسْروق ، ومجاهدٍ، وعطاءِ بنِ أبي رباح، وأناسٌ لا يُعرفُ لهم ذكرٌ أو نسبٌ غيرَ العلم. ومما يُروى في هذا أنَّ

عمرَ بنَ الخطاب رضي الله عنه لقيَ نافعَ بنَ عبد الحارث الخزاعي بعُسْفان وقد استعمله عمرُ على مكَّةَ، فقال له: «من استعملتَ على أهل الوادي ؟ فقال نافعٌ: استعملتُ عليهم ابنَ أبْزي، قال: ومن ابنُ أبْزي؟ قال: مولىً من موالينا ، قال : فاستخلفت عليهم مولىً ؟ قال: يا أمير المؤمنينَ إنَّه قارئٌ لكتابِ الله عزَّ وجلَّ، وإنَّهُ عالمٌ بالفرائض، فقال عمرُ: أما أنَّ نبيَّكُم صلى الله عليه وسلم قد قال: إنَّ اللهَ يرفعُ بهذا الكتاب أقواماً ويضعُ به آخرين» .

أيها الإخوة المسلمون: لقد نتجَ عن هذا الانفتاحِ العلمي نهضةٌ حضاريةٌ كبيرة ، شَمِلت كلَّ مرافقِ الحياة الدينية والدنيوية، فقد أدرك السلف أن الدنيا مزرعةُ الآخرة، وأن الدينَ لا يقومُ إلا بعمارةِ الأرضِ، فربطَ السلف بين الدين والدنيا، فانطلقوا يعمرونَ الأرضَ على منهج الله تعالى، يحرثونَ ويحصدونَ، ويبنونَ ويشيِّدونَ . انطلقوا يبحثونَ عن سُننِ الله تعالى في الكون، متلمِّسينَ خيوطَ علومِ المواد، وخواصِ الأشياء، حتى وقفوا على معارف جليلةٍ في جميع العلوم الطبيعية، كالفيزياءِ، والكيمياءِ، والفلكِ، والطبِّ ونحوها. فأسَّسوا النواةَ الأولى للعلمِ التجريبي، الذي قامت عليه نهضة العالمِ المُتحضِّر اليومَ.

أيها الإخوة : لم يكن للمسلمينَ الأوائل أن ينهضوا نهضَتَهُمُ الأولى لولا هذا الدين ، فقد كانَ الدينُ مُرشدَهم الأولَ لكلِّ هذه المعارفِ الكونيةِ، فقد كان الرباطُ وثيقاً بين العلومِ الشرعيةِ والعلومِ الطبيعيةِ، حتى إنَّكَ لا تكادُ تجدُ عالماً من علماءِ الهندسةِ، أو الطبِّ، أو

الفلـكِ، أو الكيميـاءِ إلا وقـد نبـغَ قبـلَ ذلـك في علـم مـن العلـومِ الـشرعيةِ، حتى إنَّكَ لتستغربُ: كيف يكونُ طبيباً ومفسِّراً، أو كيميائياً وفقيهاً.

إنَّ المسلمينَ الأوائـلَ جمعـوا بـين هـذه العلـوم منطلقـينَ مـن اعتقـادِهم بوجـوبِ فـرضِ الكفايـةِ ووجـوب فـرضِ العـين، إذ لابـد لكـلِّ علـمٍ مـن علومِ الدين أو الـدنيا أن يتخـصَّصَ فيهـا عـددٌ مـن المـسلمينَ يكفـونَ غـيرَهُم، في الوقـت الـذي يجبُ فيـه عـلى الجميـع – الخاصَّـةِ والعامـةِ – أن يحـوزوا مـن العلـمِ الـشرعي: فـرضَ العـينِ الـذي لا يُعـذرُ المـسلمُ بجهلـه: مـن أصـولِ الاعتقـادِ، وفـروضِ العبـادة، وأصـول المعـاملات. فـإذا قـصَّرَ المـسلمُ في تعلُّـم فرضِ العين أَثِمَ ، وإذا قصَّرتِ الأمَّةُ في فرضِ الكفايةِ أثمت.

أَبَعْدَ هـذا يـأتي سـفيهٌ مـن الـسفهاء يـتَّهمُ ديـنَ الإسـلام أنَّـه المـسؤولُ عـن تخلُّـف المـسلمينَ اليـوم، أو أنَّـه الـسببُ في تقـاعُسِ المـسلمينَ عـن النهوض بالصناعات والتجارات.

أيهـا الإخـوة: إن دينـاً يجعـلُ: الفلاحـةَ، والحِياكَـةَ، والحـسابَ، والهندسةَ، والطـبَّ ونحوهـا: فـروضَ كفايَـةٍ عـلى الأمَّـةِ، بحيـثُ يُلْحِـقُ الإثـمَ بكلِّ من قصَّر فيها وهـو قـادرٌ عليهـا، أو يكـونُ هـذا الـدينُ هـو المـسؤولُ عـن تخلف أهلِـهِ وانحطـاطِهِم ؟ إنَّ أزمـة الأمَّـةِ الحقيقيـةَ لا تكمـن في تخلُّفهـا التقني والمادي؛ وإنَّـما تكمـنُ في تخلُّفهـا الـديني و الـشرعي. فـإنَّ ممـا لا شـكَ فيه: أنَّ تقدمَ الأمَّـةِ وتفوقَهـا مـرتبطٌ بدرجـةِ رُسُـوخها الـديني؛ فبقـدر إيمانهـا، وقيامِهَـا بفـروض دينهـا: يـنعكسُ ذلـك عـلى تفوقِهـا الحـضاري، وتقـدُّمِها

المادي. وهذا من فضلِ الله تعالى على البشريةِ إذْ ربطَ بين تقدُّمِ المسلمينَ وبين تمسُّكِهم بدينهم، فلو صحَّ أن يتقدمَ المسلمونَ بغير دينهم لكان ذلك فتنةً للبشريةِ عن دينِ الإسلام، ولكانَ حالُ المسلمينَ كحالِ النصارى الذين ما تقدَّموا ونهضوا إلا بعدأن نبذوا دينهم المحرَّفَ، وتنكَّروا لكنائسهم ورهبانِهم.

فاتقوا اللهَ عبادَ الله، واحرصوا على دينكُم، واعلموا أنَّه سبيلُكُمُ الوحيدُ إلى سعادةِ الدنيا، والنجاةِ في الآخرة، واحذروا كلَّ موْتورٍ فاجرٍ يُزهِّدُكُم في دينِكُم، فإنما هو شيطانٌ في صورةِ إنسان.

أقولُ هذا القول وأستغفر اللهَ تعالى لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمدُ لله علَّام الغيوبِ، الحمدُ لله فارِجِ الهمِّ والكروب، أحمده وأستعينه وأستغفره، وأسألُهُ من فضلِهِ العظيم ، وكرمِهِ الواسعِ: وأن يجعلَ للمسلمينَ من كلِّ همٍ فرجاً ، ومن كلِّ ضيقٍ مخرجاً، وأن يُغنيَهم بفضله عمن سواه ، إنه سميع قريب.

أيها المسلمون: إذا تقرَّرَ أنَّ جميعَ العلوم ضروريةٌ لقيام النهضة الإسلامية؛ فإنَّ من الضروري، الذي لابد أن يعرفَهُ المسلمُ: أنَّ العلومَ الدينيةَ مقدَّمَةٌ على غيرها؛ لكونها تحملُ فرضَ العينِ الذي لابدَّ منه لكلِّ

مسلمٍ، ولكونها معْنيةً بالحثِّ على العلم، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من يُردِ اللهُ به خيراً يفقِّهه في الدين». وقوله: «ما اجتمعَ قومٌ في بيت من بيوت الله، يتلونَ كتابَ الله، ويتدارسُونَهُ بينهم إلا نزلت عليهمُ السكينةُ، وغشيتْهُمُ الرحمةُ، وحفَّتهُمُ الملائكةُ، وذكَرَهُمُ اللهُ فيمن عنده»، وقوله أيضاً: «خيركُم من تعلَّمَ القرآنَ وعلَّمَهُ». والعلمُ الشرعي هو العلمُ الذي لا يجوز كتمانُهُ عن طالبيه كما قال عليه الصلاة والسلام: « من سُئل عن علم ثم كتمه أُلْجِمَ يومَ القيامة بلجامٍ من نار». ولهذا كان حرصُ الرسول صلى الله عليه وسلم على نشر العلم الديني عظيماً، فلم يكن يمنعهُ عن أحد من الناس حتى إنَّهُ كان يعلِّمُ الأعرابَ والنساءَ والصبيانَ، ومن أعجبِ ما يُنقلُ عنه في ذلك، ما رواه أبو رِفَاعةَ العدوي رضي الله عنه حيث يقول: «انتهيتُ إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يخطبُ، قال: فقلت: يا رسولَ الله رجلٌ غريبٌ جاء يسألُ عن دينه، لا يدري ما دينُهُ، قال: فأقبلَ عليَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وترك خطبتهُ حتى انتهى إليَّ، فأُتِيَ بكرسيٍّ حسبتُ قوائمَهُ حديداً، قال: فقعد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل يُعلِّمُني مما علَّمَهُ الله، ثم أتى خطبتَهُ فأتمَّ آخِرَهَا».

فاحرصوا أيها المسلمونَ على العلم، واعلموا أنَّ العلمَ لا مُنتهى له، فإنَّ الله أدَّبَ نبيَّه عليه الصلاة والسلام بقوله: ﴿ **وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا** ﴾، والنبي صلى الله عليه وسلم بقوله: « منهومانِ لا يشبعانِ: منهومٌ في علمٍ لا يشبعُ، ومنهومٌ في دنيا لا يشبعُ» ، وكان

بعضُ السلف يقول لتلميذه: «اكتُب فإن استطعت أن تلقى اللهَ عزَّ وجلَّ ومعكَ المحبرةُ فافعل»، وقال بعضهم: «إن استطعت أن تكونَ عالماً فكن عالماً، فإن لم تستطع فكن مُتعلماً، فإن لم تستطع فأحبَّهم، فإن لم تستطع فإياك أن تبغِضَهم».

المحتـــــــويـــــات

م	عنوان الخطبـــة	الصفحـة
	مقدمــة..	١
	أولاً : التربية الإيمانية :..	٧
١	التوحــيـد حـق الله تعـــــالى...........	٩
٢	معرفة مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم..........	١٧
٣	القـــضـاء والـقـدر............................	٢٣
٤	مفهــوم العـــبـادة الشامل....................	٣١
٥	مـــقـام التــقـوى...........................	٣٩
٦	أهمــية التقوى لمفاســد آخر الزمان..........	٤٧
٧	لحظـة المـوت بين الخوف والرجاء.............	٥٣
٨	المنافقون وخطرهم على الإسلام والمسلمين...........	٦١
	ثانياً : التربية الروحية:..	٧١
١	التوبـــة..	٧٣
٢	توبة المذنبين ويقظة الغافلين....................	٨١
٣	ذكر الله بين الغافلين............................	٨٧
٤	الزهد في الدنيا..................................	٩٣

م	عنوان الخطبة	الصفحة
٥	الشيب وطول العمر	١٠١
٧	الشيطان خطره ومكائده	١٠٥
ثالثاً : التربية التعبدية:	....	١١٣
١	الصلاة – أهميتها وفضلها وخطر التهاون فيها............	١١٥
٢	استقبال شهر رمضان المبارك............................	١٢٥
٣	وداع رمضان..	١٣٣
٤	وجوب الحج واستحضار شعائره........................	١٣٩
٥	فضائل الحج ومناسكه..................................	١٤٧
رابعاً: التربية الأخلاقية:	....	١٥٧
١	الأخوة في الله تعالى..................................	١٥٩
٢	أهمية القدوة في تربية الأطفال........................	١٦٧
٣	طبيعة الأمانة التي حملها الإنسان.....................	١٨١
٤	خلق المسلم بين الصدق والكذب.......................	١٨٩
٥	الظلم خطره ومفاسده..................................	١٩٧
خامساً : التربية الاجتماعية:	....	٢٠٣
١	مقاصد النكاح في الشريعة الإسلامية....................	٢٠٥
٢	مشكلة الطلاق وآثاره الخطيرة..........................	٢١٣

م	عنوان الخطبة	الصفحة
٣	كيف قدم المسلمون صورة المرأة المسلمة للغرب؟..........	٢٢٣
٤	مشكلات الإجازات الصيفية....................	٢٢٩
سادساً : التربية العقلية:	....	٢٣٧
١	التوجيه الإسلامي للعقل البشري...................	٢٣٩
٢	أهمية التفكر في حياة الإنسان.....................	٢٤٧
٣	خطر التمادي في اتباع الهوى........................	٢٥٥
٤	قضية فصل الدين عن الحياة.........................	٢٦٣
سابعاً : التربية الجهادية:	....	٢٦٩
١	الجهاد في سبيل الله................................	٢٧١
٢	مواقف جهادية من التاريخ الإسلامي..................	٢٧٩
٣	سنة الله في النصر والتمكين..........................	٢٨٧
٤	تعظيم دماء المسلمين..............................	٢٩٥
٥	تعظيم حرمة مكة المكرمة............................	٣٠٥
ثامناً : التربية الاقتصادية والسياسية:	....	٣١٥
١	كلمة في التنمية الاقتصادية..........................	٣١٧
٢	صور من واقع المسلمين المنحرف....................	٣٢٣
٣	قصة هذا الدين مع أعدائه............................	٣٣١

م	عنوان الخطبة	الصفحة
٤	قصة اليهود مع أرض فلسطين..................................	٣٣٧
تاسعاً : السيرة النبوية والتراجم:	....	٣٤٣
١	أهمية الهجرة النبوية في حياة الدعوة الإسلامية.............	٣٤٥
٢	وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وموقف أبي بكر رضي الله عنه	٣٥٣
٣	عمر بن الخطاب رضي الله عنه..................................	٣٦١
عاشراً : العلم والعلماء :	....	٣٦٩
١	همَّة السلف في طلب العلم.....................................	٣٧١
٢	مصيبة موت العلماء وفناء الفقهاء...........................	٣٧٩
٣	العلم الديني أساس النهضة الحضارية.......................	٣٨٧
المحتويـــــات	....	٣٩٥

صـــدر للمؤلـــف

١- مسؤولية الأب المسلم في تربية الولد في مرحلة الطفولة. (الطبعة العاشرة)، دار المجتمع، جدة.

٢- طرق تدريس مواد التربية الإسلامية. (الطبعة الثانية)، دار المجتمع، جدة.

٣- الفقر في العالم الإسلامي ودور التربية في التنمية. (الطبعة الأولى)، دار المجتمع، جدة.

٤- وسائل الزوج التربوية في إصلاح الحياة الزوجية. (مجلة رسالة التربية وعلم النفس، العدد (١٩)، ١٤٢٣هـ، الجمعية السعودية للعلوم التربوية والنفسية، الرياض).

٥- جوانب التعارض بين عنصر الأنوثة في المرأة والعمل السياسي من المنظور التربوي الإسلامي. (سلسلة دعوة الحق رقم (٢٠٠)، ١٤٢٣هـ، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة). (الطبعة الثانية)، دار المجتمع، جدة.

٦- الفتاة المسلمة والأزمة الأخلاقية في الإعلام المرئي المعاصر من الوجهة التربوية الإسلامية. (الطبعة الأولى)، دار المجتمع، جدة.

٧- المنطلقات الأساسية للتنمية الاقتصادية في نظام الإسلام التربوي-رؤية معاصرة. (حولية كلية المعلمين في أبها، العدد (٤)، ١٤٢٤هـ، وزارة التربية والتعليم). (الطبعة الأولى)، دار المجتمع، جدة.

٨- مبررات منع المرأة من قيادة المركبات من المنظور التربوي الإسلامي. (الطبعة الأولى)، دار المجتمع، جدة.

٩- الأخلاق الزوجية وأهميتها للفتاة المسلمة في ضوء التربية الإسلامية. (مجلة جامعة أم القرى للعلوم التربوية والاجتماعية والإنسانية، العدد (١)، ١٤٢٣هـ، مكة المكرمة).

١٠- معيار الأهداف الإسلامية العامة لأسس تربية الفتاة في الإسلام. (جزء من رسالة الدكتوراه)، (الطبعة الأولى)، دار المجتمع، جدة.

١١- ضوابط لباس المرأة وزينتها في ضوء التوجيه التربوي الإسلامي. (مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية- العدد (٥٦) جامعة الكويت). (الطبعة الأولى)، دار المجتمع، جدة.

١٢- أخلاق الفتاة الزوجية- أهميتها ووسائلها التربوية (مجموعة بحوث علمية سبق نشر بعضها)، (الطبعة الأولى)، دار المجتمع، جدة.

١٣- مختصر أخلاق الفتاة الزوجية- أهميتها ووسائلها التربوية (الطبعة الأولى)، دار المجتمع، جدة.

١٤- وسائل المجتمع الاقتصادية لتأهيل الشباب المبكر للحياة الاجتماعية. (مجلة التربية ، العدد (١٢٠) ، كلية التربية، جامعة الأزهر، القاهرة ١٤٢٤هـ). (الطبعة الأولى)، دار المجتمع، جدة.

١٥- الضوابط الشرعية والفنية لمهارات الفتاة اليدوية في ضوء التربية الإسلامية . (مجلة التربية، العدد (١٢٣) ، كلية التربية، جامعة الأزهر، القاهرة، ١٤٢٤هـ)، (الطبعة الأولى)، دار المجتمع، جدة.

١٦- عوامل النوم الصحي المفيد في ضوء التربية الإسلامية. (الطبعة الأولى)، دار المجتمع، جدة، ١٤٢٥هـ.

١٧- ضوابط السلامة التربوية في ممارسة الفتيات للرياضة البدنية. (مستل من رسالة الدكتوراه مع بعض الإضافات العلمية). (الطبعة الأولى)، دار المجتمع، جدة، ١٤٢٥هـ.

١٨- التربية اللغوية العربية- بحث نظري في علاقة الإنسان باللغة وأثرها في تعلم اللغات الأجنبية من منظور إسلامي (مجلة كلية التربية، جامعة المنصورة، دمياط، ١٤٢٦هـ). (الطبعة الأولى)، دار المجتمع، جدة.

١٩- أسس التربية الإيمانية للفتاة المسلمة. (جزء من رسالة الدكتوراه)، (الطبعة الأولى)، دار المجتمع، جدة، ١٤٢٥هـ.

٢٠- أسس التربية الصحية للفتاة المسلمة. (جزء من رسالة الدكتوراه)، (الطبعة الأولى)، دار المجتمع، جدة، ١٤٢٦هـ.

٢١- أسس التربية العقلية للفتاة المسلمة. (جزء من رسالة الدكتوراه). (الطبعة الأولى)، دار الفكر، عمان ، ١٤٢٨هـ.

٢٢- أسس التربية الاقتصادية للفتاة المسلمة. (جزء من رسالة الدكتوراه). (الطبعة الأولى)، دار الفكر، عمان ، ١٤٢٨هـ.

٢٣- أسس التربية الأخلاقية للفتاة المسلمة . (جزء من رسالة الدكتوراه). (الطبعة الأولى) ، دار الفكر ، عمان ، ١٤٢٨هـ .

٢٤- الموسوعة العامة في مصادر التربية الإسلامية ، (الطبعة الأولى)، دار الفكر، عمان ، ١٤٢٨هـ.